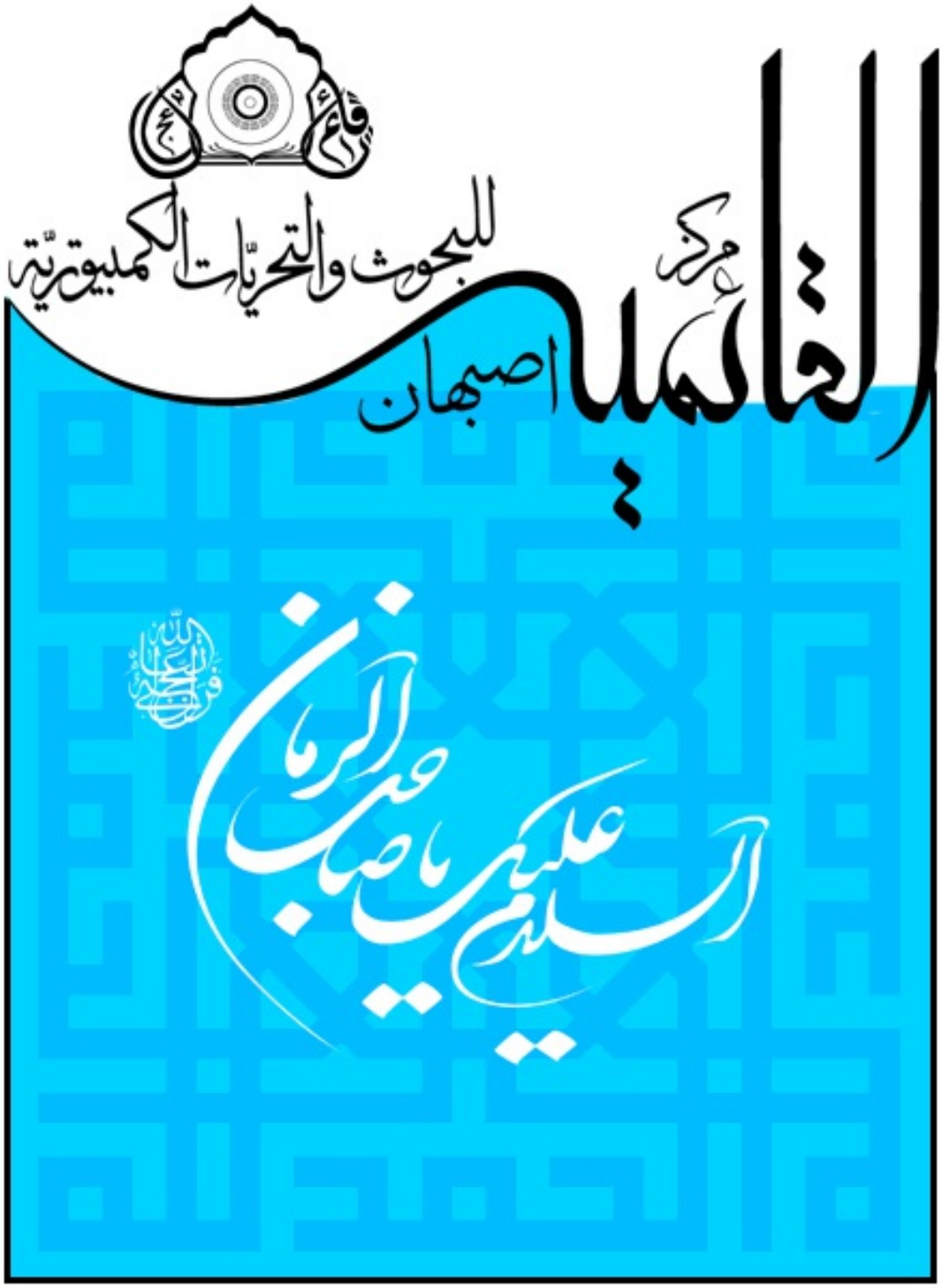

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

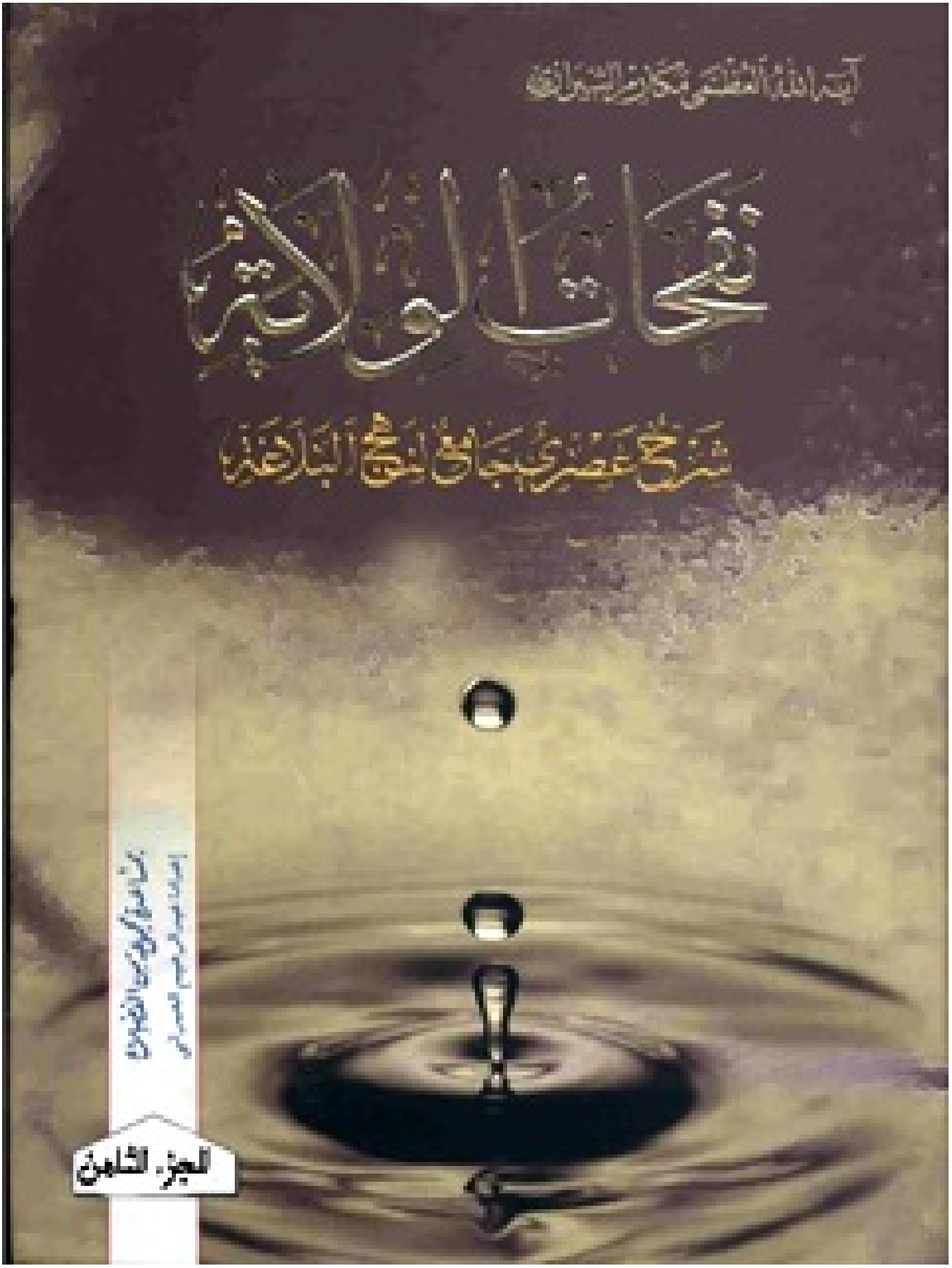

آية الله العظمى مكارم الشيرازي
نفحات الولاية
شرح عصري جامع لنهج البلاغة
الجزء الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات الولايه: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصرمكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفحات الولایة المجلد ۸ ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
الخطبة ۲۰۱ ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
نظرة إلی الخطبة ----- ۲۰
الشرح والتفسیر: سبیل النجاة ----- ۲۱
الخطبة ۲۰۲ ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
نظرة إلی الخطبة ----- ۲۳
الشرح والتفسیر: لوعة علی علیه السلام عند قبر الزهراء علیها السلام ----- ۲۴
تأمّلات ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
۱. فاطمة الزهراء علیها السلام علی لسان رسول اللّه صلی الله علیه و آله ----- ۲۶
۲. حرمة بیت الزهراء علیها السلام فی القرآن والسنّة ----- ۲۷
۳. انتهاک حرمة بیت الزهراء علیها السلام ----- ۲۷
۴. القبر الطاهر لفاطمة الزهراء علیها السلام ----- ۳۱
۵. زمان شهادة بضعة النّبی ----- ۳۱
الخطبة ۲۰۳ ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
نظرة إلی الخطبة ----- ۳۲
الشرح والتفسیر الدنیا ممرّ ----- ۳۲
تأمّل: الإکثار من هذه العبارة ----- ۳۴

الخطبة ۲۰۴ ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۵
نظرة إلى الخطبة ----- ۳۵
الشرح والتفسير: الابتعاد عن طلّاب الدنيا ----- ۳۵
الخطبة ۲۰۵ ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۷
نظرة إلى الخطبة ----- ۳۷
القسم الأوّل ----- ۳۷
الشرح والتفسير: حجج طلحة والزبير ----- ۳۷
القسم الثانى ----- ۳۹
الشرح والتفسير: حكم اللّه ----- ۳۹
تأمّلات ----- ۴۰
۱. علّة التسوية فى العطاء ----- ۴۰
۲. مكانة المشورة ----- ۴۳
۳. طلحة وحلم الخلافة ----- ۴۴
الخطبة ۲۰۶ ----- ۴۴
اشارة ----- ۴۴
نظرة إلى الخطبة ----- ۴۵
الشرح والتفسير: الدعاء بدل السبّ! ----- ۴۵
تأمّل: السبّ واللعن ----- ۴۶
الخطبة ۲۰۷ ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۷
نظرة إلى الخطبة ----- ۴۷
الشرح والتفسير: حفظ نسل النّبى صلى الله عليه و آله ----- ۴۷

تأمّل: شبهات وردود ---- ۴۸
الخطبة ۲۰۸ ---- ۴۸
اشارة ---- ۴۹
نظرة إلى الخطبة ---- ۴۹
الشرح والتفسير: رفاق السلاح الجهّال ---- ۴۹
تأمّل: التضحية بالفرصة الكبرى ---- ۵۰
الخطبة ۲۰۹ ---- ۵۱
اشارة ---- ۵۱
نظرة إلى الخطبة ---- ۵۱
القسم الأوّل ---- ۵۱
اشارة ---- ۵۱
الشرح والتفسير: الدار الواسعة ---- ۵۱
تأمّل: الدار الواسعة فى الروايات ---- ۵۲
القسم الثانى ---- ۵۲
اشارة ---- ۵۲
الشرح والتفسير: ذم الهروب من الدنيا ---- ۵۲
تأمّلات ---- ۵۴
۱. ذم عموم الافراط والتفريط ---- ۵۴
۲. التصوف ونتائجه ---- ۵۴
۳. الانتفاع بالطيبات ---- ۵۶
الخطبة ۲۱۰ ---- ۵۶
اشارة ---- ۵۶
نظرة إلى الخطبة ---- ۵۷
القسم الأوّل ---- ۵۷

اشارة ----- ۵۷
الشرح والتفسير: نقد الروايات ----- ۵۷
القسم الثانى ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
الشرح والتفسير: وضع المنافقين للحديث ----- ۵۹
تأمّلات ----- ۶۰
۱. المنافقون على عهد النّبى صلى الله عليه و آله ----- ۶۰
۲. المنافقون بعد النّبى صلى الله عليه و آله ----- ۶۰
۳. عدالة الصحابة ----- ۶۱
القسم الثالث ----- ۶۲
اشارة ----- ۶۲
الشرح والتفسير: أحاديث الناسخ والمنسوخ ----- ۶۲
تأمّل: النسخ فى أحكام الشرع ----- ۶۳
القسم الرابع ----- ۶۴
اشارة ----- ۶۴
الشرح والتفسير: حفظة الحديث ----- ۶۴
الخطبة ۲۱۱ ----- ۶۵
اشارة ----- ۶۵
نظرة إلى الخطبة ----- ۶۶
القسم الأوّل ----- ۶۶
اشارة ----- ۶۶
الشرح والتفسير: بداية خلق الكون ----- ۶۶
القسم الثانى ----- ۶۷
اشارة ----- ۶۷

الشرح والتفسير: خلق الجبال ----- ۶۷
الخطبة ۲۱۲ ----- ۶۸
اشارة ----- ۶۸
نظرة إلى الخطبة ----- ۶۹
الشرح والتفسير: جزاء المتخلفين ----- ۶۹
الخطبة ۲۱۳ ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
نظرة إلى الخطبة ----- ۷۰
الشرح والتفسير: قبسات من صفات اللّه ورسوله ----- ۷۰
الخطبة ۲۱۴ ----- ۷۲
اشارة ----- ۷۲
نظرة إلى الخطبة ----- ۷۳
القسم الأوّل ----- ۷۳
اشارة ----- ۷۳
الشرح والتفسير: النسب الطاهر للنبى صلى الله عليه و آله ----- ۷۳
القسم الثانى ----- ۷۴
اشارة ----- ۷۴
الشرح والتفسير: حفظة علم اللّه ----- ۷۵
القسم الثالث ----- ۷۶
اشارة ----- ۷۶
الشرح والتفسير: المهتدون ----- ۷۶
تأمّل: الحاجة إلى المرشد فى السير والسلوک ----- ۷۷
الخطبة ۲۱۵ ----- ۷۸
اشارة ----- ۷۸

نظرة إلى الخطبة ----- ۷۹
القسم الأوّل ----- ۷۹
اشارة ----- ۷۹
الشرح والتفسير: اللّهم كلّ شيء لک ----- ۷۹
القسم الثانی ----- ۸۰
اشارة ----- ۸۰
الشرح والتفسير: النعم المكملة ----- ۸۰
الخطبة ۲۱۶ ----- ۸۱
اشارة ----- ۸۱
نظرة إلى الخطبة ----- ۸۱
القسم الأوّل ----- ۸۲
اشارة ----- ۸۲
الشرح والتفسير: سعة حجم الحقوق ----- ۸۲
تأمّل: الثواب استحقاق أم تفضّل؟ ----- ۸۳
القسم الثانی ----- ۸۴
اشارة ----- ۸۴
الشرح والتفسير: حق الوالی والرعية ----- ۸۴
القسم الثالث ----- ۸۶
اشارة ----- ۸۶
الشرح والتفسير: ضرورة التعاون فی أداء الحقوق ----- ۸۶
تأمّل: الحكومات الشعبية ----- ۸۸
القسم الرابع ----- ۸۹
اشارة ----- ۸۹
الشرح والتفسير: الشكر على الواجب ----- ۸۹

تأمّلان ----- ۹۰
۱. المدح والثناء ----- ۹۰
۲. ألسنة التملق ----- ۹۱
القسم الخامس ----- ۹۱
اشارة ----- ۹۱
الشرح والتفسير: لا تتملقوا أمامی ----- ۹۲
الخطبة ۲۱۷ ----- ۹۳
اشارة ----- ۹۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۹۳
الشرح والتفسير: تحمل الصعاب ----- ۹۴
الخطبة ۲۱۸ ----- ۹۵
اشارة ----- ۹۵
نظرة إلى الخطبة ----- ۹۵
الشرح والتفسير: جنايات أصحاب الجمل فی البصرة ----- ۹۶
الخطبة ۲۱۹ ----- ۹۶
اشارة ----- ۹۶
نظرة إلى الخطبة ----- ۹۷
الشرح والتفسير: المشهد المروع بعد الجمل ----- ۹۷
تأمّلان ----- ۹۸
۱. حبّ دنيا وعواقبه المشؤمة ----- ۹۸
۲. الكفاءة الشرط الاوّل لكل عمل ----- ۹۹
الخطبة ۲۲۰ ----- ۹۹
اشارة ----- ۹۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۹۹

الشرح والتفسير: سالک طريق الحق ---- ۹۹
تأمّل: مقامات السير والسلوک ---- ۱۰۰
الخطبة ۲۲۱ ---- ۱۰۱
اشارة ---- ۱۰۱
نظرة إلى الخطبة ---- ۱۰۲
القسم الأوّل ---- ۱۰۲
اشارة ---- ۱۰۲
الشرح والتفسير: التفاخر الفارغ بدل الاعتبار! ---- ۱۰۲
القسم الثانی ---- ۱۰۴
اشارة ---- ۱۰۴
الشرح والتفسير: العالم العجيب بعد الموت ---- ۱۰۵
القسم الثالث ---- ۱۰۶
اشارة ---- ۱۰۶
الشرح والتفسير: أحوال الأموات! ---- ۱۰۷
القسم الرابع ---- ۱۰۸
اشارة ---- ۱۰۸
الشرح والتفسير: عقبات الموت لاتستوعب فی الالفاظ ---- ۱۰۸
تأمّل: ممرّ يرده الجميع ---- ۱۱۰
الخطبة ۲۲۲ ---- ۱۱۱
اشارة ---- ۱۱۱
نظرة إلى الخطبة ---- ۱۱۱
القسم الأوّل ---- ۱۱۱
اشارة ---- ۱۱۱
الشرح والتفسير: أدلة السائرين على الطريق ---- ۱۱۱

تأمّلان ----- ۱۱۲
۱. ما المراد من أيّام اللّه؟ ----- ۱۱۳
۲. الإلهامات الغيبية ----- ۱۱۳
القسم الثانی ----- ۱۱۳
اشارة ----- ۱۱۳
الشرح والتفسير: أولياء اللّه وأهل الذكر ----- ۱۱۴
القسم الثالث ----- ۱۱۵
اشارة ----- ۱۱۵
الشرح والتفسير: مصير السائرين على الصراط ----- ۱۱۵
تأمّل: ذكر اللّه والذاكرون ----- ۱۱۷
الخطبة ۲۲۳ ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۱۸
القسم الأوّل ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸
الشرح والتفسير: الرحمة بالنفس؟ ----- ۱۱۸
القسم الثانی ----- ۱۲۰
اشارة ----- ۱۲۰
الشرح والتفسير: رحمة اللّه ومعصية العبد؟! ----- ۱۲۰
القسم الثالث ----- ۱۲۱
اشارة ----- ۱۲۱
الشرح والتفسير: الدنيا أعظم واعظ ----- ۱۲۱
تأمّل: الدنيا الممدوحة والمذمومة ----- ۱۲۲
القسم الرابع ----- ۱۲۳

اشارة ----- ۱۲۳
الشرح والتفسير: الاستعداد لسفر الآخرة ----- ۱۲۳
الخطبة ۲۲۴ ----- ۱۲۴
اشارة ----- ۱۲۴
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۲۴
القسم الأوّل ----- ۱۲۵
اشارة ----- ۱۲۵
الشرح والتفسير: إرتكاب الظلم ----- ۱۲۵
القسم الثانى ----- ۱۲۶
اشارة ----- ۱۲۶
الشرح والتفسير: قصة الحديدة المحماة ----- ۱۲۶
تأمّلان ----- ۱۲۷
۱. نظرة إلى شخصية عقيل ----- ۱۲۷
۲. التسوية بين المسلمين فى بيت‌المال ----- ۱۲۸
القسم الثالث ----- ۱۲۸
اشارة ----- ۱۲۹
الشرح والتفسير: قصة المنافق الأشعث بن قيس ----- ۱۲۹
تأمّل: من هو الأشعث بن قيس؟ ----- ۱۳۱
الخطبة ۲۲۵ ----- ۱۳۱
اشارة ----- ۱۳۱
نظرة إلى الخطبة (الدعاء) ----- ۱۳۲
الشرح والتفسير: الغنى عن شرار الخلق! ----- ۱۳۲
تأمّل: الآثار السيئة للفقر ----- ۱۳۲
الخطبة ۲۲۶ ----- ۱۳۴

اشارة ----- ۱۳۴
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۳۴
القسم الأوّل ----- ۱۳۴
اشارة ----- ۱۳۴
الشرح والتفسير: تقلب احوال الدنيا ----- ۱۳۴
تأمّل: دار محفوفة بالبلاء ----- ۱۳۵
القسم الثانى ----- ۱۳۶
اشارة ----- ۱۳۶
الشرح والتفسير: جيران متباعدون ----- ۱۳۶
تأمّل: عاقبة الإنسان بعد الموت ----- ۱۳۸
القسم الثالث ----- ۱۳۸
اشارة ----- ۱۳۸
الشرح والتفسير: المصير المحتوم ----- ۱۳۹
الخطبة ۲۲۷ ----- ۱۳۹
اشارة ----- ۱۳۹
نظرة إلى الخطبة (الدعاء) ----- ۱۳۹
القسم الأوّل ----- ۱۴۰
اشارة ----- ۱۴۰
الشرح والتفسير: انس العباد ----- ۱۴۰
القسم الثانى ----- ۱۴۰
اشارة ----- ۱۴۰
الشرح والتفسير: اللّه كهف الورى ----- ۱۴۱
تأمّل: أدعية المعصومين عليهم السلام المهذبة ----- ۱۴۱
الخطبة ۲۲۸ ----- ۱۴۲

اشارة ----- ۱۴۲
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۴۲
الشرح والتفسير: مالک الأشتر ----- ۱۴۳
الخطبة ۲۲۹ ----- ۱۴۳
اشارة ----- ۱۴۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۴۴
الشرح والتفسير: الإندفاع العجيب لبيعة الإمام عليه السلام ----- ۱۴۴
تأمّل: البيعة الفريدة المطلقة ----- ۱۴۵
الخطبة ۲۳۰ ----- ۱۴۶
اشارة ----- ۱۴۶
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۴۶
القسم الأوّل ----- ۱۴۶
اشارة ----- ۱۴۶
الشرح والتفسير: سرّ السعادة والفلاح ----- ۱۴۶
القسم الثانی ----- ۱۴۷
اشارة ----- ۱۴۷
الشرح والتفسير: المعبر الذی لا مفر منه ----- ۱۴۷
القسم الثالث ----- ۱۴۹
اشارة ----- ۱۴۹
الشرح والتفسير: الدنيا الغرارة! ----- ۱۵۰
القسم الرابع ----- ۱۵۱
اشارة ----- ۱۵۱
الشرح والتفسير: الزهاد الحقيقيون ----- ۱۵۲
الخطبة ۲۳۱ ----- ۱۵۲

اشارة ----- ۱۵۲
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۵۲
الشرح والتفسير: النّبى صلى الله عليه و آله حصد العداء من الصدور ----- ۱۵۳
الخطبة ۲۳۲ ----- ۱۵۴
اشارة ----- ۱۵۴
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۵۴
الشرح والتفسير: غنائم المقاتلين ----- ۱۵۴
الخطبة ۲۳۳ ----- ۱۵۵
اشارة ----- ۱۵۵
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۵۵
القسم الأوّل ----- ۱۵۵
اشارة ----- ۱۵۵
الشرح والتفسير: نحن امراء الكلام ----- ۱۵۵
تأمّلان ----- ۱۵۶
۱. عجائب اللسان ----- ۱۵۶
۲. امراء الكلام ----- ۱۵۷
القسم الثانى ----- ۱۵۸
اشارة ----- ۱۵۸
الشرح والتفسير: خصائص البيئة الملوثة ----- ۱۵۸
الخطبة ۲۳۴ ----- ۱۵۹
اشارة ----- ۱۵۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۶۰
الشرح والتفسير: أساس الاختلاف ----- ۱۶۰
تأمّلان ----- ۱۶۲

۱. صلة الروح بالجسم ----- ۱۶۲
۲. الاختیار وصلة الروح بالجسد ----- ۱۶۲
الخطبة ۲۳۵ ----- ۱۶۲
اشارة ----- ۱۶۳
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۶۳
الشرح والتفسیر: عظم مصیبة رحیل النّبی صلی الله علیه و آله ----- ۱۶۳
تأمّلان ----- ۱۶۴
۱. البکاء علی الأعزّة ----- ۱۶۴
۲. تجهیز النّبی صلی الله علیه و آله ----- ۱۶۵
الخطبة ۲۳۶ ----- ۱۶۵
اشارة ----- ۱۶۵
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۶۵
الشرح والتفسیر: ذکر الحبیب ----- ۱۶۶
تأمّل: قصّة الهجرة ----- ۱۶۶
الخطبة ۲۳۷ ----- ۱۶۷
اشارة ----- ۱۶۷
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۶۷
القسم الأوّل ----- ۱۶۷
اشارة ----- ۱۶۸
الشرح والتفسیر: اغتنام الفرصة ----- ۱۶۸
القسم الثانی ----- ۱۶۹
اشارة ----- ۱۶۹
الشرح والتفسیر: کیفیة اغتنام الفرصة ----- ۱۶۹
الخطبة ۲۳۸ ----- ۱۷۰

اشارة ----- ۱۷۰
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۷۰
القسم اوّل ----- ۱۷۰
اشارة ----- ۱۷۰
الشرح والتفسير: أتباع معاوية ----- ۱۷۰
تأمّل: جهل أهل الشام ----- ۱۷۱
القسم الثانى ----- ۱۷۱
اشارة ----- ۱۷۱
الشرح والتفسير: أفضل اختيار وأسوأه ----- ۱۷۱
الخطبة ۲۳۹ ----- ۱۷۳
اشارة ----- ۱۷۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۷۳
الشرح والتفسير: آل محمد أركان الدين ----- ۱۷۳
الخطبة ۲۴۰ ----- ۱۷۴
اشارة ----- ۱۷۵
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۷۵
الشرح والتفسير: خطأ آخر من أخطاء عثمان ----- ۱۷۵
الخطبة ۲۴۱ ----- ۱۷۶
اشارة ----- ۱۷۶
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۷۶
الشرح والتفسير: شمّروا واستعدوا للجهاد ----- ۱۷۷
تأمّل: آفات النهم والترف ----- ۱۷۸
خصائص هذا الشرح ----- ۱۷۸
تعريف مركز ----- ۲۱۳

نفحات الولایة المجلد ۸

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : نفحات الولایه: شرح عصری جامع لنهج‌البلاغه/ ناصرمکارم شیرازی، بمساعده مجموعه من‌الفضلاء؛ اعداد عبدالرحیم الحمدانی.

مشخصات نشر : قم : مدرسه‌الامام علی‌ابن‌ابی‌طالب (ع) ، ۱۴۲۶ق.-= ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ج.

شابک : ۳۰۰۰۰ ریال : دوره ۹۶۴-۸۱۳-۹۵۸-X: ؛ ج. ۱ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۷-۵ : ؛ ج. ۲ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۸-۳ : ؛ ج. ۳ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۷-۲ : ؛ ج. ۴ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۸-۰ : ؛ ج.۵ : ۹۶۴-۸۱۳-۹۴۱-۵ ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۶۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۰-۵ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۷۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۱-۲ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۸۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۲-۹ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۹۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۳-۶ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۱۰۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۴-۳ :

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج ۱- ۵ (چاپ دوم: ۱۳۸۴).

یادداشت : ج. ۶- ۱۰ (چاپ اول: ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰).

یادداشت : کتابنامه.

مندرجات : .- ج. ۶. من خطبة ۱۵۱ الی ۱۸۰.- ج. ۷. من خطبة ۱۸۱ الی ۲۰۰.- ج. ۸. من خطبة ۲۰۱ الی ۲۴۱.- ج. ۹. من رسالة ۱ الی ۳۱.- ج. ۱۰. من رسالة ۳۲ الی ۵۳

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده : حمرانی، عبدالرحیم

شناسه افزوده : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع)

رده بندی کنگره : BP۳۸/۰۲ /م۷ ۱۳۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۴-۴۰۳۴۷

الخطبة ۲۰۱

اشارة

یَعِظُ بِسُلُوک الطَّریقِ الْواضِحِ ۱]

نظرة إلی الخطبة

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة القصيرة إلى ثلاثة أمور مهمّة تشكل كلّ واحدة منها جزءاً من هذه الخطبة:

١. إنّها تدعو السائرين على طريق الحقّ إلى الثقة بالنفس بحيث وألّا يشعروا بوحشة من هذا الطريق رغم قلّة سالكيه.

٢. أشارت إلى أصل اسلامى مهم وهو أنّ الرضا بأعمال الآخرين يجعل الإنسان شريكاً لهم فى تلك الأعمال، وإن لم يكن له من تدخل فى تلك الأعمال.

٣. يوصى بانتخاب طريق الحقّ الواضح والشفاف والبيّن من أجل الوصول

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۶

إلى الهدف والحذر من سلوك الطرق المظلمة الملتوية التى تنتهى إلى الغى والضلال.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٧

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِى طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَى وَالسُّخْطُ. وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّه بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ»[٢] فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِى الأَرْضِ الْخَوَّارَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالفَ وَقَعَ فِى التِّيهِ!

الشرح والتفسير: سبيل النجاة

يواسى الإمام عليه السلام- فى هذا الموضع العميق المعنى- السائرين على النهج أن لا يشعروا قلوبهم أدنى تردّد بسبب قلّة سالكيه، فيقول: «أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِى طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ».

ثم يشير إلى تبرير ذلك فيقول: «فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مائِدَةٍ شِبَعُهَا[٣] قَصِيرٌ، جُوعُهَا طَوِيلٌ». فى إشارة إلى أنّ أهل الطريق القويم إن كانوا قلّة فإنّما يعزى ذلك إلى مغريات الدنيا، فقد شبّه الإمام عليه السلام الدنيا فى هذا الكلام العميق المعنى

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٨

بمائدة الطعام الغناء التى مُلئت بالأطعمة ذات القيمة القليلة أو العديمة القيمة من الناحية الغذائية؛ ولكنّها زيّنت بالبهرجة والزخرف، وقد اجتمع حولها طلّاب الدنيا متناسين أنّ أطعمتها إنّما تشبعهم لأمد قصير يتبعه جوع طويل.

ولعل هذا «الجوع الطويل» إشارة إلى الحزن والحسرة الأبدية التى تطال المتهافتين على الدنيا عند الموت وبعده وفى مشهد القيامة، ومدى الأسى الذى يعتريهم على تقصيرهم فى هذه الدنيا.

والواقع أنّ عبارة الإمام عليه السلام هذه العظيمة المعنى هى اقتباس من آيات القرآن الكريم، فقد جاء فى الآية ١٠٠ من سورة المائدة: «قُلْ لَا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَك كَثْرَةُ الْخَبِيثِ».

بالاضافة إلى الآيات التى تتحدّث عن الأكثريّة الجاهلة، عديمة الإيمان، غير العاقلة، الفاسقة، الجاحدة وأمثال ذلك.

ثم ذكر الأمر الثانى؛ الأمر الذى من شأنه حلّ الكثير من المسائل العقائدية والاجتماعية تكمن فى أنّ الذى يميز الجماعات البشريّة، الاتجاهات الفكرية ونوازع القلوب، وإن كانوا أفراداً معينين فى ظرف معين؛ حيث ينضوى معهم كلّ من تضامن معهم فكرياً وارتضاهم قلبياً.

قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَى وَالسُّخْطُ[۴]».

وعليه فليس سبب الاشتراك فى النتيجة مجرّد الاشتراك فى العمل أو إعداد مقدّماته والإعانة على الإثم فحسب؛ بل يترتب هذا الاشتراك على الرضى القلبى، ومن هنا وردت صراحة هذه العبارة فى الزيارة: «وَلَعَنَ اللَّه امَّةً سَمِعَتْ بِذلِك فَرَضِيَتْ بِهِ»[۵].

وقد مرّ علينا فى الخطبة الثانية عشرة التى مضى شرحها فى الجزء الأوّل أنّ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۹

عليّاً عليه السلام لما سمع أحد أصحابه بعد معركة الجمل وقد تمنى أن يكون أخوه شهد معهم المعركة فيشترك معهم فى تحقيق ذلك النصر. فقال له عليه السلام: «فَقَدْ شَهِدَنَا، وَ لَقَدْ شَهِدَنا فِى عَسْكَرِنا هذَا أَقْوَامٌ فِى أَصْلابِ الرِّجَالِ، وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمانُ وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمانُ».

ولعل هذا الكلام يفتح لنا افقاً جديداً فى المطالعات الإسلاميّة ويحّث الجميع على ضرورة مراقبة الروابط القلبيّة والرضى والسخط الباطنى.

ويحظى هذا المطلب بدرجة من الأهميّة بحيث أشارت إليه العديد من روايات المعصومين عليهم السلام؛ فقد ذكر المرحوم الشيخ الحر العاملى فى كتاب «الوسائل» فى أبواب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باباً تحت عنوان: «وُجُوبُ إِنْكارِ الْمُنْكَرِ بِالْقَلْبِ عَلى كُلِّ حال وَتَحْرِيمُ الرِّضا بِهِ وَوُجُوبُ الرِّضا بِالْمَعْرُوفِ» أورد فيه سبعة عشر حديثاً بهذا الخصوص؛ ومنها حديث مفصّل عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ بِالْمَشْرِقِ فَرَضِىَ بِقَتْلِهِ رَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ لَكانَ الرّاضِى عِنْدَ اللَّه عَزَّوَجَلَّ شَريك الْقاتِلِ»[۶].

وزبدة القول، ليس مجرّد العمل أو التعاون فى مقدّماته سبب الاشتراك فى النتائج المترتبة على ذلك العمل فى‌الشريعة الإسلاميّة فحسب؛ بل للرضا القلبى مثل هذا الأثر.

ثم استشهد الإمام عليه السلام بدليل محكم من القرآن المجيد لإثبات هذه الحقيقة فقال:

وإنّما عقر ناقة ثمود واحد بينما عمّ العذاب جميع قوم ثمود كونهم رضوا جميعاً بعمل ذلك الفرد، فقال سبحانه: «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ» عقر القوم الناقة فلمّا نزل العذاب ندم الجميع «وَإِنَّمَا عَقَرَ[۷] نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ»[۸] فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۰

خَارَتْ ۹] أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ[۱۰] الْمُحْمَاةِ[۱۱] فِى الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ».

يشير كلام الإمام عليه السلام إلى معجزة صالح عليه السلام، نبى قوم ثمود، فلما طلب منه قومه معجزة، خرجت بقدرة اللّه ناقة من صخرة فآمنت طائفة بينما أنكر ذلك أغلب القوم، وأوصاهم نبيّهم ألا يتعرضوا لتلك الناقة بسوء فيأخذهم العذاب، فلم يأبهوا بقول النّبى وعمدوا إلى الناقة فعقروها، فأتتهم زلزلة عظيمة فانشقّت الأرض وابتلعت الكفّار وبيوتهم.

والمعروف أنّ قاتل هذه الناقة شقى يدعى «غدّار بن سالف»؛ إلّاأنّ العبارة وردت فى الآية القرآنية بصيغة الجمع «فَعَقَرُوهَا»، لأنّهم رضوا جميعاً بعمله وقد عبّروا عن هذا الرضى من خلال دعوته وتشجيعه على الإتيان بذلك العمل الشنيع كما ورد ذلك فى الآية ۲۹ من سورة القمر: «فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ».

العبارة «خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ» إشارة إلى أنّ حديدة المحراث إذا احميت فى النار انغمرت سريعاً فى الأرض لاسيما فى الأرض الرخوة، نعم، فقد انغمرت منطقتهم وما عليها بهذه السرعة فى جوف الأرض إثر ذلك الزلزال العظيم.

ثم حذّر الإمام عليه السلام فى القسم الثالث من هذه الخطبة، عامّة الناس فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالفَ وَقَعَ فِى التِّيهِ ۱۲]!».

المراد من «الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ» الطريق الذى عرضه القرآن والسنّة والدليل العقلى والذى يهدى الناس إلى ماء الحياة المعنوية وأولئك الذين يضلون الطريق إنّما يحرمون من الهدى ويموتون على الكفر والإلحاد.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١١

وممّا لا شك فيه أنّ منهج وطريق الإمام عليه السلام أحد مصاديق «الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ» والبينة الواضحة، ذلك لأنّه بمنزلة نفس النّبى وأعلم الأمّة بمنهجه وطريقه، وهذا ما صرّح به الإمام عليه السلام فى الخطبة ٩٧ إذ قال: «و إِنّى لَعلى بيّنة مِنْ رَبّىَ ومِنهاج مِنْ نبى وَإِنّى لَعلى الطَّرِيقِ الواضحِ».

ومن البديهى أنّ الإنسان الذى يسير على الطريق القويم المعلوم إنّما يبلغ اثناء الطريق بعض المنازل ذات المياه الوفيرة، ومن يزلّ عن الطريق عادة مايجد نفسه فى الصحارى الجرداء القاحلة فيهلكه العطش.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٣

الخطبة ٢٠٢

اشارة

رُوىَ عَنْهُ أَنَّهُ قالَهُ عِنْدَ دَفْنِ سَيِّدَةِ النِّساءِ فاطِمَةَ عليها السلام،

كَالْمُناجى بِهِ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه و آله عِنْدَ قَبْرِهِ ١٣] و[١۴]

نظرة إلى الخطبة

كلام الإمام عليه السلام هذا بليغ إلى درجة؛ الكلام الذى يعكس حرقة قلب الإمام عليه السلام

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١۴

حين دفنه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، والذى يتضمن بث الشكوى الأليمة والمفجعة ولوعة الفؤاد التى تعكس شكوى الإمام عليه السلام للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله بشأن مصائب فاطمة الزهراء عليها السلام من جهة ومصابه بسبب فراق الزهراء عليها السلام من جهة أخرى، وجانب من الحقائق التاريخيّة المهمّة فى صدر الإسلام بصورة غير مباشرة؛ لكنّه يعكسها بصيغة بليغة وعميقة وسيرد شرح ذلك فى ختام تفسير هذا الكلام.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١۵

السَّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّى، وَعَنِ ابْنَتِك النَّازِلَةِ فِى جِوَارِك، وَالسَّرِيعَةِ اللِّحَاقِ بِك، قَلَّ، يَا رَسُولَ اللَّه، عَنْ صَ فِيَّتِك صَبْرِى، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِى، إِلَّا أَنَّ فِى التَّأَسِّى لِى بِعَظِيمِ فُرْقَتِك، وَفَادِحِ مُصِ يبَتِك، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُك فِى مَلْحُودَةِ قَبْرِك، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِى وَصَدْرِى نَفْسُك، «فَإِنَّا للَّه وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!»[١۵] فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ! أَمَّا حُزْنِى فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِى فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّه لِى دَارَك الَّتى أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتُنَبِّئُك ابْنَتُك بِتَضَافُرِ أُمَّتِك عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا

السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ؛ هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ، لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّه الصَّابِرِينَ.

الشرح والتفسير: لوعة على عليه السلام عند قبر الزهراء عليها السلام

قال الإمام عليه السلام هذا الكلام الأليم والمفجع حين وسد بيده الشريفة البدن الطاهر لسيدة النساء الزهراء البتول عليها السلام فى‌القبر، وهوالكلام‌الدال- من جهة- على عظمةالصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن جهة أخرى مدى لوعة على عليه السلام على فراقها الأليم.

اختار الإمام عليه السلام أروع وأفضل مخاطب فى بيان هذه العبارات؛ أى‌رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ليشكو له ذلك المصاب، فابتدأ كلامه قائلًا: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه عَنِّى، وَعَنِ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۶

ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِى جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللِّحَاقِ بِكَ».

ورغم أنّ مضمون كلام الإمام عليه السلام، شكوى أليمة ومفجعة؛ إلّاأنّ أدب الخطاب يقتضى أن يستهلّه بتحية النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله والسلام عليه.

تفيد العبارة: «النَّازِلَةِ فِى جِوَارِكَ» أنّ قبر سيّدة النساء عند قبر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وهذا يدعم نظرية من يرى أنّ الزهراء عليها السلام إنّما دفنت فى بيتها.

طبعاً يمكننا أن نعتبر الدفن فى البقيع على أنّه إلى جوار رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أو أن نعتبر المراد بالجوار هو الجوار الروحى والمعنوى فى الجنّة؛ غير أنّ المعنى الأوّل أنسب لظاهر العبارة ويؤيد ذلك العديد من الروايات.

أورد المرحوم الكلينى رواية تقول: إنّ أحد الصحابة أحمد بن محمد بن أبى نصر قال: سألت الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة عليها السلام فقال: «دُفِنَتْ فى بَيْتِها فَلَمّا زادَتْ بَنُو امَيَّةَ فى الْمَسْجِدِ صارَتْ فِى الْمَسْجِدِ»[۱۶].

العبارة: «السَّرِيعَةِ اللِّحَاقِ بِكَ» إشارة عميقة المعنى لهول مصائب الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام التى ساقتها فى ربيع عنفوان شبابها إلى الدار الأبدية فتكون المدّة التى أعقبت التحاقها بالنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله طبق بعض الروايات ۴۵ يوماً وطبق البعض الآخر ۷۵ يوماً وطبق روايةأخرى ۹۵ يوماً، كما قيل حسب بعض‌الروايات غيرالمشهورة ۴ أشهر و ۶ أشهر وهذا ما سنتطرق له فى مبحث التأملات بالإضافة إلى موضع قبرها.

ثم واصل الإمام عليه السلام خطابه للنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله قائلًا: «قَلَّ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنْ صَفِيَّتِكَ ۱۷] صَبْرِى، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِى ۱۸]، إِلَّا أَنَّ فِى التَّأَسِّى ۱۹] لِى بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ،

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۷

وَفَادِحِ ۲۰] مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ[۲۱]».

يشير إلى أنّ مصيبة الزهراء عليها السلام وإن كانت أليمة للغاية؛ لكنّ ألم مصيبتك كان أعظم وأعمق وتحملها هوّن احتمال هذه المصيبة، قطعاً كان مصاب على عليه السلام برحيل النّبى أعظم، وإن كانت فاطمة الزهراء زوجة عظيمة المنزلة انعدم مثيلها؛ فقد كان النّبى بمنزلة أبى على عليه السلام وإضافة إلى ذلك، كان بالنسبة لعلى القائد والمرشد والمعلم والأستاذ وبالتالى كلّ شىء لعلى، ومن هنا ورد فى الحديث أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لعلى عليه السلام: «يا أَبَا الرَّيْحانَتَيْنِ ... عَنْ قَلِيلٍ يَنْهَدُّ رُكْناكَ».

ولما توفى رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله قال على عليه السلام: «هذا أَحَدُ رُكْنَىَ الَّذى قالَ لى رَسُولُ اللَّه».

وقال حين استشهدت الصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام: «هذَا الرُّكْنُ الثّانى الَّذى قالَ رَسُولُ اللَّه»[۲۲].

ثم أضاف الإمام عليه السلام فى شرحه لهذا الكلام قائلًا: «فَلَقَدْ وَسَّدْتُك ۲۳] فِى مَلْحُودَةِ[۲۴] قَبْرِك، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِى وَصَدْرِى نَفْسُك، فَ «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»!».

ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ «نفس» هنا تعنى الدم (لأنّ أحد معانى النفس هو الدم) وقالوا: إنّ قليلًا من الدم خرج من فم النّبى عند وفاته وجرى على صدر على عليه السلام؛ ولكن هذا المعنى يبدو مستبعداً، على كلّ حال تفيد القرائن (كما تدل الخطبه ۱۹۷) أنّ رأس النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حين وفاته كان فى حجر على عليه السلام ففاضت روحه الطاهرة فمرّت على صدر على عليه السلام ونحره، رغم ما ذكره بعض

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۸

محدثى العامّة من أنّ عائشة قالت: «كان رأس رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى حجرى لما فاضت روحه»[۲۵]؛ فليس هنالك من دليل معتبر على هذا الكلام ولعله من قبيل العديد من الروايات التى سعوا من خلالها لنسب فضائل على عليه السلام الواحدة تلو الأخرى لغيره.

آنذاك عاد الإمام ثانية لشرح مصيبة الزهراء عليها السلام فخاطب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله قائلا؛ «فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ! أَمَّا حُزْنِى فَسَرْمَدٌ[۲۶]، وَأَمَّا لَيْلِى فَمُسَهَّدٌ[۲۷]، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّه لِى دَارَك الَّتى أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ».

هذه العبارة التى تعكس مدى لوعة على عليه السلام إزاء حادثة شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام تشير بوضوح إلى مدى قيمة سيّدة النساء لدى على عليه السلام وعمق الإرتباط العاطفى والمعنوى والروحى بينهما.

التعبير ب «وديعة» إشارة إلى مافعله رسول اللّه صلى الله عليه و آله على أعتاب وفاته حين أخذ بيد فاطمة ووضعها بيد على عليه السلام وقال: «يا أَبَاالْحَسَنِ هذِهِ وَدِيعَةُ اللَّهِ وَوَدِيعَةُ رَسُولِهِ عِنْدَك فَاحْفَظَ اللَّه وَاحْفَظْنى فيها وَإِنَّك لَفاعِلُهُ»[۲۸].

ويرى البعض أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال ذلك ليلة زفاف الزهراء عليها السلام، وذهب بعض الشرّاح إلى أنّ التعبير بالوديعة هنا يشير إلى أنّ أرواح الناس فى الأبدان شبيهة بالوديعة والأمانة التى تسترد عند الوفاة، إلّاأنّ هذا التفسير يبدو مستبعداً هنا.

ويمكن أن يكون التعبير ب «الرهينة» حيث إنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أخذ من على عليه السلام عهد الخلافة والوصاية والوفاء وكانت كريمته الزهراء عليها السلام رهينة إزاء ذلك.

وقد استعمل هذا التعبير كون الصديقة أعظم نعمة من اللّه على على عليه السلام.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۹

وتفسير العبارة: «أَمّا حُزْنِى فَسَرْمَدٌ» واضح، فالإمام عليه السلام لا يكاد يذكر البتول حتى تتجدد أحزانه وآلامه وهو الحزن الذى خيم على جميع تفاصيل حياة الإمام على عليه السلام.

والعبارة: «وَأَمَّا لَيْلِى فَمُسَهَّدٌ» كناية عن أنّى أعيش أغلب الليالى على ذكر تلك الصديقة الطاهرة، وأنّ ذكرها ليسلب من عينىَّ النعاس، وخير شاهد على ذلك الأشعار التى أنشدها بعد فراق فاطمة الزهراء عليها السلام:

نَفْسى عَلى زَفَراتِها مَحْبُوسَةٌيا لَيْتَها خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَراتِ

لا خَيْرَ بَعْدَكَ فِى الْحَياةِ وَإِنَّماأَبْكى مَخافَةَ أَنْ تَطُولَ حَياتى ۲۹]

آنذاك أشار الإمام عليه السلام إلى جانب من مصائب فاطمة الزهراء عليها السلام المفجعة فقال:

«وَسَتُنَبِّئُك ابْنَتُك بِتَضَافُرِ أُمَّتِك عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا[۳۰] السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ؛ هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْك الذِّكْرُ».

الظاهر أنّ هذه العبارات المقتضبة من أميرالمؤمنين على عليه السلام بغية رعاية الأدب عند قبر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فلا يخوض فيها ولا يشرحها، والتى تشير إلى الأحداث المأساوية التى أعقبت رحيل النّبى؛ من قبيل الهجوم على بيت الصديقة الطاهرة

فاطمة الزهرا عليها السلام، وإضرام النار فى البيت، وإسقاط جنينها المحسن وحمل الإمام على عليه السلام إلى المسجد بالقوّة من أجل البيعة وهذا ما سنتناوله فى ختام هذا البحث، وهى الأحداث التى لم ترد بصيغة مركزة فى مصادر الإماميّة والعجيب أنّها ذكرت صراحة فى مصادر العامّة.

والمفردة «تضافر» من مادة «ضفر» (على وزن ضعف) تعنى التعاون والتعاضد للقيام بعمل، إشارة إلى أنّ فئة من الامّة كانت شريكة فى ارتكاب تلك الجرائم، ولما كان الأعم الأغلب قد لاذ بالصمت الذى يعنى تأييد ذلك الفعل نسب إلى جميع

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۰

الأمّة، و «هضم» تعنى فى الأصل الظلم والكسر، والمفردة «عهد» هنا بمعنى الزمان ولها معانٍ أخرى.

كما يحتمل أن يكون المراد من هذا العهد هو العهد الذى أخذه رسول اللّه صلى الله عليه و آله بشأن خلافة على عليه السلام وحفظ حرمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما ابنته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وجعلهم عدل القرآن بمقتضى حديث الثقلين وأمثال ذلك؛ أى لم تمض مدّة طويلة على تلك العهود حتى نسيت طائفة من الامّة كلّ شىء وإرتكبت أفظع الجرائم التى تذهل العقول.

ثم اختتم خطبته مخاطباً النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وفاطمة الزهراء عليها السلام قائلًا: «وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّع، لَا قَالٍ [۳۱] وَلَا سَئِم [۳۲]، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَة، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّه الصَّابِرِينَ».

ورد فى رواية «الكافى» فى ذيل هذا الكلام: «واه واهاً وَالصَّبْرُ أَيْمَنُ وَأَجْمَلُ وَلَوْ لا غَلَبَةُ الْمُسْتَوْلِينَ لَجَعَلْتُ الْمَقامَ وَاللَّبْثَ لِزاماً مَعْكُوفاً وَلأَعْوَلْتُ إِعْوالَ الثَّكْلى عَلى جَلِيلِ الرَّزِيَّةِ فَبِعَيْنِ اللَّه تُدْفَنُ ابْنَتُك سِرّاً وَتُهْضَمُ حَقَّها وَتُمْنَعُ إِرْثَها وَلَمْ يَتَباعَدِ الْعَهْدُ وَلَمْ يَخْلُقْ مِنْك الذِّكْرُ وَإِلَى اللَّه يا رَسُولَ اللَّه الْمُشْتَكى وَفيك يا رَسُولَ اللَّه أَحْسَنَ الْعَزاء وَصَلَّى اللَّه عَلَيْك وَعَلَيْها السَّلامُ وَالرِّضْوانُ»[۳۳].

ويتضح بجلاء من هذه العبارات وما ورد فى «نهج البلاغة» مدى شدّة المصائب التى جرّعها الفسقة أهل البيت عليهم السلام وبضعة النّبى صلى الله عليه و آله عقب تلك المدّة الوجيزة بعد رحيل النّبى صلى الله عليه و آله والتى هزّت عليّاً عليه السلام بصفته جبل الحلم والصبر وجعلته يبكى بكاء الثكلى، والعجيب أنّ أسناد ذلك الهجوم البربرى على بيت الرسالة ورد فى مصادر العامّة بصورة مستفيضة.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۱

تأمّلات

اشارة

برغم قصر المدّة التى عاشتها فاطمة الزهراء، الصديقة الطاهرة سيّدة نساء العالمين؛ غير أنّ سيرتها وفضائلها ومناقبها ومصائبها طويلة للغاية، وقد أشار بعض شرّاح نهج البلاغة إلى جانب من ذلك حين تعرضوا لشرح هذه الخطبة، ومن الضرورى أن نشير بدورنا إلى بعض الأمور:

۱. فاطمة الزهراء عليها السلام على لسان رسول اللّه صلى الله عليه و آله

تتمتع الصديقة الطاهرة بنت رسول اللّه صلى الله عليه و آله بمنزلة رفيعة، وتتضح عصمتها من الذنوب من خلال ما ورد فيها من أحاديث النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حيث قال فيها:

«فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّى فَمَنْ أَغْضَبَها أَغْضَبَنى»[۳۴].

ومن الواضح أنّ غضب رسول اللّه صلى الله عليه و آله مدعاة لأذاه وقد صرّح القرآن الكريم بشأن مَن يؤذيه قائلًا:

«وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّه لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»[٣٥].

وليت شعرى أىدليل أدل على فضيلتها وعصمتها من حديث النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذى نص على أنّ رضاها رضى اللّه وغضبها غضبه سبحانه فقال:

«يا فاطِمَةُ إِنَّ اللَّه يَغْضَبُ لِغَضَبِك وَيَرْضى لِرِضاك»[٣٦].

ولتمتعها بهذه المنزلة العظيمة فهى سيّدة نساء العالمين فقال لها النّبى صلى الله عليه و آله:

«يا فاطِمَةُ! أَلا تَرْضينَ أنْ تَكُونى سَيِّدَةَ نِساءِ الْعالَمينَ، وَسَيِّدَةَ نِساءِ هذِهِ الامَّةِ وَسَيِّدَةَ نِساءِ الْمُؤْمِنينَ»[٣٧].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٢

٢. حرمة بيت الزهراء عليها السلام فى القرآن والسنّة

قال المحدّثون: لما نزلت الآية المباركة: «فِي بُيُوت أَذِنَ اللَّه أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ»[٣٨]. قرأ رسول اللّه هذه الآية: «فى بُيُوتِ أَذِنَ اللَّه أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيها اسْمُهُ» فقام إلَيْهِ رَجُلٌ: فَقالَ: أَىُّ بُيُوت هذِهِ يا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله؟ قالَ: بُيُوتُ الأَنْبِياءِ.

فَقامَ إلَيْهِ أَبُوبَكْرٍ، فَقالَ يا رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه و آله: أَهذَا الْبَيْتُ مِنْها، مُشيراً إلى بَيْتِ عَلِيٍّ وَفاطِمَةَ عليها السلام.

قالَ صلى الله عليه و آله: نَعَمْ، مِنْ أَفاضِلِها[٣٩].

كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يمرّ تسعة أشهر على بيت فاطمة فيسلم عليها وعلى على عليه السلام ٤٠] ويقرأ هذه الآية: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»[٤١].

البيت الذى كان مركز النور الإلهى وقد أمر اللّه أن يرفع إنّما يتمتع بحرمة عظيمة.

نعم البيت الذى يضم أصحاب الكساء ويثنى اللّه تبارك وتعالى عليه لابدّ أن يحظى باحترام قاطبة المسلمين.

وهنا لابدّ أن نرى كيفية التعامل مع حرمة ذلك البيت عقب وفاة رسول اللّه صلى الله عليه و آله؟

وكيف هتكت حرمة ذلك البيت، وقد اعترفوا أنفسهم بذلك صراحة؟

ومن هم أولئك الذين انتهكوا الحرمات، وماذا كان هدفهم؟

٣. انتهاك حرمة بيت الزهراء عليها السلام

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٣

للأسف رغم كلّ هذه الوصايا والتأكيدات فإنّ البعض تجاهل هذه الحرمة وانتهكها، وهذه ليست بالمسألة الهينة التى يمكن التغاضى عنها.

وسنذكر هنا نصوصاً من مصادر العامّة ليتضح من خلالها أنّ انتهاك حرمة بيت الزهراء عليها السلام وما تبعه من أحداث، قضية تاريخيّة ومسلّمة؛ وليست خرافة! ورغم الضغوط الشديدة فى عصر الخلفاء إزاء ذكر وتدوين فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام إلّاأنّ «الشمس لا تحجب بالغربال» فلم تحجب هذه الحقيقة التى بقيت حيّة فى بطون كتب التاريخ والحديث، وسنراعى الترتيب الزمانى فى عرض الوثائق منذ القرون الأولى حتى العصر الحاضر.

الف) ابن أبى شيبة، المحدّث المعروف لدى العامّة فى كتاب «المصنّف»

قال أبوبكر بن أبىشيبة (١٥٩- ٢٣٥) مؤلف كتاب «المصنّف» بسند صحيح:

«إِنَّهُ حينَ بُويِعَ لأبى بَكْر بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله كانَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ يَدْخُلانِ عَلى فاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّه، فَيُشاوِرونَها

وَيَرْتَجِعُونَ فى أَمْرِهِم. فَلَمّا بَلَغَ ذلِكَ عُمَرَ بنَ الْخَطّابِ خَرَجَ وَدَخَلَ عَلى فاطِمَةَ، فَقالَ: يا بِنْتَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله وَاللَّهِ ما أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْنا مِنْ أَبِيك وَما مِنْ أَحَد أَحَبُّ إِلَيْنا بَعْدَ أَبيك مِنْك، وَأَيْمُ اللَّه ما ذاك بِمانِعى إِنِ اجْتَمَعَ هؤلاءِ النَّفَرُ عِنْدَك أَنْ أَمرْتُهُمْ أَنْ يُحْرَقَ عَلَيْهِمُ الْبَيْتُ.

قالَ: فَلَمّا خَرَجَ عُمَرُ جاؤُوها، فَقالَتْ: تَعْلَمُونَ أَنَّ عَمَرَ قَدْ جاءَنى، وَقَدْ حَلَفَ بِاللَّه لَئِنْ عُدْتُم لَيحرِقَنَّ عَلَيْكُمُ الْبَيْتَ، وَأَيْمُ اللَّه لَيَمِضَيَنَّ لِما حَلَفَ عَلَيْهِ»[۴۲].

وقد وردت هذه الحادثة بسند صحيح فى كتاب «المصنّف».

ب) البلاذرى، المحدّث الكبير عند العامّة فى كتاب «أنساب الاشراف»

روى أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى البلاذرى (م ۲۷۰) صاحب التاريخ المعروف، هذه الحادثة التاريخيّة فى كتابه «أنساب الأشراف» قائلًا:

«إِنَّ أَبابَكر أَرْسَلَ إلى عَلِىٍّ يُريدُ الْبَيْعَةَ فَلَمْ يُبايِعْ، فَجاءَ عُمَرُ وَمَعَهُ فَتيلة! فَتَلَقَّتْهُ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۴

فاطِمَةُ عَلَى الْبابِ.

فَقالَتْ فاطِمَةُ: يَا ابْنَ الْخَطّاب، أَتَراك مُحْرِقاً عَلَىَّ بابى؟ قالَ: نَعَمْ، وَذلِك أَقْوى فيما جاءَ بِهِ أَبُوك ....»[۴۳].

ج) ابن قتيبة وكتاب «الإمامة والسياسة»

المؤرّخ الشهير عبداللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينورى (۲۱۲- ۲۷۶) من أساطين الأدب، وكتاب التاريخ الإسلامى ومؤلف كتاب (تأويل مختلف الحديث)، (أدب الكاتب) و ....[۴۴] قال فى كتاب «الإمامة والسياسة»:

«إنّ أبابَكْر (رض) تَفَقَّدَ قَوْماً تَخَلَّفُوا عَنْ بَيْعَتِهِ عِنْدَ عَلىّ كَرَّمَ اللَّه وَجْهَهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عُمَرَ فَجاءَ فَنادَاهُمْ وَهُمْ فى دارِ عَلِىٍّ، فَأَبَوْا أَنْ يَخْرُجُوا فَدَعا بِالْحَطَب وَقالَ:

وَالَّذى نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لَتَخْرُجَنَّ أَوْ لأُحْرِقَنَّها عَلى مَنْ فيها، فَقيلَ لَهُ: يا أبا حَفص إِنَّ فيها فاطِمَةَ. فَقالَ: وَإِنْ!»[۴۵].

وأضاف ابن قتيبة عقب ذكره لهذه الحادثة البشعة والمؤلمة فقال:

«ثُمَّ قامَ عُمَرُ فَمَشى مَعَهُ جَماعَةٌ حَتّى أَتَوْا فاطِمَةَ فَدقُّوا الْبابَ فَلَمّا سَمِعَتْ أَصْواتَهُم نادَتْ بِأَعْلى صَوْتِها يا أَبَتاهُ يا رَسُولَ اللَّه ماذا لَقينا بَعْدَك مِنِ ابنِ الْخَطّابِ وَابنِ أَبىقُحافة فَلَمّا سَمِعَ الْقَوْمُ صَوْتَها وَبُكاءَها انْصَرَفُوا وَبَقِىَ عُمَرُ وَمَعَهُ قَوْمٌ فَأَخْرَجُوا عَلِيّاً فَمَضَوْا بِهِ إلى أبى بَكْر فَقالُوا لَهُ: بايِعْ، فَقالَ: إِنْ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ فَمَه؟

فَقالُوا: إِذاً وَاللَّه الَّذى لا إِلهَ إِلّا هُوَ نَضْرِبُ عُنُقَك ...!»[۴۶].

طبعاً يصعب جدّاً هضم هذه الحقبة من التاريخ على بعض الموالين للشيخين، لذلك سعى البعض للتشكيك فى نسب هذا الكتاب لابن قتيبة، فى حين يراه ابن

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۵

أبىالحديد الأستاذ البارع فى التاريخ، أنّه من كتبه وقد روى منه العديد من المطالب، والمؤسف أنّ هذا الكتاب طالته يد التحريف وحذفت بعض مواضيعه عند الطباعة، بينما وردت نفس تلك المطالب فى «شرح نهج البلاغة» لابن أبى الحديد المعتزلى.

وعدّه الزركلى فى كتاب «الأعلام»، من آثار ابن قتيبة وقال: هنالك رأى للعلماء فى هذه النسبة؛ أىأنّه ينسب الشك إلى الآخرين وليس لنفسه، كما يراه إلياس سركيس من كتب ابن قتيبة[۴۷].

د) الطبرى وتاريخه

ذكر محمد بن جرير الطبرى (م ۳۱۰) فى تاريخه حادثة هتك حرمة بيت الوحى فقال:

«أتى عُمَرُ بنُ الْخَطّابِ مَنْزِلَ عَلِيٍّ وَفيهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَرِجالٌ مِنَ الْمُهاجِرِينَ، فَقالَ: وَاللَّهِ لَاحْرِقَنَّ عَلَيْكُمْ أَوْ لَتَخْرُجَنَّ إلى الْبَيْعَةِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ الزُّبيرُ مُصْلِتاً بِالسَّيْفِ فَعَثَرَ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ»[۴۸].

تفيد هذه الحقبة التاريخيّة أنّ أخذ البيعة للخليفة تمّ فى ظلّ التهديد والوعيد وأمّا قيمة مثل هذه البيعة فمتروكة لإنصاف القراء الأعزاء.

ه) ابن عبد ربه وكتاب «العقد الفريد»

أورد شهاب الدين أحمد المعروف ب (ابن عبد ربه الأندلسى) مؤلف كتاب (العقد الفريد) (م ۴۶۳) بحثا مسهباً فى كتابه بشأن تاريخ السقيفة، فقد قال فى فصل من تخلف عن بيعة أبى‌بكر:

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۶

«فَأمّا عَلِيٌّ وَالْعَبّاسُ وَالزُّبَيرُ فَقَعَدُوا فِى بَيْتِ فاطِمَةَ حَتّى بَعَثَ إلَيْهِمْ أَبُوبَكْر، عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ بَيْتِ فاطِمَةَ وَقالَ لَهُ: إنْ أَبَوْا فَقاتِلْهُمْ، فَأَقْبَلَ بِقَبَس مِنْ نار أَنْ يُضرِمَ عَلَيْهِمُ الدّارَ، فَلَقِيَتْهُ فاطِمَةُ فَقالَتْ لَهُ: يا ابْنَ الْخَطّابِ أَجِئْتَ لِتُحْرِقَ دارَنا؟! قالَ: نِعَمْ، أَوْ تَدْخُلُوا فيما دَخَلَتْ فيهِ الأُمَّةُ!»[۴۹].

تمّ إلى هنا الفصل الذى صرّح فيه بالعزم على انتهاك الحرمة، ونخوض الآن فى الفصل الثانى الذى يفيد التطبيق العملى لنيّة السوء المبيتة، والحذر من الاعتقاد بأنّ نيّة القوم كانت تقتصر على التهديد والوعيد ليجبروا عليّاً عليه السلام وصحبه على البيعة وأنّهم لم يكونوا يفكرون بتفعيل ذلك التهديد.

وقوع الهجوم

انتهى إلى هنا كلام تلك الطائفة من المؤرّخين الذين اقتصروا على الإشارة إلى سوء نيّة الخليفة وبطانته، الطائفة التى لم ترد أو لم تستطع عكس الفصول القادمة لتلك الفاجعة بصورة واضحة، فى حين أشار البعض الآخر إلى أصل الجريمة؛ أى الهجوم على البيت و ... وإليك الآن وثائق الهجوم وانتهاك حرمة بيت الرسالة والوحى، بيت فاطمة الزهراء عليها السلام: (وسنراعى فى هذا الفصل أيضاً الترتيب الزمانى فى نقل المصادر).

و) أبوعبيد وكتاب «الأموال»

قال أبوعبيد، قاسم بن سلام (م ۲۲۴) فى كتابه (الأموال) الموثق عند العامّة:

«قال عبدالرّحمن بن عوف: عدت أبابكر فى مرضه فى بيته، فقال بعد كلام طويل: وددت أنى لم أفعل ثلاثاً كنت فعلتهنّ، كما وددت أنى سألت النّبى عن ثلاث؛ وإحدى الثلاث التى فعلتها وودت أنّى لم أفعلها: «وَدَدْتُ أنّى لَمْ أكْشِفْ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۷

بَيْتَ فاطِمَةَ وَتَرَكْتُهُ وَإنْ أُغْلِقَ عَلَى الْحَرْبِ»[۵۰].

قال أبوعبيد لما بلغ هذا الموضع بدلًا من العبارة: «لم أكشف بيت فاطمة وتركته ...»: «كذا وكذا» وقال، لا أود ذكره!

ورغم امتناع أبى عبيد، عن ذكر الحقيقة بسبب تعصبه المذهبى أو لعلة أخرى؛ غير أنّ المحقّقين لكتاب الأموال قالوا فى الحاشية: وردت العبارة المحذوفة فى كتاب ميزان الاعتدال، كما ذكر الطبرانى تلك العبارة فى معجمه وابن عبد ربّه فى العقد الفريد، وغيرهم من المؤرخين. (لابدّ من الدقّة!).

ز) الطبرانى و «المعجم الكبير»

أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (۲۶۰- ۳۶۰) الذى عدّه الذهبى فى ميزان الاعتدال ثقة[۵۱]. حيث تحدّث فى كتاب (المعجم الكبير) الذى طبع كراراً عن أبى بكر ووفاته:

ود أبوبكر عند وفاته أموراً فقال: وددت أنّى لم أفعل ثلاثاً وفعلت ثلاثاً وسألت رسول اللّه عن ثلاث: «أمّا الثّلاثُ اللّائى وَدَدْتُ أنّى لَمْ أَفْعَلْهُنَّ، فَوَدَدْتُ أنّى لَمْ أَكُنْ أكْشِفُ بَيْتَ فاطِمَةَ وَتَرَكْتُهُ ...»[۵۲].

تفيد هذه العبارات أنّ تهديدات عمر دخلت حيز التنفيذ وفتح باب الدار بالقوّة (أو بالنار).

ح) أيضاً ابن عبد ربّه و «العقد الفريد»

روى ابن عبد ربّه الأندلسى مؤلف كتاب العقد الفريد (م ۴۶۳) فى كتابه عن

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۸

عبدالرحمن بن عوف:

«دَخلتُ عَلى أبى بَكرٍ فِى مَرضِهِ فَقَالَ: وَدَدّتُ أنّى لَم أفعَل ثَلاثاً إحدَاها:

وَدَدْتُ أنّى لَمْ أكْشِفْ بَيْتَ فاطِمَةَ عَنْ شىء وَإنْ كانُوا أغْلَقُوهُ عَلَى الْحَرْبِ»[۵۳].

وسيرد علينا أسماء وعبارات سائر الشخصيات الذين نقلوا هذا القسم من كلام الخليفة.

ط) كلام النظّام فى كتاب «الوافى بالوفيات»

إبراهيم بن سيار النظّام المعتزلى (۱۶۰- ۲۳۱) الذى لقب بالنظّام لجمال كلامه فى النظم والنثر، نقل فى عدّة كتب تفاصيل الواقعة بعد الوقوف على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام. فقال:

«إنَّ عُمَرَ ضَرَبَ بَطْنَ فاطِمَةَ يَوْمَ الْبَيْعَةِ حَتّى ألْقَتِ الْمُحسِنَ مِنْ بَطْنِها»[۵۴].

ى) المبرّد فى كتاب «الكامل»

كتب ابن أبى الحديد: روى الأديب المعروف صاحب المؤلفات المشهورة محمد بن يزيد بن عبدالأكبر البغدادى (۲۱۰- ۲۸۵) فى كتاب «الكامل» عن عبدالرحمن بن عوف، قصّة أمانى الخليفة فقال:

«وَدَدْتُ أنّى لَمْ أكُنْ كَشَفْتُ عَنْ بَيْتِ فاطِمَةَ وَتَرَكْتُهُ وَلَوْ أُغْلِقَ عَلَى الْحَرْبِ»[۵۵].

ك) المسعودى و «مروج الذهب»

كتب المسعودى (م ۳۲۵) فى «مروج الذهب»: لما حضرت أبابكر الوفاة قال:

نفحات الولايه، ج۸، ص: ۲۹

فعلت ثلاثاً تمنيت أنّى لم أفعلها:

«فَوَدَدْتُ أنّى لَمْ أكُنْ فَتَّشْتُ بَيْتَ فاطِمَةَ» وَذَكَرَ فى ذلِك كَلاماً كَثيراً!!![۵۶].

ورغم اعتقاد المسعودى بأهل البيت؛ لكنه امتنع هنا عن التعرض لكلام الخليفة ومرّ عليه على نحو الكناية، وبالطبع فإنّ اللَّه يعلم السبب وعباد اللَّه أيضاً يعلمونه إجمالًا!

ل) الذهبى وكتاب «ميزان الاعتدال»

روى الذهبى فى كتاب «ميزان الاعتدال» عن الحافظ محمّد بن أحمد الكوفى أنّه قرأ هذا الخبر على أحمد بن محمّد المعروف ب (ابن أبى دارم)، المحدّث الكوفى (م ۳۵۷):

«إنّ عُمَرَ رَفَسَ فاطِمَةَ حَتّى أسْقَطَتْ بِمُحْسِن!»[۵۷].

م) عبدالفتاح عبدالمقصود وكتاب «الإمام على»

فقد ذكر الهجوم على بيت الرسالة فى موضعين من كتابه ونكتفى بنقل أحدهما:

قال عمر: «وَالّذى نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَيَخْرُجَنَّ أوْ لَاحْرِقَنّها عَلى مَنْ فِيها ...! قالتْ لَهُ طَائِفَةٌ خافتْ اللَّهَ وَرَعتْ الرّسُولَ فِى عَقِبِهِ: يا أباحَفْص، إنَّ فِيها فاطِمَةَ ...»!

فَصاحَ لايُبالى: وَإن ...! وَاقْتَرَبَ وَقَرَعَ الْباب، ثُمَّ ضَرَبَهُ وَاقْتَحَمَهُ ... وَبَدا لَهُ عَليّ ... وَرَنَّ حينَذاك صَوْتُ الزَّهْراءِ عِنْدَ مَدْخَلِ الدّارِ ... فَإنْ هِىَ إلّاطَنينَ اسْتِغاثَة ...!»[۵۸].

ونختتم هذا البحث برواية أخرى عن مقاتل بن عطيّة فى كتاب الإمامة والخلافة (وإن كان هنالك الكثير الذى يقال!).

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۰

حيث ذكر فى هذا الكتاب:

«إنّ أبابكر بَعْدَ ما أَخَذَ الْبَيْعَةَ لِنَفْسِهِ مِنَ النّاسِ بِالإرْهابِ وَالسَّيْفِ وَالْقُوَّةِ أرْسَلَ عُمَرَ وَقُنْفُذاً وَجَماعَةً إلى دارِ عَلىّ وَفاطِمَةَ علیهما السلام وَجَمَعَ عُمَرُ الْحَطَبَ عَلى دارِ فاطِمَةَ وَأَحْرَق بابَ الدّارِ! ...»[۵۹].

وردت فى ذيل هذه الرواية عبارات يعجز القلم عن بيانها.

النتيجة

بالرغم من كلّ هذه الوثائق الواضحة وأغلبها من مصادر العامّة مازال هناك البعض الذى يستعمل عبارة «اسطورة الشهادة» ويؤمن بأنّ هذه الحادثة المريرة مصطنعة! ولولا إصرار هذا البعض على نفى هذه الحقائق لما أسهبنا إلى هذا الحد فى البحث.

۴. القبر الطاهر لفاطمة الزهراء عليها السلام

إن إحدى المصائب العظيمة لبضعة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّ قبرها الشريف مازال مجهولًا لحدّ الآن؛ ويرى البعض وحسب طائفة من الروايات أنّها دفنت فى البقيع، والبعض الآخر أنّها دفنت فى بيتها إلى جانب مسجد النّبى، وآخرون أنّها دفنت فى الروضة (المسافة الواقعة بين قبر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومنبره الشريف).

وهذا المطلب يحمل كلّ محقق على التفكير، ترى، ما العاصفة التى اعترت الامّة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله ليخفى القبر الطاهر لبضعة النّبى الوحيدة؟ وإن دلّت أغلب القرائن على دفنها فى بيتها، فالدفن فى الروضة لم يكن هيناً آنذاك ومن المستبعد أن يرضى على عليه السلام بهذا العمل، كما لا ينسجم دفنها فى البقيع وما ورد فى هذه الخطبة، لأن

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۱

العبارة: «النّازِلَةِ فِى جَوارِكَ» تشير إلى أنّ قبرها عليها السلام كان جوار قبر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

روى المرحوم العلّامة المجلسى عن إبراهيم بن محمّد الهمدانى أنّه قال: كتبت للإمام الهادى (على بن محمّد النقى عليهما السلام) أخبرنى عن قبر فاطمة عليها السلام! فكتب إلىَّ:

«هِىَ مَعَ جَدّى صَلَواتُ اللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ»[۶۰].

قال المرحوم الصدوق: الصحيح عندى أنّها دفنت فى بيتها وحين زاد بنو امية فى المسجد أصبحت جزءً منه [۶۱].

ورغم أنّ قبر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسائر القبور هى داخل المسجد؛ ولكنه عزل عن المسجد بواسطة الجدران والشبابيك.

روى فى كتاب «عيون أخبار الرضا عليه السلام» عن البزنطى قال: «سألت الرضا عن قبر فاطمة؛ قال:

«دُفِنَتْ فى بَيْتِها فَلَمّا زادَتْ بَنُو امَيَّةَ فى الْمَسْجِدِ صارَتْ فِى الْمَسْجِدِ»[۶۲].

وعليه فكلّ من يقف عند قبر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى الروضة المقدّسة ويزور فاطمة الزهراء عليها السلام فإنّه ينال إن شاء اللّه فضيلة زيارتها عن قرب، كما يمكن زيارتها فى البقيع برجاء المطلوبية.

۵. زمان شهادة بضعة النّبى

لم يقتصر الخلاف على موضع دفن بضعة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فحسب، بل هنالك خلاف حتى فى تاريخ وفاتها.

ففى الرواية المعروفة عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۲

«إِنَّ فاطِمَةَ عليها السلام مَكَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله خَمْسَةً وَسَبْعينَ يَوْماً».

وورد فى ذيل هذه الرواية:

«كَانَ سَبَبُ فَوْتِها أَنَّ قُنْفُذَ مَوْلى عُمَرَ لَكَزَها بِنَعْلِ السَّيْفِ بِأَمْرِهِ فَأَسْقَطَتْ مُحْسِناً وَمَرِضَتْ مِنْ ذلِكَ مَرَضاً شَديداً»[۶۳].

وبالنظر إلى أن وفاة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله كانت فى ۲۸ صفر فإنّ شهادتها لابدّ أن تكون فى أحد هذه الأيّام الثلاثة؛ الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر من جمادى الأولى (مع الأخذ بنظر الاعتبار احتمال تمامية أو نقصان الأشهر الوسط).

وورد فى رواية أخرى أنّ الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام توفيت يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الآخرة السنة الحادية عشرة للهجرة[۶۴] وتنسجم هذه الرواية مع الرأى القائل أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام عاشت بعد أبيها ۹۵ يوماً.

وعدّ المرحوم العلّامة المجلسى فى «زاد المعاد» هذا القول بشأن زمان وفاة الزهراء عليها السلام، معتبراً وقال: وهذا مقبول الشيخ الطوسى والسيّد ابن طاووس وآخرين، ورغم منافاة هذه الرواية مع رواية ال ۷۵ يوماً؛ ولكن حيث تعززها رواية مشهورة ومعتبرة، فلابدّ من إقامة مراسم العزاء على الصديقة الطاهرة فى اليوم الثالث من جمادى الثانية[۶۵].

كما ورد فى رواية غير مشهورة أنّها عاشت بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه و آله ۴۰ يوماً[۶۶].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۳

الخطبة ۲۰۳

اشارة

فِى التَّزْهيدِ مِنَ الدُّنْيا وَالتَّرْغيبِ فِى الآخِرَةِ[۶۷]

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة القصيرة والعميقة المعانى إلى بضعة أمور:

۱. أنّ الدنيا دار ممر ليس أكثر وأنّ الآخرة هى مقرّ الإنسان الأبدى ولابدّ من التزود من الممر لدار المقرّ.

۲. ينبغى للإنسان أن يحلق بروحه خارج الدنيا قبل أن يزول جسده.

۳. الدنيا دار امتحان ومسرح ابتلاء.

۴. إنّ الناس ينظرون إلى أموال الإنسان التى يخلفها حين يغادر الدنيا بينما تنظر الملائكة إلى أعماله.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۵

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَاز، وَالْاخِرَةُ دَارُ قَرَار، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ للَّهِ آبَاؤُكُمْ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً، وَلَا تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ.

الشرح والتفسير الدنيا ممرّ

أشار الإمام عليه السلام فى بداية هذه الخطبة إلى مسألة مهمّة بشأن حقيقة الدنيا والآخرة حيث تعدّ الغفلة عنها مصدر شقاء الإنسان وتعاساته، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَاز[۶۸]، وَالأَخِرَةُ دَارُ قَرَار، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ».

إنّ أغلب المشاكل تنبع من كون الإنسان يرى الدنيا دار بقاء، ومن هنا ينهمك بجمع المال والثروة عن أى طريق ومهما كلّف الأمر، ويبخل بها إزاء صرفها فى الأمور الخيرية، ولذلك يرتكب العديد من الأفعال السيئة ويسوّف التوبة، وقد وردت هذه الحقيقة بعدّة تعبيرات فى الروايات لتعتبر الدنيا أحياناً:

«الدنيا قنطرة»[٦٩]، وأخرى: «مَتْجَرُ أوْلِياءِ اللَّه»[٧٠]، وتارة «الدُّنْيا مَزْرَعَةُ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٦

الآخِرَةِ»[٧١] والتى تفيد جميعاً ذات المعنى.

ثم أشار فى هذا السياق إلى أمر آخر فقال: «وَ لَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ».

يرى أغلب الشرّاح أنّ هذه العبارة تشير إلى عدم التجاهر بالمعصية، لأنّ المعصية الخفية فى الواقع معصية واحدة، بينما تعتبر المعصية العلنية مضاعفة كونها انتهاك للستار وتلويث للبيئة الاجتماعية؛ إلّاأنّ بعض الشرّاح اعتبرها إشارة إلى أعمال الخير فإنّها أفضل أن يؤتى بها فى الخفاء، والحال العبارة (وَلا تَهْتِكُوا) لا تتناسب مع هذا المعنى.

على كلّ حال فإنّ اللَّه ستّار العيوب وغفّار الذنوب؛ فمادام العبد لا يهتك الستر فإنّ اللَّه يستر العيب والذنب.

فقد ورد فى الحديث عن أميرالمؤمنين على عليه السلام: «ما مِنْ عَبْد إلّاوَعَلَيْهِ أرْبَعُونَ جُنّة حَتّى يَعْمَلَ أرْبَعينَ كَبيرَة فَإذا عَمِلَ أرْبَعينَ كَبيرَة انْكَشَفَتْ عَنْهُ الجُنَنْ». ثم قال الإمام عليه السلام مواصلًا كلامه: «فَيوحِى اللَّهُ إلَيهَم أنْ استُروا عَلى عَبدِى بِأجْنِحَتِكُم فَتَستُرُهُ المَلائِكةُ بِأجنِحَتِها، قالَ: فَما يَدع شَيئاً مِنَ القَبِيحِ إلّاقَارَفَهُ حَتّى يَمتَدِحَ إلى النّاسَ بِفِعْلِهِ القَبيحَ، فَيقَولُ المَلائكةُ: ياربّ هَذا عَبدُكَ ما يَدعُ شَيئاً إلّارَكِبَهُ، وَإنّا لَنَستَحى مِمّا يَصنَعُ، فَيُوحِى اللَّهُ عزّ وجلّ إلَيهِم أنْ ارفَعُوا أَجْنِحَتَكُم عَنهُ فَإذا فَعَلَ ذَلكَ أخذ فِى بُغضِنا أهلَ البَيتِ فَعندَ ذَلِكَ يَنهَتِكُ سِتْرَهُ فِى السَّماءِ وَسِتْرَهِ فِى الأرضِ، فَيقَولُ المَلائكةُ: ياربّ هَذا عَبدُكَ قَد بَقى مَهتُوكَ السِّترِ، فَيُوحِى اللَّهُ عزّوجلّ إلَيهِم: لَو كَانَتْ للَّهِ فِيهِ حَاجَةً مَا أَمرَكُم أنْ تَرفَعُوا أَجنِحَتَكُم عَنهُ»[٧٢].

ولعل إرتباط هذه العبارة بالعبارات السابقة أنّ من أسوأ الذنوب التى تخرب الدار الآخرة للإنسان يكمن فى التجاهر بالمعصية.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٧

ثم واصل الإمام عليه السلام حديثه عن الزهد فى الدنيا مشيراً إلى نقطة ثالثة فقال:

«وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ».

إخراج القلوب، كناية لطيفة عن ترك التعلّقات الدنيوية والتهافت على متاعها وحطامها، والتعبير «مِنْ قَبْلِ أنْ تَخْرُجَ ...» تحذير من تقلب هذا العالم بمعنى أفيقوا فإنّ هذه الأجساد ستصبح تراباً فاسعوا لإخراج قلوبكم من هذه الدنيا قبل الأوان فحبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة.

طبعاً لا يعنى هذا أن لا يتمتع المسلمون بحوائج الحياة أو أن تتخلف المجتمعات الإسلاميّة عن التقدم الاقتصادى ويحتاجون إلى غيرهم، بل المراد التبعية الشديدة التى تضطر الإنسان لخرق القانون ومن هنا عدّ الشرّاح هذه العبارة إشارة لترك الأموال الحرام.

ثم قال فى رابع نقطة واكمال ما سبق فقال: «فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ».

فهاتان العبارتان الموجزتان توضحان كلّ شى ويشير الالتفات إليهما إلى المسار السعيد لحياة الإنسان، نعم فالدنيا دار امتحان والآخرة دار الخلود، قال تعالى:

«أَحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»[٧٣]، فالامتحان الإلهى كوسيلة لتكامل الإنسان وتهذيبه أمر قطعى لا مفرّ منه وبعبارة أخرى من أهداف خلق الإنسان الذى لا استثناء فيه ولابدّ من التعرض لها فى الليل والنهار والسر والعلانية والكهولة والشباب.

ثم أشار إلى ثلاثة أمور مهمّة أخرى وقال؛ «إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟».

المراد من الناس هنا المتعلقين بالدنيا الذين غالباً ما يسألون عن أموال وثروات من يموت، والحال انقطعوا نهائياً عن تلك الأموال وعليهم أن يجيبوا عن طرق تحصيل هذه الأموال يوم القيامة والطريف أنّه جعل مقابلهم الملائكة الذين يقتصر

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۸

تركيزهم على الأمور والمسائل المعنوية.

ثم قال فى الأخير: «للَّه آبَاؤُكُمْ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً، وَلَا تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ».

الجملة «للَّه آبَاؤُكُمْ!» تذكر عادة للتعجب المقرون بالاحترام ۷۴] والمراد من الجملة «فَقَدِّمُوا بَعْضاً ...» أنّ الإنسان مادام حيّاً ينفق من أمواله فى سبيل اللَّه على الفقراء أو الأمور الخيرية بمقتضى «وَمَا عِنْدَ اللَّه بَاق»[۷۵] و «مَّنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّه قَرْضاً حَسَناً»[۷۶] والتعبير ب «بعض» حتى لا ينبغى للإنسان أن يحرم ورثته المحتاجين غالباً فذلك بعيد عن الانصاف، وقد ورد الذم فى الروايات على من ينفق أمواله فى حياته ولا يترك شيئاً للورثة.

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى أحد الأنصار الذى أنفق جميع أمواله قبل موته ولم يبق شيئاً لأولاده: «لَوْ أَعْلَمْتُمُونى أَمْرَهُ ما تَرَكْتُكُمْ تَدْفُنُوهُ مَعَ الْمُسْلِمينَ يَتْرُك صِبيَتَهُ صِغاراً يَتَكَفَّفُونَ النّاسَ»[۷۷]. طبعاً هذا النهى فى من له ورثة محتاجون.

من جانب آخر ورد الذم بشدّة لمن لا ينفق شيئاً من أمواله فى سبيل اللَّه ويبقيه جميعاً للورثة.

قال الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير الآية «كَذَلِك يُرِيهِمُ اللَّه أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ»[۷۸]: «هُوَ الرَّجُلُ يَدَعُ مالَهُ لا يَنْفِقُهُ فى طاعَةِ اللَّه بُخلًا ثُمَّ يَمُوتُ فَيَدَعُهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فيهِ بِطاعَةِ اللَّه أوْ فى مَعْصِيَةِ اللَّه فإنْ عَمِلَ بِهِ فى طاعَةِ اللَّه رَآهُ فى ميزانِ غَيْرِهِ فَرآهُ حَسْرَةً وَقَدْ كانَ الْمالُ لَهُ وَإنْ كانَ عَمِلَ بِهِ فى مَعْصِيَةِ اللَّه قَوّاهُ بِذلِك الْمالِ حَتّى عَمِلَ بِهِ فى مَعْصِيَةِ اللَّه عَزَّوَجَلَّ»[۷۹].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۹

الجملة «فَرْضاً عَلَيْكُمْ» إشارة إلى أنّه إن خلّف كلّ أمواله للورثة فحسابها عليه فى القيامة ومنافعها للاخرين.

وهنا لطيفة أدبية أنّ الإمام على عليه السلام استفاد فى هاتين العبارتين من أربعة أشياء، «قدّموا» فى مقابل «لا تخلفوا» و «بعض» إزاء «كلّ» و «قرض» مقابل «فرض» و «لكم» فى مقابل «عليكم» وهى دلالة على فصاحة وبلاغة كلام الإمام عليه السلام.

تأمّل: الإكثار من هذه العبارة

الأجدر بكلّ إنسان أن يتلو كلّ صباح هذه العبارة، فالغفلة والإنهماك طبيعة الدنيا؛ الغفلة التى غالباً ما تؤدى إلى المعصية التى تبعد العبد عن اللَّه.

فالعبارة المذكورة وضحت موضع الدنيا وتضمنت وصايا بشأن الاستعداد والتاهب لذلك السفر المصيرى.

طبعاً كلمات الإمام عليه السلام لا تعنى أن يكفّ الإنسان عن السعى من أجل الحياة المادية، فذلك مدعاة للفقر والعوز، فالفقر هو الأساس لأنواع المعاصى والتغرب عن الإسلام وهى التبعية التى تقضى على عزّة الإسلام وتكسر شوكته؛ بل المراد تغيير النظرة إلى الدنيا؛ التمتع بجميع النعم ولكن شريطة الاستفادة من الأموال فى سبيل قضاء الحوائج واستثمارها من أجل نيل السعادة فى الدار الآخرة وتسكين أنين المحرومين، والابتعاد عن كنز الأموال والثروة وإنفاق قسمٍ من الأموال حال الحياة وآدخارها للمعاد.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۱

الخطبة ۲۰۴

اشارة

كانَ كَثيراً ما يُنادى بِهِ أصْحابه ٨٠]

نظرة إلى الخطبة

يستفاد من العنوان الذى اختاره السيد الرضى للخطبة أنّ الإمام عليه السلام خاطب صحبه كراراً وكثيراً ما كرر هذا الكلام، كما يفهم من رواية وردت فى «مصادر نهج البلاغة» أنّه عليه السلام نادى الناس ثلاثاً بعد صلاة العشاء ليسمع الجميع ويطرق سمعهم هذا الكلام، والخطبة فى الواقع موعظة لجميع الناس أنّ الحياة الدنيا قصيرة ولابدّ من الاستعداد للمنازل المرعبة بعدها كالقبر والبرزخ والقيامة، تحذير بقطع التعلق العميق بالدنيا وأنّ عمرها قصير ونهايتها وشيكة، تحذير بغية التزود لذلك السفر الطويل والخطير.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۳

تَجَهَّزُوا، رَحِمَكُمُ اللَّه، فَقَدْ نُودِىَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَابُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْاُمُورِ، وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْذُورِ. فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

الشرح والتفسير: الابتعاد عن طلّاب الدنيا

تشبه هذه الخطبة الخطبة السابقة وتدور فى فلكها، فهى تحذير لأهل الدنيا بأن لا ينسوا مكانهم منها وأن يلتفتوا لما ينتظرهم من أيّام ويستعدوا لها، فيقول:

«تَجَهَّزُوا، رَحِمَكُمُ اللَّه، فَقَدْ نُودِىَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا».

فقد شبه الإمام عليه السلام المجتمع البشرى بقافلة ينتظرها مقصد عظيم، وبصفته زعيم القافلة ينادى الجميع بالتأهب للحركة.

و «الرحيل» بمعنى السفر وقد ورد لها معنيان لدى الشراح، الحركة نحو الآخرة والسير والسلوك إلى اللَّه، ولا مانع من مناداة الناس بالتأهب والحركة باتجاه القيامة ودعوة الخواص إلى السير والسلوك إلى اللَّه.

ورد فى بعض الروايات الاستعداد للموت بدل التجهز لسفر الآخرة، فقد سئل أميرالمؤمنين عليه السلام: «مَا الاسْتِعْدادُ لِلْمَوْتِ؟» قال عليه السلام: «أداءُ الْفَرائِضِ وَاجْتِنابُ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۴

الْمَحارِمِ وَالاشْتِمالُ عَلَى الْمَكارِمِ ثُمَّ لايُبالى أوَقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ»[٨١].

وقد وردت عدّة احتمالات بشأن المنادى، فقيل: ملك من الملائكة كما ورد فى إحدى الكلمات القصار لنهج البلاغة[٨٢] كما نظمه البعض بصيغة شعرية:

لَهُ مَلَكٌ يُنادى كُلَّ يَوْمٍلِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرابِ

أو أنّ المنادى هو الحوادث والبلايا كالعواصف التى تجتاح حياة الناس كلّ يوم، أو إشارة إلى آثار الشيخوخة التى تتبلور فى ذبول الجسد ومشيب الشعر وانحناء القامة والتى تنادى بالرحيل بلسان الحال، وإن اعتبرنا الرحيل بمعنى السير والسلوك إلى اللَّه وتهذيب النفس، فالمنادى هو اللَّه فى القرآن، وأئمّة العصمة فى الروايات، الذين يهتفون بنداء الموت ومغادرة الدنيا.

ومفهوم العرجة على ضوء معنى الإقامة، هو الحدّ من التعلق بالإقامة فى الدنيا وعدم عدّها خالدة، كحال المتهافتين عليها.

ثم بيّن أسلوب الاستعداد لسفر الآخرة فقال: «وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكَمْ ۸۳] مِنَ الزَّادِ».

«انقلبوا» عبارة، لطيفة تشير إلى التحول الباطنى، أى حولوا انتباهكم عن الانغماس فى الدنيا إلى إعداد الزاد والمتاع الأخروى.

«بحضرتكم» إشارة لما يتمتع به الإنسان من قدرات وفرص.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى الدليل على لزوم تحصيل الزاد والمتاع فقال: «فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً[۸۴]، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً[۸۵]، لَابُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۵

وقد ورد فى الخبر المروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ فى الْقِيامَةِ خَمْسينَ مَوْقِفاً كُلُّ مَوْقِف كَألْفِ سَنَةً مِمّا تَعُدُّونَ»[۸۶].

وروى ما يشبه هذا المعنى بصورة أسهب عن الإمام عليه السلام ۸۷] ويحتمل أنّ هناك أحد الأعمال الواجبة فى كلّ موقف من المواقف كالصلاة والصوم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو السؤال عن الكبائر والتى يتطلب من أصحابها إجابة فى ظلّ الظروف الصعبة والمخيفة فإنّ عبروها بسلام كانوا موضع رحمة اللّه والجنّة وإلّا عرضوا للبلاء.

وبعبارة أخرى كما قال المرحوم الشيخ المفيد: إنّ المراد من هذه العقبات، الأعمال الواجبة التى تشبه كلّ منها بالعقبة، وكما يصعب عبور هذه العقبات تصعب الاجابة عن هذه الأعمال.

قال تعالى فى سورة البلد: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ* يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ».[۸۸]

طبعاً لا فرق بهذا الشأن بين الدنيا والآخرة فى ما المراد من هذه العقبات؟ سيما ورد بشأن القيامة: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً* فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً* لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً»[۸۹].

وعليه لا يبدو وارداً اعتراض المرحوم العلّامة المجلسى على الشيخ المفيد فى ضرورة عدم حمل الألفاظ على معانيها المجازية دون الأصلية[۹۰]، فهذا الإشكال

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۶

يرد حين لا تكون هناك قرائن ويكفى فى هول القيامة قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّه شَدِيدٌ»[۹۱].

ثم تعمق الإمام عليه السلام فى شرح هذا الأمر فوعظ الجميع قائلًا: «وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ[۹۲] الْمَنِيَّةِ[۹۳] نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ[۹۴]، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا[۹۵] وَقَدْ نَشِبَتْ ۹۶] فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ ۹۷] فِيهَا مُفْظِعَاتُ ۹۸] الْامُورِ، وَمُعْضِلَاتُ ۹۹] الْمَحْذُورِ».

ويشير هذا الكلام إلى عدم وجود مسافة بين الإنسان والموت مهما كان عمره، ففى كلّ آن يمكن وقوع حادثة مفاجئة ويصيبه مرض فى كلّ حين أو يباغته عدو فى الهجوم، ولعل حياة الإنسان تزول إذا غص بلقمة، أو يلاقى حتفه إذا انسدت شرايين قلبه أو اصيب بسكتة دماغية أو أن يقطع نخاعه أثر ضربة مفاجئة فيعيش طريح الفراش طيلة حياته.

واختتم الإمام عليه السلام الخطبة باستنتاج بيّن وبليغ فقال: «فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا[۱۰۰] بِزَادِ التَّقْوَى».

والمراد من علائق الدنيا هو التعلق المفرط بالمال والجاه والزوج والولد، بالشكل الذى يغفل الإنسان عن اللّه ويسهل عليه مقارفة المعصية لنيل الدنيا ويزين له مفاتنها

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۷

وعبارة الاستظهار بزاد التقوى إشارة إلى أنّ آخرة الإنسان تتطلب فى هذا السفر الخطير والمخيف نقاط ارتكاز تسهل عليه اجتياز الطريق وليس هنالك من مرتكز أفضل من زاد الورع والتقوى.

وحين بلغ المرحوم السيّد الرضى هذا الموضع قال: «وَقَدْ مَضى شَیٌ مِنْ هذا الْكَلامِ فيما تَقَدَّمَ بِخِلافِ هذِهِ الرِّوايَةِ».

والظاهر أنّ مراده، الخطبة ٨٥ التى تشترك ببعض العبارات مع الكلام المذكور.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴٩

الخطبة ٢٠٥

اشارة

كَلَّمَ بِهِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ بَعْدَ بَيْعَتِهِ بِالْخِلافَةَ وَقَدْ عَتَبا عَلَيْهِ مِنْ تَرْك مَشْورَتِهما، وَالاسْتِعانَةِ فى الأُمُورِ بِهِما[١٠١]

نظرة إلى الخطبة

كما ورد فى عنوان الخطبة فإنّ هذا الكلام ردّ على بعض إشكالات طلحة والزبير اللذين كانا يتوقعان أن يجعل لهما الإمام عليه السلام نصيب كبير من الحكومة واستشارتهما فى جميع الأمور، فذكر لهما الإمام عليه السلام بعض الأمور التى تبيّن بوضوح مسيرة حكومته وتضع حدّاً لتوقعاتهما الخاطئة:

الأوّل: إنّ هؤلاء يعتبون من هذا الباب، لم كلّ هذا الغضب على شىء يبدو بسيطاً وقد نسيت العديد من المحاسن.

ثم بين فى جانب آخر أن ليست هنالك من مشكلة مستجدة بشأن الحكومة

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۵٠

ليستشيرهما بخصوصها؛ بل سيقود الدولة على هدى الكتاب والسنّة، وبالطبع لو استجد أمر يدعو إلى المشورة فإنّه لن يمتنع عنها قط.

وأجاب فى القسم الثالث عن الإشكال الذى يرد عليه على التسوية فى العطاء من بيت المال والذى يستند أيضاً إلى السنّة النبوية.

وخاض فى ختام الخطبة فى دعاء عظيم المعنى سائلًا اللّه الرحمة لكل من رأى حقّاً وأعان عليه ووقف بوجه الباطل.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۵١

القسم الأوّل

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً. أَلا تُخْبِرَانِى، أَىُّ شَىْء كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَىُّ قَسْم اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَىُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَىَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ!

وَاللَّه مَا كانَتْ لِى فِى الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِى الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ، وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِى إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِى عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَىَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّه وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْم بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَنَّ النَّبِىُّ (صلى اللَّه عليه وآله)، فَاقْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِى ذلِك إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْىِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ؛ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَوْ كَانَ ذلِك لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا، وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا.

الشرح والتفسير: حجج طلحة والزبير

لما تفاقمت الأوضاع ومشاكل المسلمين على عهد عثمان وقام الناس عليه ناقمين على اغداقه المناصب على بطانته وقرابته وتوزيع أموال بيت مال المسلمين عليهم وتجاهله للمحرومين والمحتاجين، هب عدد من الصحابة لنصرتهم وكان قى مقدمتهم طلحة والزبير، وهما اللذان أصرا على الإمام بقبول الحكومة، فكانا من السباقين لبيعة الإمام عليه السلام؛ إلّاأنّهما على غرار أولئك الذين يفكرون بطريقة سياسية وليست ربانيّة ورحمانيّة، فهم يتوقعون على الدوام نيل المناصب الحكومية؛ ويوردون ذلك صراحة تارة وأخرى عن طريق بعض الذرائع ليبينوا هدفهم من

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٥٢

خلال الكناية.

وهذا ما كان يتوقعه طلحة والزبير من الإمام عليه السلام؛ فكان طلحة يطمح فى حكومة البصرة، والزبير فى حكومة الكوفة، وقال البعض: إنّ طلحة كان يريد حكومة اليمن، والزبير حكومة العراق، ولما كانت مثل هذه الرشاوى السياسية تقود عادة إلى تجزئة الدولة بغض النظر عن مخالفتها لروح العدالة، ناهيك عن كون ذلك هو السبب الذى أدى إلى قيام المسلمين على عثمان فإنّ الإمام لم يستجب لتلك الطموحات.

وحين يئس طلحة والزبير من تحقيق غرضهما أخذا بالنقد والإشكال على الإمام أوّلًا، ثم أشعلا نار الجمل؛ النار التى احترقا فى أتونها فقال عليه السلام: «لَقَدْ نَقَمْتُمَا[١٠٢] يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُما[١٠٣] كَثِيراً».

والمراد من اليسير ترك مشورتهما، والمراد من الكثير مصالح المسلمين، فطلحة والزبير استعانا بذرائع واهية بغية تحقيق أهدافهما وأدارا ظهريهما لمصالح المسلمين التى تفرزها وحدة الصف والوقوف خلف الإمام عليه السلام، وهذا هو أسلوب الباحثين عن العيوب ضيقى الافق الذين يضحون بمصالح الامّة من أجل تحقيق أطماعهم.

ثم قال الإمام عليه السلام: «أَلَا تُخْبِرَانِى، أَىُّ شَىْء كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَىُّ قَسْم اسْتَأْثَرْتُ ١٠٤] عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَىُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَىَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ!».

الواقع أنّ الإمام عليه السلام أراد بهذه العبارة أن يغلق جميع أبواب النقد والإشكال التى يمكن أن يلجها طلحة والزبير، فالانتقاد إمّا يرتبط بحقهما الشخصى أو بسائر المسلمين، ومطالباتهما الشخصية إمّا تتعلق بضياع حقهما أو التصرف فيه، وما يتعلق بسائر

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٥٣

المسلمين إمّا يكون تقصير فى إحقاق الحقوق أو الجهل بحق أو الخطأ فى التنفيذ.

والإمام عليه السلام يقول لهما: إن كان لديكما إشكال على أىٍّ من هذه الأمور قولا لى صراحة، وحيث لم يستطيعا الإشارة إلى قضية عجزا عن الإتيان بإجابة، وهذا ديدن جميع المخطئين الانتهازيين الذين يرسلون الكلام على عواهنه ويثيرون الضجيج دون الإشارة إلى نقطة معينة.

ثم قدم الإمام عليه السلام جواباً واضحاً لإشكالهما بخصوص ترك المشورة فقال: «وَاللَّه مَا كانَتْ لِى فِى الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِى الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ[١٠٥]، وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِى إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِى عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَىَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّه وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْم بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَنَّ النَّبِىُّ صلى الله عليه و آله، فَاقْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِى ذلِك إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْىِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ؛ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَوْ كَانَ ذلِك لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا، وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا».

أشار الإمام عليه السلام فى الواقع بهذه العبارة إلى أمرين؛ الأوّل: إنّه لم يتخذ عضداً فى قبول الخلافة الظاهرية وقد تمّت الحجّة عليه بقبولها بفعل إصرار المسلمين ولاسيما بعضهم كطلحة والزبير، وعليه فليس هنالك من توقع من الإمام سوى رعاية حقوق الناس.

طبعاً أصحاب الدنيا الذين ينشدون المناصب يدعون هذا وذاك لدعمهم ويعدونهم ببعض المناصب قبل بلوغها إن وصلوا لسدّة الحكم، لكن لا معنى لمثل هذا التوقع بالنسبة لأولياء اللّه الذين لا يرغبون فى هذه المناصب سوى استجابة لرغبة الناس.

الثانی: إنّ مسألة المشورة صحیحة؛ ولکن «لکل مقام مقال ولکل حادثة حدیث» حقاً لیس هنالک من مجال للمشورة فی الأمور الإسلامیّة القطعیّة وأوامر اللّه والنّبی صلی الله علیه و آله، بینما تبدو المشورة مفتوحة فی الأمور التنفیذیة التی تتنوع أسالیبها.

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۵۴

فالإمام علیه السلام یقول: لا تتوقعوا أن أستشیرکما فی القضایا المهمّة کالعدل وإعادة الأموال المغصوبة علی عهد عثمان إلی بیت المال والتسویة فی العطاء، وسوف لن اتردد فی هذه المشورة إن کان إلیها من سبیل.

***

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۵۵

القسم الثانی

وَأَمَّا مَا ذَکَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْاسْوَةِ، فَإِنَّ ذلِک أَمْرٌ لَمْ أَحْکُمْ أَنَا فِیهِ بِرَأْیِی، وَلَا وَلِیتُهُ هَوًی مِنِّی، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّه صلی الله علیه و آله قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَیْکُمَا فِیما قَدْ فَرَغَ اللَّه مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَی فِیهِ حُکْمَهُ، فَلَیْسَ لَکُمَا، وَاللَّه، عِنْدِی وَلَا لِغَیْرِکُمَا فِی هذَا عُتْبی. أَخَذَ اللَّه بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِکُمْ إِلَی الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِیَّاکُمُ الصَّبْرَ.

ثم قال علیه السلام: رَحِمَ اللَّه رَجُلًا رَأَی حَقًّا فَأَعَانَ عَلَیْهِ، أَوْ رَأَی جَوْراً فَرَدَّهُ، وَکَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَی صَاحِبِه.

الشرح والتفسیر: حکم اللّه

رکّز الإمام علیه السلام هنا علی أحد الإشکالات الرئیسیّة لطلحة والزبیر وأمثالهما علی الإمام فی التسویة فی العطاء من بیت المال فقال: «وَأَمَّا مَا ذَکَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْاسْوَةِ، فَإِنَّ ذلِک أَمْرٌ لَمْ أَحْکُمْ أَنَا فِیهِ بِرَأْیِی، وَلَا وَلِیتُهُ هَوًی مِنِّی، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّه صلی الله علیه و آله قَدْ فُرِغَ مِنْهُ».

المفردة «اسوة» وإن استعملت غالباً بمعنی الإقتداء والاتباع ولم تذکر لها المصادر اللغویة معنی آخر غیر هذا المعنی ۱۰۶]؛ إلّاأنّ بعض اللغویین صرحوا بأنّ

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۵۶

أحد معانیها، المساواة، ومن هنا یقال لمن افلس: «المال أُسوة بین الغرماء».

فإن اعتبرنا معنی «أسوة» حسب المتعارف (الإقتداء) فسیکون مفهوم العبارة أنّ طلحة والزبیر وأمثالهما اعترضوا علی الإمام علیه السلام: لم لم تقتد بسیرة عمر وعثمان؟

فأولئک کانوا یراعون شأن الشخص واسمه وعنوانه فی العطاء ولم یسوّوا فی العطاء بین المسلمین قط.

ثم قال: «فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَیْکُمَا فِیما قَدْ فَرَغَ اللَّه مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَی فِیهِ حُکْمَهُ، فَلَیْسَ لَکُمَا، وَاللَّه، عِنْدِی وَلَا لِغَیْرِکُمَا فِی هذَا عُتْبی ۱۰۷]».

واختتم الإمام علیه السلام کلامه بالدعاء له ولهم موصیاً إیّاهم بالثبات علی الحقّ والصبر علیه فتضرع قائلًا: «أَخَذَ اللَّه بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِکُمْ إِلَی الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِیَّاکُمُ الصَّبْرَ».

من الواضح أنّ الحقّ مریر فی أغلب المواقع ویصعب تحمله، وهذا ما یجعل الإنسان أحیاناً لا یری الحقّ ولو رآه لایحتمله، لذلک یطلب الإمام علیه السلام من اللّه شیئین؛ الأوّل أن یریه والآخرین الحقّ کما هو، ومن ثم یتلطف علیه بتحمل مرارته.

ورد فی إحدی قصار کلمات «نهج البلاغة» أنّه علیه السلام قال: «إِنَّ الْحَقَّ ثَقِیلٌ مَرِیءٌ وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِیفٌ وَبِیءٌ»[۱۰۸]. ثم قال علیه السلام: «رَحِمَ اللَّه رَجُلًا رَأَی حَقًّا فَأَعَانَ عَلَیْهِ، أَوْ رَأَی جَوْراً فَرَدَّهُ، وَکَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَی صَاحِبِهِ».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۵۷

تأمّلات

۱. علّة التسوية فى العطاء

لو ولى أميرالمؤمنين على عليه السلام الخلافة الظاهرية عقب رسول اللّه صلى الله عليه و آله لَما كانت هنالك من مشكلة، لأنّه كان سيواصل سيرة رسول اللّه صلى الله عليه و آله؛ إلّاأنّ الطامة الكبرى أنّ الإمام تولّاها حين اعتاد المسلمون أنواع التمييز على عهد الخليفة الثانى وأعظم منها على عهد عثمان وكان من الصعب عليهم للغاية تغيير ما اعتادوا عليه وكانت جلّ جهود الإمام تتركز على القضاء على تلك السياسات العنصرية، والسبب الرئيسى للحروب كالجمل وصفين إنّما يقف وراءَها أنصار التمييز العنصرى.

لا شك أنّ طلحة والزبير كانا من السابقين إلى الإسلام وكان لهما دور مهم فى نصرة الدين، كما كانت لهما مواقفهما المعروفة فى الدفاع عن النّبى فى أغلب الغزوات الإسلاميّة؛ إلّاأنّ الانحراف عن المنهج النبوى الذى شهده عهد الخليفة الثانى والثالث وما رصدا من امتيازات خاصة لهذين وأمثالهما من بيت المال جعلهما يعتادان الابتزاز، ومن هنا تعالت أصواتهما منذ البداية حين وقف الإمام عليه السلام بحزم بوجه تلك الامتيازات، وعلى غرار الدهشة التى أصابت الناس فى العصر الجاهلى حين تبدلت الهتهم المتعددة إلى الإله الواحد القهار فقد اصيب هؤلاء بالذهول لتغير ذلك المنهج فاعترضا على الإمام، لم لم يستشرهما، ولم يتوقعا هذه المشورة فى تقسيم أموال بيت المال، بل توقعاها فى توزيع المناصب والمقامات الحساسة، وبالتالى كانا يطمعان بحصّة ولم يصدّقا أنّ الإمام بهذا الحزم سيعيد الامّة إلى منهج النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ۰

ولما طاشت احلامهما استعرت نيران الحقد فى قلبيهما واستحوذت عليهما الأفكار الشيطانيّة فأجّجا نيران الحروب التى احترقا بلهيبها.

جدير بالذكر أنّ أموال بيت المال على نوعين؛ قسم منه كالزكاة الذى له عدّة مصارف ويمكن ترجيح البعض على البعض الآخر (بما يناسب جهودهم)؛ مثلا

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۵۸

«الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ» و «العامِلِينَ عَلَيْها» أو القضاة وأمثالهم كان كلّ يتسلم سهماً من الزكاة بما يتناسب وموقعه وجهده، كما كان النّبى صلى الله عليه و آله يميز بين المشاة والفرسان فى الغنائم؛ إلّاأنّ قسماً مهماً من الدخل كالخراج الذى يؤخذ من الأراضى الخراجيّة[۱۰۹] والتى تشكل مبالغ طائلة فلابدّ من توزيعها بالسوية على المسلمين.

بالضبط كالشى الموقوف على الأولاد والذين ينبغى أن يأخذوا منه بالتساوى كيفما كانوا وكالدعم الذى يدفع فى عصرنا من بيت المال الذى يتساوى فيه رئيس الجمهورية والإنسان العادى، وأدنى امتياز لشخصٍ دون شخصٍ مرفوض.

وقد شهد عصر الخليفة الأوّل، المنهج النبوى ومساواة الجميع؛ إلّاأنّ التمييز بدأ منذ عهد عمر بشهادة التواريخ المعتبرة وبلغ ذروته على عهد عثمان واستمر ذلك ۲۲ سنة حتى أصبح هذا الفعل الشنيع بالتدريج سُنّة.

ولنترك الكلام هنا لابن أبى الحديد الذى بين خفايا مهمّة بالاستناد إلى التواريخ والروايات فكشف النقاب عن أغلب أسرار عصر الخلفاء وحكومة أميرالمؤمنين على عليه السلام، فقد أورد شرحاً مسهباً هذه خلاصته:

«ثم بويع- الإمام على عليه السلام- وصعد المنبر فى اليوم الثانى من يوم البيعة، وهو يوم السبت، لإحدى عشرة ليلة بقينَ من ذى الحجّة، فحمد اللّه وأثنى عليه، وذكر محمّد صلّى عليه، ثم ذكر نعمة اللّه على أهل الإسلام، ثم ذكر الدنيا، فزهّدهم فيها، وذكر الآخرة فرغّبهم إليها، ثم قال:

أما بعد، فإنّه قبض رسول صلّى اللّه عليه ... ثم إلتفت عليه السلام يميناً وشمالًا، فقال: ألا يقولنّ رجال منكم غداً قد غرتهم الدنيا

فاتخذوا العَقار، وفجّروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الرّوقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتُهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التى يعلمون، فيقيمون ذلك،

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۵۹

ويستنكرون يقولون: حَرمَنا ابن أبى طالب حقوقنا! ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه يرى أن الفضل له على مَنْ سواه لصحبته، فإنّ الفضل النير غداً عند اللَّه، وثوابه وأجره على اللَّه، وأيّما رجل استجاب للَّه وللرسول، فصدق ملّتنا، ودخل فى ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد اللَّه، والمال مال اللَّه، يقسّم بينكم بالسويّة، لا فضل فيه لأحد على أحدٍ، وللمتقين عند اللَّه أحسن الجزاء، وأفضل الثواب، لم يجعل اللَّه الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً، وما عند اللَّه خير للأبرار، وإذا كان غداً إن شاء اللَّه فاغدوا علينا، فإنّ عندنا مالًا نقسّمه فيكم، ولا يتخلّفن أحد منكم، عربى ولا عجمى، كان من أهل العطاء أو لم يكن، إلّاحضر، إذا كان مسلماً حرّاً، أقول قولى هذا وأستغفر اللَّه لى ولكم، ثم نزل.

فلما كان من الغد، غدا الناس لقبض المال، فقال لعبيد اللَّه بن أبى رافع كاتبه: إبدأ بالمهاجرين فنادهم، وأعط كلّ رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومن يحضر من الناس كلّهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك.

فقال سهل بن حنيف: يا أميرالمؤمنين، هذا غلامى بالأمس، وقد أعتقته اليوم، فقال: نعطيه كما نعطيك، فأعطى كلّ واحد منهما ثلاثة دنانير، ولم يفضّل أحد على أحد، وتخلّف عن هذا القسم يومئذٍ طلحة والزبير، وعبداللَّه بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، ورجال من قريش وغيرها.

قال: وسمع عبيد اللَّه بن أبى رافع عبداللَّه بن الزبير يقول لأبيه وطلحة ومروان وسعيد: ما خفى علينا أمس كلام علىّ، ما يريد؟ فقال سعيد بن العاص- والتفت إلى زيد بن ثابت: إيّاك أعنى وأسمعى يا جارة، فقال عبيد اللَّه بن أبى رافع لسعيد وعبداللَّه بن الزبير: إنّ اللَّه يقول فى كتابه: «ولكنّ أكثرَهُم لِلحقِّ كَارِهُون»[۱۱۰].

ثم إنّ عبيد اللَّه بن أبى رافع أخبر عليّاً عليه السلام بذلك، فقال: «وَاللَّهِ إن بَقيتُ وَسلمتُ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۶۰

لَهُم لأُقيمَنّهم عَلى المحجّة البَيضاءِ، وَالطّريقُ الواضحُ، قَاتَل اللَّهُ ابن العاص! لَقَد عَرفَ مِن كَلامى وَنظرى إليهِ أمس أنّى أُريدهُ وَأصحابَهُ مِمَن هَلكَ فِيمَن هَلكَ.

فقال، فبينا الناس فى المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة، فجلسا ناحية عن على عليه السلام، ثم طلع مروان وسعيد وعبداللَّه بن الزبير، فجلسوا إليهما، ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم، فتحدّثوا نجيّاً ساعة! ثم قام الوليد بن عقبة بن أبى معيط، فجاء إلى على عليه السلام، فقال: يا أباالحسن، إنّك قد وترتنا جميعاً، أمّا أنا فقتلت أبى يوم بدر صبراً، وخذلت أخى يوم الدار بالأمس، وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر فى الحرب- وكان ثور قريش- وأمّا مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه، ونحن إخوتك ونظراؤك من بنى عبدمناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال فى أيّام عثمان، وأن تقتل قتلته، وإنا إن خفناك تركناك، فالتحقنا بالشام.

فقال: أمّا ما ذَكرتُم مِن وَترى إيّاكَم فَالحقُّ وَترَكُم، وأمّا وَضعى عَنكُم ما أصبتُم فَليس لِى أن أضعَ حقّ اللَّهَ عَنكُم وَلا عَن غَيركُم، أمّا قَتلى قتلة عُثمان فَلو لَزمَنى قَتلَهم اليوم لَقتَلتُهم أمس، وَلكن لكُم علىّ إن خِفتُمونِى أن أؤمّنكُم وإن خِفتُكُم أن أُسيّركم.

فقام الوليد إلى أصحابه فحدّثهم، فافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف، فلما ظهر ذلك من أمرهم، قال عمار بن ياسر لأصحابه، قوموا بنا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم فإنّه قد بلغنا عنهم ورأينا منهم ما نكره من الخلاف والطعن على إمامهم، وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاق- يعنى طلحة.

فقام أبوالهيثم وعمّار وأيوب وسهل بن حنيف وجماعة منهم، فدخلوا على علىّ عليه السلام، فقالوا: ياأميرالمؤمنين، انظر فى أمرك

وعـاتب قومـك، هـذا الحيّ من قريش، فإنّهم قـد نقضوا عهـدك، وأخلفوا وعـدك، وقـد دعونا فى السر إلى رفضك، وهـداك اللّه لرشدك! وذاك لأنّهم كرهوا الاسوة، وفقدوا الأثرة، ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم

نفحات الولايئ، ج۸، ص: ۶۱

أنكروا واستشارك عدوك وعظّموا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة، وتألفاً لأهل الضلالة، فرأيك.

فخرج على عليه السلام فدخل المسجد، وصعد المنبر مرتدياً بطاق، مؤتزراً ببرد قطرى، متقلّداً سيفاً، متوكئاً على قوس، فقال:

أما بعـد، فإنا نَحمـدُ اللّهَ رَبّنا وإلهنا وَوَليّنا، وَولى النّعم عَلينا، الّـذى أَصـبحتْ نُعمهُ عَلينا ظاهرةً وباطنـةً، امتناناً مِنهُ بِغير حَولٍ منّا وَلا قُوّةٍ، لَيبلُونا أَنشـكُر أو نَكفر، فمَن شَـكرَ زادَهُ وَمَن كَفرَ عـذّبهُ، فَأفضلُ النّاسِ عِنـدَ اللّهِ مَنزلةً، وَأقربهم مِن اللّهَ وَسِـيلةً أَطوَعهم لأمرِهِ وَأعملِهم لطَاعتهِ، وَأتبَعهم لِسُـنّةِ رَسُولِه، وَأحياهُم لِكتابِهِ، لَيس لأحـدٍ عِنـدنا فَضل إلّابطاعـةِ اللّهِ وَطاعةِ الرّسولِ، هَذا كَتابُ اللّهِ بَينَ أَظهرنا، وَعهدُ رسولِ اللّهِ وَسِـيرَتهِ فِينـا، لاـ يَجهـل ذَلـكَ إلّاجاهِـل عانـدَ عَن الحقّ، مُنكر، قـال اللّه تعـالى: «يـا أيُّها الناس إنّا خَلَقناكُم مِنْ ذَكَرٍ وأنثَى وَجَعَلناكُم شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتعارفُوا إنّ أَكرَمَكُم عِندَ اللّهِ أتقاكُم»[۱۱۱].

ثَمّ صَاحَ بِأعَلى صَوتِهِ، أَطيعُوا اللّهَ وَأطيعُوا الرّسولَ فإن تَولّيتُم فإنّ اللّهَ لا يُحِبُّ الكَافرِينَ.

ثم قال: يا مَعشرَ المُهاجرينَ والأنصار، أَتَمنُونَ عَلى اللّهِ وَرَسُولِهِ بإسلامِكُم، بَل اللّهُ يَمنّ عَليكُم أن هَداكُم للإيمانِ إن كُنتُم صادِقِينَ.

ثمّ قـال: أنـا أبوالحَسن- كـان يقولها إذا غضب- ثم قال: أَلا إنّ هَـذِه الـدّنيا الّتى أَصـبَحتُم تَمنّونَها وَترغبونَ فِيها، وَأصـبحَتْ تُغضبكُم وَترضـيكُم، لَيستْ بِـداركُم وَلا مَنزلكُم الّـذى خُلقتُم لَه، فَلا تَغرنّكُم فَقَـد حَـذرتُموها، واستَتموا نِعم اللّهِ عَليكُم بالصبْرِ لأنفُسـكُم عَلى طَاعـةِ اللّهِ، وَالـذُّل لِحُكمِه، جَلّ ثناؤه، فأمّا هَـذا الفى، فَليس لأحدٍ عَلى أحدٍ فِيهِ أثرة، وَقد فَرغَ اللّهُ من قِسـمتِهِ، فَهو مالُ اللّهِ، وَأنتُم عِبادُ اللّهِ المُسلمونَ، وَهَذا كِتابُ اللّهِ بِهِ أَقررَنا وَلهُ أَسلَمنا، عَهد نبيّنا بَين أَظهُرنا فمَن لَم يَرضَ بِه فَليَتول كَيفَ

نفحات الولايئ، ج۸، ص: ۶۲

شاءَ فإنّ العامِل بِطاعةِ اللّهِ وَالحاكِم بِحُكم اللّهِ لا وَحشةَ عَليهِ.

ثم نزل عن المنبر، فصـلّى ركعتين، ثم بعث بعمار بن ياسر، وعبدالرحمن بن حسل القرشى إلى طلحة والزبير، وهما فى ناحية المسجد، فأتياهما فدعواهما، فقاما حتى جلسا إليه عليه السلام، فقال لهما: نَشدتُكُما اللّهِ، هَل جُئتُمانِى طَائِعينِ للبَيعةِ، وَدعَوتُمانِى إليها، وَأنا كَاره لَها!

قالا: نعم.

فقال عليه السلام: غَيرَ مُجبرين وَلا مقسورين، فأسلمتُما لِى بَيعتُكُما وَأعَطيتُمانى عَهدكُما!

قالا: نعم.

قال: فَما دَعاكُما بَعد إلى ما أرى.

قالا: أعطيناك بيعتنا على ألا تقضى الأمور ولا تقطعها دوننا، أن تستشيرنا فى كلّ أمر ولا تستبد بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر، وتمضى الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال: لَقَد نَقَمتُما يَسيراً! وأرجأتُما كَثيراً! فاستَغفِرا اللّهَ يَغفِر لَكُما، ألا تُخبرانِى أَدفَعتُكما عَن حقٍّ وَجبَ لَكُما فَظلمتُكُما إيّاه؟

قالا: معاذ اللّه!

قال: فَهل استَأثرتُ مِن هَذا المالِ لِنفسِى بشىء؟

قالا: معاذ اللّه!

قال: أَفَوقعَ حُكم أو حقّ لأحدٍ مِنَ المُسلمينَ فَجَهلتُه أو ضَعفتُ عَنه؟

قالا: معاذ اللّه!

قال: فَما الّذى كَرِهتُما مِن أمرِى حَتّى رَأيتُما خِلافى؟

قالا: خلافك عمر بن الخطاب فى القسم، أنّك جعلت حقّنا فى القسم كحق غيرنا، وسويّت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء اللَّه تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۶۳

وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، أخذناه قسراً قهراً، ممن لا يرى الإسلام إلّاكرهاً.

فقال: فأمّا ما ذَكرتُماهُ مِنَ الاستشارة لَكُما فَواللَّهِ ما كَانتْ لِى فِى الولايـة رَغبةً، وَلكِنكُم دَعوتُمونِى إليها، وَجعلتُمونِى عَليها، فَخِفتُ أن أردّكُم فَتختَلفُ الامّـة، فَلمّا أَفضتْ إلىّ نَظرتُ فِى كِتابِ اللَّهِ وَسنّةِ رَسولهِ فَأمضيتُ مادلّانِى عَليهِ وَأتّبعتُه، وَلَم أَحتَج إلى آرائِكُما فِيهِ، وَلا رأى غَيركُما، وَلو وَقعَ حُكم لَيس فِى كِتابِ اللَّهِ بَيانُه وَلا فِى السنّةَ بُرهانُهُ، واحتِيج إلى المَشاورةِ فِيهِ لَشاورتُكُما فِيهِ، وَأمّا القِسم والأسوة، فإنّ ذَلكَ أَمرٌ لَم أَحكُم فِيهِ بادىء بِدء! قَد وَجدتُ أَنا وأنتُما رَسُول اللَّهِ صلّى اللَّه عليه وآله يَحكُم بِذلكَ، وَكتابُ اللَّهِ ناطقٌ بِهِ، وَهو الكِتاب الّذى لا يَأتيهِ الباطِلُ مِن بَين يَدِيه وَلا مِن خَلفهِ تَنزيلٌ مِن حَكيم حَميدٍ، وَأمّا قَولُكُما: جَعلتَ فَيئنا وَما أَفاءتهُ سُيوفنا ورِماحُنا سَواء بَيننا وبَين غَيرنا، فَقَديماً سَبق الإسلام قَوم ونَصرُوه بِسيوفِهم وَرِماحِهم فَلم يُفضّلهم رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وآله فِى القسم، وَلا آثرهم بِالسّبق، واللَّهُ سبحانه مُوفٍ السّابقَ وَالمُجاهدَ يَومَ القِيامةِ أَعمالَهُم، وَلَيس لَكُما وَاللَّهِ عِندى وَلا لِغَيركُما إلّاهَذا، أَخذ اللَّهُ بِقُلوبِنا وَقُلوبِكُم إلى الحقّ، وَأَلهَمنا وَإيّاكُم الصّبر، ثم قال: رَحم اللَّهُ امرأً رَأى حَقّاً فَأعانَ عَليهِ، وَرأى جَوراً فَردّه، وَكانَ عَوناً للحقّ عَلى مَن خَالَفَهُ.

ثم قال ابن أبى الحديد:

فإن قلت: فإنّ أبابكر قسّم السواء، كما قسمه أميرالمؤمنين عليه السلام ولم ينكروا ذلك، كما أنكروا أيّام أميرالمؤمنين عليه السلام، فما الفرق بين الحالتين؟

قلت: إنّ أبابكر قسم محتذياً لقسم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله، فلما ولى عمر الخلافة وفضّل قوماً على قوم ألفوا ذلك، ونسُوا تلك القسمة الاولى، وطالت أيّام عمر، وأشربت قلوبهم حبّ المال ... ولما ولى عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه، فازداد وثوق القوم بذلك، ومن ألف أمراً شقّ عليه فراقه، وتغيير العادة فيه،

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۶۴

فلما ولى أميرالمؤمنين عليه السلام أراد أن يردّ الأمر إلى ما كان فى أيّام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وأبى بكر، وقد نسى ذلك ورفض، تخلّل بين الزمانين اثنتان وعشرون سنة، فشقّ عليهم وأنكروه وأكبروه، حتى حدث ما حدث من نقض البيعة، ومفارقة الطاعة وللَّه أمر هو بالغه»[۱۱۲].

٢. مكانة المشورة

لا شك فى أنّ المشورة من الأصول الإسلاميّة المسلمة ولدى عقلاء العالم والتى تشرك إلى العقل سائر العقول كما ورد فى الخبر «مَنْ شاوَرَ الرِّجالَ شارَكَهُمْ فى عُقُولِهِمْ»[۱۱۳] إلّاأنّ لها بعض الشروط والأركان إن لم تراع فهى لا تفقد جدواها فحسب؛ بل تعطى أحياناً نتائج معكوسة، ومن ذلك أنّ المشورة لابدّ أن تكون فى الأمور التى تخضع للتردد والنفى والإثبات ولو أراد الناس التشاور فى الأمور المسلّمة والأحكام فلربّما أدّى ذلك إلى الريبة فى أصل الأحكام الشرعيّة والوظائف العقلية المسلمة.

مثلًا لو أراد شخص المشورة فى الحج أو الحجاب أو عرضها على الرأى العام فلربّما انبرى من يقول: ما الضرورة لأن يرصد الناس فى هذا العصر هذه الأموال الطائلة من أجل الذهاب إلى الحج أو إنّ الحجاب فى المجتمع المعاصر قيد مضروب على المرأة!

ولكن إن سلّمنا أنّ الحج أو الحجاب أمر شرعى مقبول لدى جميع المسلمين بل ضرورة دينية، يمكننا الجلوس فى شورى كيف

يمكن أن يقام الحج وكيف يكون ارتداء الحجاب أفضل؟ ولابدّ من الإذعان إلى أنّ بعض المشاكل التى أصابت المسلمين بسبب كونهم نسوا المكانة الحقيقية للمشورة.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۶۵

وما أورده الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة نموذج واضح لهذا المطلب، وما كان ينشده طلحة والزبير انحراف عن هذا الأمر؛ فقد أرادا المشورة فى سنّة النّبى فى التسوية بأموال الخراج فرفض الإمام عليه السلام ذلك.

۳. طلحة وحلم الخلافة

يستفاد من مختلف المصادر التاريخيّة أن طلحة والزبير كانا يتطلعان إلى الخلافة منذ أمد بعيد يعود إلى عهد أبى بكر.

ذكر الطبرى المؤرّخ المعروف، طبق نقل ابن أبى الحديد فى تاريخه أنّ طلحة كان يهم بالخلافة حتى على عهد أبى بكر ويروم أن يجعلها فيه بشبهة أنّه ابن عمه، وسخط خلافة عمر فقال لأبى‌بكر: وليت علينا فظاً غليظاً، وكان له فى أيّام عمر قوم يجلسون إليه ويحادثونه سرّاً فى معنى الخلافة ويقولون له: لو مات عمر لبايعناك بغتة، فبلغ ذلك عمرفخطب وهددهم بالقتل.

وذكر ابن أبى الحديد فى موضع آخر: إنّ طلحة والزبير أشادا بعمر الذى ميّز المهاجرين والأنصار على سائر المسلمين (وأعطاهم سهماً أكثر من بيت المال).

وكان عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين، الخروج فى البلدان لأنّه يرى أنّهم إن خرجوا التفّ حولهم الناس وحصلوا على الأموال وفيهم من يضمر الفرقة ويروم خلع الربقة، قال الطبرى طبق نقل ابن أبى الحديد: فملته قريش ذلك حتى أنّه لم يأذن لهم بالمعارك وقال لهم كفاكم ما أبليتم فى الغزوات مع رسول اللّه، فلمّا ولى عثمان أجازهم، فخرجوا إلى البلاد وجمعوا الأموال، فكان ذلك أول وهن على الإسلام وأول فتنة كانت على العامّة.

وقال ابن ابى‌الحديد: وكان عمر نقض هذا الرأى السديد بما فعله بعد طعن أبى لؤلؤة له من أمر الشورى، فإنّ ذلك كان سبب كلّ فتنة وقعت وتقع إلى أن تنقضى الدنيا[۱۱۴].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۶۶

ويتضح من هذه السابقة التاريخيّة لماذا انزعج طلحة والزبير من خلافة على عليه السلام فى حين بذلا قصارى جهدهما من أجل تأليب الناس على قتل عثمان، على أمل أن يأتى الدور لطلحة، ولما منعهما على عليه السلام المنصب والمقام (لأنّه يعلم أنّ ذلك مقدمة لتقسيم البلد الإسلامى) بل قطع امتيازاتهما من بيت المال وساوى بين المسلمين حذو النهج النبوى، تمردا عليه وتواطئا مع عائشة ضدّ أميرالمؤمنين عليه السلام، فى اشعال فتيل حرب الجمل، وبعد تلك الهزيمة ومقتلهما أثار أتباعهما معركة صفّين لتسلّم بنى أمية بالتالى مقاليد العالم الإسلامى، ثم خلفهم بنو مروان الذين أثاروا ذلك الفساد العظيم.

ومن هنا يتضح أنّ مشكلة طلحة والزبير لم تكن المشورة بل حتى التسوية فى العطاء كانت قضية فرعية؛ كانت مشكلتهما الطمع فى الخلافة، وماسبق لم يكن سوى حجج وذرائع.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۶۷

الخطبة ۲۰۶

اشارة

وَقَدْ سَمِعَ قَوْماً مِنْ أَصْحابِهِ يَسُبُّونَ أَهْلَ الشّامِ

نفحات الولاية ؛ ج۸ ؛ ص۶۷

أيّامَ حَرْبِهِمْ بِصِفّينَ ۱۱۵]

نظرة إلى الخطبة

ورد فى كتاب «مصادر نهج البلاغة» أنّ حجر بن عدى وعمرو بن الحمق وهما من أصحاب على عليه السلام المعروفين كانا يسبّان أهل الشام (فى أيّام صفين) فدعاهما الإمام ونهاهما، فقالا: يا أميرالمؤمنين، ألسنا على الحق؟ قال: بلى! قالا: أليسوا على الباطل؟ قال: بلى! قالا: فلم تنهانا عن سبهم؟ قال: إنّى أكره لكما أن تكونا سبّابين، وواصل كلامه فأراهم السبيل الفصل بالدعاء لهم إلى الهدى ووحدة المسلمين واطفاء نار الحرب، ويشير هذا الكلام إلى أنّ الإمام عليه السلام فى الوقت الذى كان فيه حازماً إزاء العدو كان ينهى عن العنف الطائش الذى يعكس ضعف الشخصيّة.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۶۹

انِّى أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كانَ أَصْوَبَ فِى الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِى الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ:

اللهمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِىَ عَنِ الْغَىِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ.

الشرح والتفسير: الدعاء بدل السبّ!

ما ورد فى هذا الكلام درس أخلاقى واجتماعى عظيم يختزن آثاراً كثيرة وهو النهى عن سبّ العدو ولعنه الذى من شأنه إثارة غضبه وتعميق الكراهية.

وكما ذكر فإنّ الإمام قال ذلك لما سمع بعض أصحابه يسبّ أهل الشام أيّام صفين فقال: «إِنِّى أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كانَ أَصْوَبَ فِى الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِى الْعُذْرِ».

«سبّاب» تطلق على من يكثر السباب، وحقيقة «السبّ» تتضمن الإساءة للطرف المقابل؛ من قبيل مخاطبة المقابل بكلمة أحمق، رذل وأمثال ذلك.

واللعن أحد مصاديق «السبّ» و «القذف» من مراحل «السبّ» الشديدة وعليه الحد فى أغلب الموارد، قطعاً ليس مراد الإمام فى هذا الكلام هذا النوع من السبّ، لأنّ القذف حرام ومن الكبائر وليس من المكروهات.

والإمام عليه السلام ينهى أصحابه فى هذه الخطبة عن هذا الفعل وإن كان لهم الحق فى

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۷۰

مخاطبة العدو بهذا الخطاب ويأمرهم بدلًا من ذلك بنقد أعمالهم القبيحة وصفاتهم الذميمة وإتمام الحجّة عليهم ولتكون أبلغ فى التأثير كما تسلب العدو ذريعة المعاملة بالمثل، ولدينا الكثير بخصوص السبّ واللعن نتركه لمبحث التأملات.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه من خلال بيان المصداق الواضح ليعلمهم كيفية التعامل مع العدو فى مثل هذه الحالات فقال: «وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللهمَّ احْقِنْ ۱۱۶] دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ

جَهلَهُ، وَيَرْعَوِىَ ١١٧] عَنِ الْغَىِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ ١١٨] بِهِ».

فالإمام عليه السلام أورد بهذه العبارة العميقة ثلاثة أدعية أو بعبارة أخرى كانت له ثلاث طلبات:

الاولى: إطفاء نار الحرب وحقن دماء الطرفين.

الثانى: إشاعة الصلح والسلام بالإضافة إلى وقف الحرب وأن يتحد المسلمون.

الثالثة: يبعد عنهم الضلال الذى أصابهم وحال دون بلوغهم الحق؛ فيتعرّف الجهلة على الحقّ ويكفّ أهل الحق عن مناهضته.

وتكشف هذه الأدعية بجلاء عن مدى سعة صدر الإمام عليه السلام ورأفته ورحمته حتى بأعدائه، ورغم كلّ تلك الجنايات التى إرتكبوها بحقّ الإمام وأصحابه فلا ينطق بأدنى ما يكشف عن غضبه وانتقامه، وينهى حتى صحبه عن سبّ العدو والتعرض له.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٧١

تأمّل: السبّ واللعن

صرح أغلب أرباب اللغة بأنّ «السبّ» هو الشتم، واعتبر البعض، اللعن من مصاديقه ١١٩].

طبعاً لا ينبغى سبّ أىّ مؤمن أو لعنه، والأولى تركه حتى بالنسبة للكفّار والمخالفين، ذلك لأنّه ينطوى على أمرين سلبيين: الأوّل: إنّ الطرف المقابل يعمد إلى المعاملة بالمثل فيسىء إلى المقدّسات، لذلك ورد فى الآية ١٠٨ من سورة الأنعام: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه فَيَسُبُّوا اللَّه عَدْواً بِغَيْرِ عِلْم».

الآخر: أنّ هذا السبّ ربّما يثير المقابل فيصرّ على كفره وضلاله ويزداد كفراً وضلالًا.

ولكن لهذه القاعدة كما لغيرها من القواعد الكلية استثناءات، ومن هنا ورد بعض السبّ للمخالفين، فى «نهج البلاغة» أو عبارات سائر المعصومين عليهم السلام كما لُعنَ البعض فى القرآن الكريم.

مضى فى الخطبة ١٩ من نهج البلاغة أنّ الإمام عليه السلام قال للأشعث بن قيس المنافق الذى كلّم الإمام بكلمات خارجة عن الأدب: «عَلَيْك لَعْنَةُ اللَّه وَلَعْنَةُ اللّاعِنِينَ حائِك ابْنُ حائِك مُنافِقٌ بْنُ كافِر».

كذلك حين أسر مروان فى المعركة وجىء به إلى الإمام عليه السلام شفع له الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام عند أبيهما فأطلقه الإمام عليه السلام، فقال الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام: ياأميرمؤمنين! يابايعك مروان؟ قال الإمام عليه السلام: ألم يبايعنى بعد قتل عثمان لا حاجة لى ببيعته «إِنَّها كَفُّ يَهُودِيَّةٌ»[١٢٠].

ولكن سبّ المؤمن التقىّ يعدّ من الكبائر؛ قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «سِبابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ وَحُرْمَةُ مالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ»[١٢١].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٧٢

وورد فى حديث آخر أنّ رجلًا قال للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله: أوصنى! فكان ممّا أوصاه النّبى أن قال: «لا تَسُبُّوا النّاسَ فَتَكْسِبوا العَداوَةَ بَيْنَهُمْ»[١٢٢].

جدير ذكره أنّ أصحاب معاوية وإن كانوا من المنافقين والظلمة والمفسدين فإنّ الإمام عليه السلام نهى أصحابه عن سبّهم أيّام صفّين، فالسبّ فى تلك الظروف العصيبة ربّما كان يوسع دائرة الحرب.

أمّا بشأن اللعن فالذى يستفاد من آيات القرآن أنّ اللَّه لعن البعض وأذن بلعنهم ولعنَ الشيطان فقال: «وَإِنَّ عَلَيْك لَعْنَتِى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»[١٢٣].

وقال فى المرتدّين: «أُوْلَئِك جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّه وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[١٢۴].

وقال فى الظلمة: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالِمِينَ»[١٢۵].

وفى الناكثين وقاطعى الرحم والمفسدين فى الأرض: «أُوْلَئِك لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»[۱۲۶].

وفى الذين يكتمون الحق: «أُوْلَئِك يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»[۱۲۷].

لا ـ شك فى أنّ اللعن فى اللغة بمعنى الطرد والإبعاد الذى يتمّ أحياناً بصيغة عملية وأخرى لفظية أو دعاء؛ كأن يقال مثلًا: «لعنة اللّه عليك».

من المسلّم به أنّه لا ـ يمكن لعن أىّ مؤمن؛ أمّا الكفّار والمنافقون والذين يرتكبون الكبائر كالظلم والجور والفساد فى الأرض وأمثال ذلك إنّما يستحقون اللعن، وعليه فلا يختص اللعن بالكفّار والمنافقين.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۷۳

الخطبة ۲۰۷

اشارة

فى بَعْضِ أيّامِ صِفّينَ وَقَدْ رَأى الْحَسَنَ ابْنَهُ عليه السلام يَتَسَرَّعُ إلَى الْحَرب ۱۲۸]

نظرة إلى الخطبة

يختص هذا الكلام القصير لأميرالمؤمنين علىّ عليه السلام بحفظ الإمام الحسن والإمام الحسين من الأخطار ليدوم بهما نسل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقد تحقق هذا المعنى فيتصل اليوم نسب الملايين بواسطة الإمام الحسن أو الإمام الحسين عليهما السلام بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأنّ هذه الجذور المباركة لتتعمق فى العالم كلّ يوم.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۷۵

أَمْلِكُوا عَنّى هذَا الْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِى، فَإِنَّنِى أَنْفَسُ بِهذَيْنِ (يَعْنى الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام) عَلَى الْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله.

الشرح والتفسير: حفظ نسل النّبى صلى الله عليه و آله

أوصى الإمام عليه السلام صحبه بالإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام يوم صفين بغية الحفاظ على هدف مهم فقال: «أَمْلِكُوا عَنّى هذَا الْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِى ۱۲۹]، فَإِنَّنِى أَنْفَسُ ۱۳۰] بِهذَيْنِ (يَعْنى الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام) عَلَى الْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله».

التعبير «أملكوا» من مادة «ملك» تأكيد للحيلولة عن مسارعة الإمام الحسن عليه السلام لميدان القتال، لأنّ الإنسان إن ملك شيئاً صار تماماً تحت تصرفه وهذا أعظم تأكيد يمكن استعماله بشأن صدّ الشخص عن أمر، ومن هنا قال المرحوم السيّد الرضى رحمه الله فى ختام هذا الكلام: «هذا من أعلى الكلام وأفصحه».

العبارة «لا يَهُدَّنى» تأكيد آخر لهذا المعنى، كأنّه عليه السلام يريد القول: لو قتل الحسن والحسين سيفنى وجودى.

وكى لا يتصور أنّ هذه التأكيدات من جانب الإمام عليه السلام تستند لمجرّد عاطفة

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۷۶

الأبوة فقد بيّن عليه السلام: إنّى أنشد هدفاً عظيماً فى أن يبقى نسل النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى العالم عن طريقهما، وهذا بحدّ ذاته أحد أسباب ديمومة الإسلام.

***

قالَ السيِّدُ الشَّريفُ: وَقَوْلُهُ عليه السلام «أَمْلِكُوا عَنّى هذَا الْغُلَامَ» مِنْ أعلَى الْكَلام وَأَفْصَحِهِ.

مراد السيّد الرضى رحمه الله أنّ العبارة «أَمْلِكُوا عَنّى» تأكيد بليغ ولطيف لهذا المعنى أن سارعوا واجتهدوا واحفظوا هذا الفتى، لأنّ الإنسان يبذل قصارى جهده للمحافظة على أملاكه، وهذه أبلغ عبارة فى الحفظ والاستعادة.

تأمّل: شبهات وردود

١. لا شك فى أنّ عمر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام آنذاك كان أكثر من ثلاثين سنة، حيث ولد فى السنة الثالثة للهجرة وحادثة صفين كانت سنة ٣٧ الهجرة، فلم التعبير عنه بالغلام؟

لابدّ من الالتفات إلى هذه النقطة فى الجواب أنّ هذه المفردة وإن اطلقت على الحدّ الفاصل بين الطفل والشابّ؛ لكنّها تطلق كما صرّح بعض أرباب اللغة[١٣١] على الكبار أيضاً. أضف إلى ذلك فإنّ الآباء يستعملون هذه المفردة على الأبناء فى مختلف أعمارهم، كما تطلق العرب هذه المفردة على الخدم فى مختلف سنىّ أعمارهم.

على كلّ حال فإنّ اطلاق كلمة الغلام من قِبل الإمام عليه السلام على ولده الإمام الحسن عليه السلام مطلب ليس بمستبعد.

٢. كان للإمام الحسن وكذلك الإمام الحسين عليهما السلام حسبما ذكر آنفاً أكثر من

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۷۷

ثلاثين سنة (فالفارق بينهم كان سنة أو أقل) وقطعاً كان لهما زوج وأولاد، فكيف يخشى الإمام انقطاع نسل النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله؟

نقول فى الجواب: كان المراد ليبقيا وليبق أكثر عدد ممكن من نسل النّبى، ذلك لأنّ نسل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يتعرض إلى مخاطر جديّة من عدّة جوانب.

٣. كيف ذهب الإمام عليه السلام إلى بقاء نسل النّبى من خلال هذين الإمامين وذريّتهما فى حين تنسب العرب نسلها إلى ولدها وليس عن طريق البنت؟ وكلنا نعلم أنّ الحسن والحسين كانا إبنى بنت النّبى!

للإجابة عن هذا السؤال لابدّ من القول إنّ هذا التفكير يعود إلى الجاهلية الذين لم يروا أى شأن للنساء ولا يعتبرون أبناء بناتهم أبناءهم فأنشدوا فى ذلك:

بَنُونا بَنُو أبْنائِنا وَبَناتُنابَنُوهُنَّ أبناءُ الرِّجالِ الأَباعِدِ

لذلك حين نزلت آية المباهلة: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ»[١٣٢] أجمع المفسّرون على أنّ المفردة «أبناءنا» فى هذه الآية الشريفة إشارة إلى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام و «نساءنا» فاطمة عليها السلام، وماكثر الخطاب «يا ابن رسول اللَّه» لأئمّة أهل البيت عليهم السلام فى الروايات.

وقد عدّت الآية الشريفة ٨٥ من سورة الأنعام: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَ ... عِيسى» المسيح من ذريّة إبراهيم عليه السلام، فى حين ينتسب إليه من جانب امّه (مريم).

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۷۹

الخطبة ۲۰۸

اشارة

قالَهُ لَمّا اضْطَرَبَ عَلَيْهِ أَصْحابُهُ فى أمْرِ الْحُكُومَةِ[۱۳۳]

نظرة إلى الخطبة

جاء فى كتاب «مصادر نهج البلاغة» فى مناسبة هذا الكلام: لما رفع عمرو بن العاص ورهطه المصاحف على أسنّة الرماح يوم صفين لخداع جيش على عليه السلام، وبدت أعلام النصر والفتح ولم يبق على تحقيق النصرالكامل سوى بضع خطوات، انقسم أصحاب الإمام عدّة فئات؛ فئة اعتقدت بأنّ أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة؛ بل يريدون حقّاً الإحتكام إلى القرآن، وفئة عظيمة أخرى سئمت القتال ولا يرون فى أنفسهم القدرة على مواصلته، وكان هذا الموضوع ذريعة لاعتزال القتال والخلود إلى الدعة، وفئة ثالثة كانت من المنافقين التى تكنّ البغض والعداء للإمام عليه السلام وكانت تنتظرالفرصة، فلما رأت المصاحف على الرماح حدّثوا أنفسهم بأنّ الفرصة قد سنحت للتخلى عن نصرة على عليه السلام فارتفعت أصواتهم مطالبين بوقف القتال وفئة

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۸۰

قليلة هى التى أصرّت على مواصلة القتال وكان فى مقدمتهم مالك الأشتر الذى صرخ بهم، الويل لكم أتعتزلون القتال وأوشكنا على النصر؟ أيّها الجهّال! ... ولكن الفئة التى اعتزلت القتال شتمته وهددته وصرخت «المَصاحِفُ المَصاحِفُ وَالرُّجُوعُ إلَيْها لا نَرى غَيْرَ ذلِك» وأجبرت الإمام عليه السلام على قبول التحكيم.

وهنا أورد الإمام عليه السلام هذا الكلام فقال ما ملخصه: كنتم تتبعوننى وكنت أميركم، أمّا الآن تريدون أن تكونوا أنتم الامراء وأنا المأمور، إنّكم تريدون الحياة مهما كلّف الأمر فكيف يسعنى صدكم عن ذلك؟!

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۸۱

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِى مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ، حَتَّى نَهِكَتْكُمُ الْحَرْبُ، وَقَدْ، وَاللَّه، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ، وَهِىَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَك.

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِى أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ.

الشرح والتفسير: رفاق السلاح الجهّال

أورد الإمام عليه السلام هذا الكلام حين أصرّ عليه أغلب جيشه وخلافاً لرغبته لعدّة أسباب على إيقاف القتال والتسليم للتحكيم، حيث يجيب فى الواقع عن هذا السؤال: لماذا استسلمتم لمؤامرة عمرو بن العاص فى رفع المصاحف على الرماح وقبلتم بالتحكيم، حيث قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِى مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ، حَتَّى نَهِكَتْكُمُ ۱۳۴] الْحَرْبُ، وَقَدْ، وَاللَّه، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ، وَهِىَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَك».

هذا الكلام فى الواقع إجابة للصامدين فى القتال الذين يرون عاقبته النصر، إلّا أنّهم كانوا للأسف أقلية، فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه الكلمات إلى عذره فى قبول مقترح وقف القتال والتحكيم إزاء تلك الأقلية من جانب، ومن جانب آخر إلى يقينه بضرورة مواصلة القتال حتى النصر إزاء تلك الأكثريّة التى أتعبها القتال وأنّ كثرة

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٨٢

القتلى لا تبرر الاستسلام لمطالب العدو اللامشروعة.

ثم أوضح ذلك بالقول: «لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ!».

وهذا أيضاً جواب لفئتين: الأقليّة المطالبة بمواصلة القتال حتى النصر والمعترضة على قبول التحكيم وإيقاف القتال الذى أوشك على تحقيق النصر، فقال: ما عسانى أفعل وقد سلبت المبادرة وتعثرت الإمرة وعصيتم وتمردتم، والأكثرية التى استجابت لطلب العدو فخاطبها أنّها لم تستجب لذلك الطلب حرمة للقرآن، بل بسبب حبّ البقاء والتنصل من التضحية فى سبيل اللّه (فتأمّل).

تأمّل: التضحية بالفرصة الكبرى

رقة كلمات أمير المؤمنين عليه السلام إزاء معارضى مواصلة القتال تفيد مدى مرونته، والتى ربّما تثير هذا السؤال: لماذا لم يدع الإمام مالك الأشتر ليواصل المعركة التى أشرفت على تحقيق النصر وإنقاذ المسلمين من شرّ بنى أمية وأتباعهم؟

والجواب عن هذا السؤال يكمن فى تاريخ صفين.

فقد أشرنا فى الأبحاث السابقة إلى أنّ معارضى القتال لم يقتصروا على أولئك الذين خدعوا بحيلة عمرو بن العاص فى تعليق المصاحف على أسنّة الرماح، بل هناك الفئة الخاوية الإرادة التى لم تكن مستعدة لمواصلة القتال، بالإضافة إلى المنافقين ومبغضى الإمام الذين رأوا الفرصة مؤاتية للاصطياد فى الماء العكر، فاتحدوا جميعاً وأصروا على الإمام بإيقاف القتال.

قال ابن أبى الحديد: فأرسل إلى الأشتر يأمره بالرجوع وترك الحرب، فأبى عليه فقال: كيف أرجع وقد لاحت إمارات الظفر! فقولوا له: «ليمهلنى ساعة واحدة»، ولم

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٨٣

يكن علم صورة الحال كيف قد وقعت، فلما عاد إليه الرسول بذلك، غضبوا ونفروا وشغبوا، وقالوا: أنفذت إلى الأشتر سرّاً وباطناً، تأمره بالتصميم، وتنهاه عن الكفّ، وإن لم تعده الساعة، قتلناك كما قتلنا عثمان، فرجعت الرسل إلى الأشتر فقالوا له:

أتحبّ أن تظفر بمكانك وأمير المؤمنين قد سُلّ عليه خمسون ألف سيف! فقال: ما الخبر؟ قالوا: إن الجيش بأسره قد أحدق به، وهو قاعد بينهم على الأرض، تحته نطع، وهو مطرق، والبارقة تلمع على رأسه، يقولون: لئن لم تعد الأشتر قتلناك! قال:

ويحكم! فما سبب ذلك؟ قالوا: رفع المصاحف، قال: واللّه لقد ظننت حين رأيتها رفعت أنّها ستوقع فرقة وفتنة.

ثم كرّ راجعاً على عقبيه، فوجد أميرالمؤمنين عليه السلام تحت الخطر، قد جعله أصحابه بين أمرين: إمّا أن يسلموه إلى معاوية، أو يقتلوه، ولا ناصر له منهم إلّاولداه وابن عمه ونفر قليل لا يبلغون عشرة، فلما رآهم الأشتر سبّهم وشتمهم، وقال: ويحكم! أبعد الظفر والنصر صبّ عليكم الخذلان والفرقة! يا ضعاف الأحلام! يا أشباه النساء! يا سفهاء العقول! فشتموه وسبّوه، وقهروه.

وقالوا: المصاحف المصاحف! والرجوع إليها، لا نرى غير ذلك! فأجاب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى التحكيم، دفعاً للمحذور الأعظم بارتكاب المحظور الأضعف، فلذلك قال: «كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً ...»[١٣٥].

تفيد بعض القرائن والشواهد أنّ رفع المصاحف على الرماح كانت من صنع المنافقين وبعض الأفراد فى جيش أميرالمؤمنين على عليه السلام وطائفة من أهل الشام بقيادة عمرو بن العاص والأشعث بن قيس، الذين لايبغون انتصار الإمام عليه السلام ١٣٦].

أوردنا بحثاً مطولًا بشأن التحكيم والذى يعتبر مكملًا لهذا البحث فمن أراد المزيد فليراجع ذيل الخطبة ٣٥، الجزء الثانى، الصفحة ٣٦٤.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٨٥

الخطبة ٢٠٩

اشارة

بِالْبَصْرَةِ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَى الْعَلاءِ بنِ زِيادِ الْحارِثى- وَهُوَ مِنْ أَصْحابِهِ- يَعُودُهُ، فَلَمّا رَأى سَعَةَ دارِه قالَ:[١٣٧]

نظرة إلى الخطبة

هذا الكلام كما ورد أعلاه إشارة لقصة عيادة على عليه السلام لأحد أصحابه فى البصرة وهو علاء بن زياد الحارثى (رغم ما ذهب إليه أغلب شرّاح نهج البلاغة من أنّه كان الربيع بن زياد وليس العلاء بن زياد) فقال عليه السلام ذلك لما رأى سعة داره فوعظه وسائر الناس ممن على غراره بموعظة بليغة ويتضمن هذا الكلام ثلاثة أقسام:

الأوّل: أنّها موعظة حيّة للعلاء بن زياد.

الثانى: وعظ ونصح عميق لأخيه، أىعاصم بن زياد الذى عاش حياة على العكس تماماً من أخيه وكان يعيش حياة متقشفة.

الثالث: اجابة عن أسئلة عاصم بن زياد بشأن معيشة الإمام.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٨٧

القسم الأوّل

اشارة

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هذِهِ الدَّارِ فِى الدُّنْيا، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِى الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ؟ وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ: تَقْرِى فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ.

الشرح والتفسير: الدار الواسعة

رغم أنّ هذا الكلام ورد فى قضية شخصية بشأن اثنين من أصحاب الإمام عليه السلام لكنه فى الواقع مبدأ كلى وخطة عامة فى ضرورة الاعتدال فى الاستعانة بالوسائل المعاشية، والأمّة الإسلاميّة طيلة التاريخ مشمولة بهذا الخطاب، فالإمام لما شاهد دار العلاء بن زياد الواسعة الفارهة والمؤثثة بالتأكيد وبّخه بادئ الأمر ثم نصحه مشفقاً فقال: «مَا كُنْتَ ١٣٨] تَصْنَعُ بِسَعَةِ هذِهِ الدَّارِ فِى الدُّنْيا، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِى الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ؟».

اعتاد الناس حين يعودون مريضاً على قول ما من شأنه إراحته والتخفيف عنه، إلّا أنّ معلماً ربانياً كعلى عليه السلام حين يرى صاحبه طريح الفراش الذى ربّما لا يعاود النهوض منه لابدّ أن يوقظه ويشدّه إلى مصيره ويريه سبيل السعادة ويجرعه مرارة النصح المصحوب بالعتاب، عله يتماثل للشفاء الحقيقى، ثم أراه اسلوب استغلال تلك الثروة الهائلة لنيل سعادة الآخرة فقال: «وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ:

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٨٨

تَقْرِى ١٣٩] فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ ١٤٠] مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ».

فقد أشار عليه السلام إلى حقيقة هى أنّ المال والثروة ليست مذمومة أو تتعارض مع القيم، بل المهم كيفية إنفاقها، فهى مذمومة إن

أدّت إلى الفخر والتكاثر والاحتكار.

لكنّها تعتبر رصيد الآخرة إن وضع قسم منها تحت تصرف المعوزين والقرابة والأصحاب، ومن هنا ذكر المال بصفة «خير» فى القرآن: «إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ»[١٤١].

جاء فى الخبر أنّ شخصاً ذم الأغنياء عند الإمام الصادق عليه السلام وأساء لهم فقال عليه السلام:

«أُسْكُتْ فَإِنَّ الْغَنِىَّ إذا كانَ وَصُولًا لِرَحِمِهِ، بارّاً بِإِخْوانِهِ أضْعَفَ اللَّه تَعالى لَهُ الأَجْرَ ضِعْفَيْنِ لأَنَّ اللَّه تَعالى يَقُولُ: وَما أَمْوالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ بِالّتى تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى إلّا مَنْ امَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَأُولئِك لَهُمْ جَزاءَ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَهُمْ فِى الْغُرُفاتِ امِنُونَ»[١٤٢].

وعليه فإنّ المال من شأنه أن يكون أفضل وسيلة للسعادة إن استغل بصورة صحيحة، كما يمكن أن يكون وسيلة للبؤس والشقاء إن اقترن بالبخل والإسراف والإحتكار.

تأمّل: الدار الواسعة فى الروايات

يستفاد من عدّة روايات أنّ إحدى علامات سعادة الإنسان، الدار الواسعة «مِنْ سَعادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، المَسْكَنُ الْواسِعُ»[١٤٣].

ووردت فى ذلك الباب من «الكافى» سبع روايات بهذا المضمون أو ما يقرب منه

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٨٩

عن المعصومين عليهم السلام، وأورد المرحوم العلّامة المجلسى فى الجزء ٧٣ من «بحارالأنوار» عدّة روايات بهذا الخصوص منها ما روى عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه اشترى داراً لأحد أصحابه وأشار عليه بالانتقال إليه كون داره صغيرة، فقال: إنّ والده اشترى تلك الدار (وأنا اتبعه) فقال عليه السلام: «إنّ أباكَ كَانَ جَاهلًا فَهلْ تَكونَ كأبِيكَ»[١٤٤].

طبعاً هذه الروايات لا تعنى أن يتجاوز الإنسان حالة الاعتدال ويقبل على الإسراف، بل تشير إلى ضرورة عدم قناعة الإنسان بالدار الضيقة والصغيرة ذريعة لترك صلة الرحم وعدم استقبال الضيوف. يقال: إن قصدنا دار الأرحام فسيأتون إلى دارنا وهى صغيرة، ومن هنا يتحفظون عن استقبال الضيف أساس الخير والبركة، وإنّ أحد أسباب شيوع ثقافة الدور الصغيرة فى عصرنا بغض النظر عن المشاكل الماليّة يتمثل فى هيمنة الثقافة الغربية الخالية من العواطف الإنسانيّة والتى لا تقيم وزنا لصلة الرحم ولا إقراء الضيف.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٩١

القسم الثانى

اشارة

فقال له العلاء: يا أَميرالمؤمنين، أشكو إليك أَخى عاصمَ بنَ زياد. قال:

وَمَا لَهُ؟ قال: لبِس الْعَباءَةَ وتَخَلَّى عن الدُّنيا. قال: عَلَىَّ بِهِ. فَلَما جَاءَ قال:

يَا عُدَىَّ نَفْسِهِ! لَقَدِ اسْتَهَامَ بِك الْخَبِيثُ! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَك وولَدَك! أَتَرَى اللَّه أَحَلَّ لَك الطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا! أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّه مِنْ ذلِك!

قال: يا أَميرالمؤمنين، هذا أَنْتَ فى خُشُونَةِ مَلْبَسِك وجُشُوبَةِ مأكَلِك!

قال: وَيْحَك، إِنِّى لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللَّه تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ!

الشرح والتفسير: ذم الهروب من الدنيا

لما وعظ الإمام عليه السلام العلاء بن زياد، عرض العلاء قضية أخيه الذى اختار طريقاً مغايراً له، «فقال له العلاء: يا أَميرالمؤمنين، أشكو إِليك أَخى عاصمَ بنَ زياد. قال:

وما له؟ قال: لبس الْعَبَاءَةَ وتَخَلَّى عن الدُّنيا. قال: عَلَيَّ بِهِ». «فَلَمَّا جَاءَ قال: يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ! لَقَدِ اسْتَهَامَ ١۴۵] بِكَ الْخَبِيثُ! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ!».

«عدىّ» تصغير «عدوّ» وأراد الإمام عليه السلام بهذه الوسيلة أن يحفزه لخروجه من مسار الاعتدال من جهة ويعتبر عمله عدواناً على نفسه من جهة أخرى، ثم يتعرض لهذه القضية فيبيّن له أن أعمالك إنّما تنطلق من وساوس الشيطان بالاضافة إلى

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٩٢

هوى النفس والتى تؤدى إلى نوع من الازدواجية والارباك فى المعيشة.

ثم ذكره عليه السلام بأنّك تظلم أهل بيتك فضلًا عن نفسك دون حجة أو دليل، والسبب وراء كلّ هذا التقريع المكرر رفض الإسلام للرهبنة ونسيان الدنيا بهذا الشكل والاقبال على العبادة ولا يرى ذلك سوى انحراف عن جادة الصواب كما سيرد تفصيل ذلك.

ثم قال: «أَتَرَى اللَّه أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا! أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّه مِنْ ذلِكَ!».

هذا الكلام فى الواقع إشارة إلى دليل لطيف وهو: أنّك اعتمدت طريقة ظاناً استنادها لأمر اللَّه، فى حين أحلّ القرآن صراحة الطيبات والثياب الطاهرة والأطعمة للجميع «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّه الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١۴۶].

الجملة «أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّه مِنْ ذلِكَ!» ربّما إشارة إلى أنّ هؤلاء الأفراد الذين يعيشون حياة خاصة ويعتزلون المجتمع الإسلامى، يرون أنّهم مميزون للغاية ويظنون أنّ الاعتزال والإرتياض يميزهم عن الآخرين وكأنّ اللَّه شرع منهاجاً خاصاً، إنّك أهون على اللَّه.

أراد عاصم أن يبرر وضعه: «قال: يا أَميرالمؤمنين، هذا أَنْتَ فى خُشُونَةِ مَلْبَسِك وجُشُوبَةِ[١۴٧] مأكَلِك!».

فردّ عليه الإمام عليه السلام قائلًا: «وَيْحَك، إِنِّى لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللَّه تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ ١۴٨] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ!».

وعلى ضوء هذا المنطق فإنّ عامة الناس أحرار فى التمتع بلذات الحياة باعتدال

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٩٣

وبعيداً عن الإسراف والتبذير، أمّا أئمّة الدين فلابدّ أن يقنعوا بالحياة المتواضعة على غرار ضعفاء المجتمع ليواسوا الطبقات الفقيرة والمحرومة كيلا يشعروا بالهم والأسى.

قال ابن أبى الحديد: فما قام على عليه السلام حتى نزع عاصم العباءة، ولبس ملاءة.

وأكد ابن أبى الحديد أنّ موضوع البحث الأصلى لم يكن العلاء بن زياد، بل شخص معروف هو الربيع بن زياد، والربيع بن زياد هو الذى افتتح بعض خراسان، وفيه قال عمر: دلونى على رجل إذا كان فى القوم أميراً فكأنّه ليس بأمير، واذا كان فى القوم ليس بأمير فكأنه الأمير بعينه! وكان خيّراً متواضعاً، وهو صاحب الوقعة مع عمر لما أحضر العمال فتوحش له الربيع، وتقشف وأكل معه الجشب من الطعام، فأقره على عمله، وصرف الباقين، وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم.

وكتب زياد بن أبيه إلى الربيع بن زياد، وهو على قطعة من خراسان: أنّ أمير المؤمنين معاوية كتب إلىَّ يأمرك أن تحرز الصفراء والبيضاء وتقسم الخرثى وما أشبهه على أهل الحرب.

فقال له الربيع: إنّى وجدت كتاب اللَّه قبل كتاب أمير المؤمنين (يعنى لابدّ من تقسيم الغنائم مثل رسول اللَّه وعلى)، ثم نادى فى الناس: أن اغدوا على غنائمكم، فأخذ الخمس وقسم الباقى على المسلمين، ثم دعا اللَّه أن يميته، فما جمع حتى مات يوم الجمعة[١۴٩].

تأمّلات

۱. ذم عموم الافراط والتفريط

الامّـة الإسـلاميّة أمّـة معتدلـة والمسـلمون أتبـاع الإسـلام والقرآن بعيـدون عـن مطلـق الافـراط والتفريـط: «وَكَذلِك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً»[۱۵۰].

نفحات الولاية، ج۸ ص: ۹۴

لكن المؤسف أنّ بعض الجهّال أو المغرضين والمعارضين للإسلام يعتمدون الافراط والتفريط ويسعون أحياناً لمنحه صيغة إسلامية.

والبعض وعلى ضوء أن الإسـلام أباح الطيبات، فقد أقبل على الكماليات، ويسـتدل أحياناً بحياة سليمان وفخامة ملكه التى تحدث عنها القرآن.

والبعض الآخر سـلك سبيل التفريط فأغلق الأبواب بوجهه وآثر العزلـة والتقوقع وحرم على نفسه الطيبات المحللـة، وقـد ابتعد الفريقان عن الصـراط المستقيم حيث صرح القرآن بأن علماء بنى اسرائيل قالوا لقارون: «وَابْتَغِ فِيمَآ آتَاك اللَّه الدَّارَ الْاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَك مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَآ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْك وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الأَرْضِ»[۱۵۱].

والحق لو إمتثل قارون وأمثاله هـذه المواعظ الاربع ولـم ينس نصـيبه من الـدنيا وجعل رصـيده المادى وسـيلة لنيل سـعادة الآخرة وهب لمعونة المستضعفين بدل الافساد فى الأرض، لما طاله قط الغضب الربانى.

وفى حديث معروف عن الباقر عليه السلام قال: «لَيْسَ مِنّا مَنْ تَرَك دُنْياهُ لِاخِرَتِهِ وَلا آخِرَتَهُ لِدُنْياهُ»[۱۵۲].

۲. التصوف ونتائجه

اعتقـد بـأنّ بعض الأـفراد فى اليونـان والهنـد منـذ آلاـف السـنين أنّه بإمكـانهم الإتيـان بـالخوارق أو نيـل المراتب المعنويـة من خلال الإرتياض والتشدد على النفس فى الملذات والأطعمة والأشربة والملبس، كونهم يعتقدون أنّ ترك اللذة سبب قوّة النفس وقدرتها.

وحين انتشـر الإسـلام تسـللت إليه هـذه الأفكار من سائر البلـدان فخلطه البعض بالزهـد وبعض التعاليم الإسـلاميّة فحمّلوا الـدين أفكاراً منحرفة وشاذة كانت نتيجتها

نفحات الولاية، ج۸ ص: ۹۵

«التصوف» ولعل الاسم يعود إلى أنّهم لبسوا فى البداية الثياب الصوفية الخشنة، رغم ما يزعمه بعض المتصوفة من أنّ مادة هذه المفردة هى الصـفاء «صـفاء النفس» والحال ليس هنالك أدنى صـلة بين هـذين اللفظين، فأحدهما أجوف واوى والآخر ناقص واوى، كما وقع فى هذا الخطأ من ذهب إلى أنّها مشـتقة من مفردة «أصـحاب الصفة» فصفة من مادة صفف «يعنى مضاعف» وصوفى من مادة «صوف» وعليه فهذه المفردة لا تعنى سوى لبس الصوف قطعاً.

على كلّ حال، لهـذه الفرقـة زعامات يطلق عليهم القطب والشيـخ والمرشد وأمثال ذلك ويدّعون أنّ لهم كرامات، وقد انقسـموا فئات لكل فئة طريقتها واسلوبها على أثر الاختلافات الداخليّة وأهواء الأقطاب، فهـذه الفرقـة تنظر إلى الأحكام الدينيـة التى تصـطلح عليها بالشـريفة أنّهـا قابلـة للتوجيه والتغيير، والمحور هو السـير الباطنى الـذى يسـمونه (الطريقـة)، ومن هنا فهى ترتكب العديـد من الـذنوب وتفسح المجال لاتباعها لانتهاك الأحكام الشرعيّة، بعبارة أخرى، تؤمن بأنّ الشريعة قشر والطريقة لب، والحقيقة «لب اللب».

وعلى هـذا الأساس فهى تسـتقطب الفاسـدين والمفسدين والمتهتكين من الأفراد وتعقد حفلات الرقص وتناول المخدرات، وتصـر من الناحيـة العقائديـة على «وحـدة الوجود» بمعنى «وحـدة الموجود» فيـدعى أغلب زعمائهـا بين الفينـة والأـخرى اتحـاده الوجودى بـاللّه،

ويصطلحون على هذا الكلام الهجين بالشطحيات، يبدو أنّ هذه الفرقة ظهرت بالتدريج بين المسلمين منذ القرن الهجرى الثانى فأنكر عليها ذلك بشدّة أئمّة أهل البيت عليهم السلام وحذروا المسلمين منهم وربّما شدّة تقريع الإمام عليه السلام لعمل عاصم بن زياد رؤيته عليه السلام أنّ ذلك مقدمة لظهور تلك الفئة فى المستقبل.

ورد أن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام سأله: ما تقول فى الصوفية التى ظهرت فى زماننا، قال:

«إنّهُم أعداؤنا فَمَنْ مالَ إلَيهِم فَهُو مِنْهُم وَيُحشرُ مَعَهُم وَسَيكُونُ أَقوامٌ يَدّعُونَ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٩۶

حُبّنا وَيَميلُونَ إلَيهِم، ويَتَشَبَّهُونَ بِهِم وَيُلقّبُونَ أَنْفُسَهُم بِلَقَبِهِم، ويَأوّلُونَ أَقوالَهُم ألا فَمَن مالَ إلَيهِم فَلَيسَ مِنّا وإنّا مِنهُ بَراءُ ومَنْ أَنكَرَهُم وَرَدَّ عَلَيهِم كَانَ كَمَن جاهَدَ الكُفّارَ بَينَ يَدى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله»[١۵٣].

وروى البزنطى وإسماعيل عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «مَنْ ذَكَرَ عِنْدَهُ الصُّوفِيَّةُ وَلَمْ يُنْكِرْهُمْ بِلِسانِهِ وَقَلْبِهِ فَلَيسَ مِنّا وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ فَكَأَنَّما جاهَدَ الْكُفّارَ بَيْنَ يَدَى رَسُولِ اللَّه»[١۵۴].

تنطوى جميع الفرق الصوفية على انحرافات فى القضايا العقائديّة والفقهيّة والأخلاقيّة نوجز بعضها:

١. حيث يرون أنّهم أهل الطريقة يعتقدون بأنّ الطريقة الكامنة فى مسار الحقيقة وأحكام الشريعة مقدمة فى الوصول إلى الطريقة والحقيقة، ولا يولون أهميّة للمسائل الشرعيّة ويتخلون عن أكثرها من خلال بعض الحجج والاعذار الواهيّة.

٢. الوقوع غالباً فى مطب التفسير بالرأى للكتاب والسنّة فيحمّلون الكتاب والسنّة آراءهم ويجيزون لأتباعهم مقارفة بعض الذنوب.

٣. يؤمنون بلزوم طاعة القطب والمرشد وينسبون لأقطابهم العديد من الكرامات الموضوعة التى تفوق أحياناً معاجز الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، ومن هنا ينتهى بعض اتباعهم إلى الشرك فيرى القطب والمرشد كالمعبود فيعبده.

۴. ابتدعوا الكثير فى الدين ولكل فرقة بدعتها من قبيل كيفية مجالس الأذكار والأوراد وسائر المجالس ومن هنا قلّما يحضرون المساجد، فقد أقاموا لهم مراكز عبادية ليكونوا أحراراً فى الإتيان بأعمالهم.

۵. يؤمن أغلبهم بالتعددية وكل دين سبيل إلى اللّه ولا يرون كساد متاع الكفر والدين.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٩٧

۶. من أهم انحرافاتهم، الإيمان بوحدة الوجود بمعنى وحدة الموجود، حيث يرون مجموعة موجودات العالم شيئاً واللّه عين ذلك الشىء ومن هنا يرون عبادة الأصنام نوعاً من عبادة اللّه شريطة عدم تحديد اللّه فى ذلك الصنم.

وقد ألّفت عدّة كتب من قِبل الأعلام والمحققين بشأن انحرافاتهم، وما ورد آنفاً مجرّد إشارة[١۵۵].

القضية الأخرى الجديرة بالذكر أنّ التصوف باهت فى وسط اتباع أهل‌البيت عليهم السلام وواسع للغاية فى وسط أبناء العامّة وينشط العديد من فئات هذه الفرقة وبعقائد مختلفة فى البلدان الإسلاميّة.

والعنصر الرئيسى فى هذا الفارق، الإيمان بولاية أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإيمان بوجود المهدى عليه السلام.

وهنالك جذور تاريخيّة واجتماعية مختلفة للتصوف واعتناقه ومنها:

١. هوّل خلفاء بنى العباس قضية التصوف بهدف صرف الأنظار عن أهل‌البيت عليهم السلام الذين يرونهم منافسيهم الحقيقيين للتقليل من أهمّية زهد أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم من خلال أدعياء الصوفية وحيث إنّ الصوفية تؤمن بالسير الباطنى فهى لا تهدد دنيا المتهافتين عليها، كما حظيت بدعم السياسات المستبدة فى عصرنا، كونها تمنع اتباعها من التدخل فى السياسة وتعبد الطريق للاستعمار والاستبداد.

٢. الوصول إلى المقامات العرفانية الصوفية- على العكس من بلوغ المقامات العلمية والفقهية كما يعتقدون بأنّ من ارتاض أربعين يوماً وداوم على قراءة بعض الأوراد وإن كان اميّاً ربّما يتحوّل إلى ولى من أولياء اللّه وينال مقامات رفيعة، بينما لا تكفى أحياناً أربعين سنة

من الجهد لبلوغ المقامات العلمية الرفيعة.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۹۸

۳. بما أنّهم ينظرون إلى الشريعة كوسيلة بسيطة ويفسحون المجال عملياً لأتباعهم لمخالفة بعض الأحكام الشرعيّة فإنّ أغلب الآثمين والمذنبين والساسة المحترفين الظلمة يتعاطفون معهم بغير حساب، أى‌أنّهم يواصلون ظلمهم وإثمهم، كما يشبعون بصورة كاذبة حسهم الدينى، بعبارة أخرى أنّ تساهلهم فى أمور الدين وتركهم أى‌حزم يؤدى إلى التحاق الأفراد بهم.

قال أحد الفضلاء: لما القى القبض علىَّ فى عهد النظام المباد وحملت إلى رئيس جهاز السافاك فى طهران قال لى: سمعت أنّك رجل متدين وعالم، لكن قطعاً لست أقل منك تديناً فأنا درويش وألهج بذكر على ويعطينى كلّ ما سألته، مع ذلك لا أطيق تحمل معارضة الشاه ولا أتردد فى قتل مليون شخص دفاعاً عنه.

ثم قال ذلك الفاضل: أدركت أنّ التصوف والدروشة تبيح حتى قتل مليون برىء دفاعاً عن الظالمين.

۳. الانتفاع بالطيبات

يعتقد البعض أنّ الزهد يناقض الانتفاع بالنعم الدنيوية وأنّ الإسلام يعتبر التشدد على النفس والإرتياض وهجران لذائذ الدنيا حسناً، والحال ليس الأمر كذلك، وكما أشرنا سابقاً فقد قال تعالى فى القرآن: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّه الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[۱۵۶].

وقال تعالى فى موضع آخر شارحاً أهداف البعثة النبوية وتعاليمها: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْاُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْانجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالاَْغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِك هُمُ الْمُفْلِحُونَ»[۱۵۷].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۹۹

وهنالك العديد من الآيات والروايات التى لا يسمح المقام ذكرها، لكن لا بأس بذكر موردين:

أحدهما: ما ورد فى هذه الخطبة من ضرورة عيش أئمّة العدل المعيشة المتواضعة ومواساة الطبقات الاجتماعية المحرومة بغية ذكرها والعمل على إزالة حرمانها إلى جانب كونها تضامن مع هذه الطبقات.

والآخر: ضرورة القناعة بالقليل وبذل الكثير لإنقاذ المحرومين حين يتعرضون لبعض الأزمات الاجتماعية ويعانون من الضغوط.

وزبدة الكلام الذى يفهم من الروايات أنّ الانتفاع بنعم اللَّه ضمن الحدود المعقولة والبعيدة عن الإسراف والتبذير ليس مذموماً وتركها لا يعد فضيلة وإن كان تواضع العيش سيما حين فقر البعض وكذلك بالنسبة لأئمّة العدل وزعماء المسلمين يعتبر فضيلة.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۰۱

الخطبة ۲۱۰

اشارة

وَقَدْ سَأَلَهُ سائِلٌ عَنْ أحاديثِ الْبِدَعِ، وَعَمّا فى أيْدِى النّاسِ

مِن اخْتِلافِ الْخَبَرِ، فَقالَ عليه السلام:[١٥٨]

نظرة إلى الخطبة

تشتمل هذه الخطبة التى تتحدّث عن أقسام الحديث والرواة على ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: خاض فيه الإمام عليه السلام ببيان أقسام الأحاديث التى فى أيدى الناس، وقال بينها حق وباطل وناسخ ومنسوخ و ... ثم أشار إلى عقاب وضّاع الأحاديث وبشرهم بنار جهنم على ضوء الحديث النبوى الشريف.

وذكر فى القسم الثانى صفات رواة الحديث فصنفهم أربعة أصناف: المنافقين والخاطئين والجاهلين والحفظة الصادقين.

وخاض فى القسم الثالث والأخير فى بعض خصائص أحاديث النّبى صلى الله عليه و آله وأشار

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٠٢

إلى كيفية فهمها، واختتمها بالإشارة إلى وعيه التام لأحاديث النّبى صلى الله عليه و آله، جدير ذكره أنّه ورد فى «الكافى» بشأن هذه الخطبة:

عن سليم بن قيس الهلالى قال: قلت لأميرالمؤمنين عليه السلام: إنى سمعت من سلمان والمقداد وأبىذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّاللَّه صلى الله عليه و آله غيرما فى أيدى الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت فى أيدى الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبى اللَّه صلى الله عليه و آله أنتم تخالفوهم فيها، وتزعمون أنّ ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله متعمدين ويفسّرون القرآن بآرائهم؟ قال: فأقبل علىَّ وقال: قد سألت فافهم الجواب، وذكر الخطبة عن عليه السلام مع شىء من الإضافات ١٥٩].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٠٣

القسم الأوّل

اشارة

إِنَّ فِى أَيْدِى النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلًا، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وناسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً، وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

الشرح والتفسير: نقد الروايات

منعت الخلافة عقب وفاة النّبى صلى الله عليه و آله لمدّة طويلة (أكثر من ١٠٠ سنة) تدوين السنّة لأسباب سترد فى محلها، مع ذلك كانت الألسن تتناقل أخبار النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فكانت تنسب له صلى الله عليه و آله بعض الأخبار المتناقضة، واستغل المنافقون والأعداء الخفيون والظاهرون تلك الظروف الذهبية فحاكوا بعض الأكاذيب لصالحهم أو لصالح زعمائهم ونسبوها للنبى صلى الله عليه و آله، وإن قام البعض فى القرون اللاحقة لتهذيب الأخبار ووضع معايير الصدق والكذب فانتعش تأليف كتب الحديث والرجال، لكن كما قيل فإنّ منع الكتابة حال دون تدوين الأحاديث.

فقد بيّن عليه السلام بعبارات قصيرة بليغة وعلى وجه الدقّة منبع اختلاف الأخبار ليوجزه بستة أمور فقال: «إِنَّ فِى أَيْدِى النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلًا، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وناسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً».

فأشار عليه السلام أوّلًا إلى السبب الأصلى المتمثل بوجود الحق والباطل التى ربّما تشير إلى عقيدة الحق والباطل، فأهل الحق يتابعون

أحاديث الحق وأهل‌الباطل يروِّجون للباطل.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۰۴

والصدق والكذب الذى يمثّل نوعاً آخر للحق والباطل بلباس القول هو عامل آخر.

فالكاذبون وضعوا عمداً بعض الأخبار المختلقة ونسبوها للنبى صلى الله عليه و آله وكانوا يتلقون أحياناً أموالًا باهضة من الحكام مثل معاوية وهو السبب الثانى، والسبب الثالث الناسخ والمنسوخ، فالبعض سمع حكم المنسوخ فقط ورواه والبعض الآخر سمع الناسخ ورواه.

والسبب الرابع العام والخاص مثلًا سمع البعض أنّ اللَّه أحلّ للناس المعاملات لكنه لم يسمع الحكم الخاص، أى‌بعض الاستثناءات، والبعض الآخر روى الاستثناء والذى يتناقض ظاهرياً مع الخبر العام.

المحكم والمتشابه هو السبب الخامس: فبعض الأخبار مثل بعض آيات القرآن تتحمل عدّة وجوه فى التفسير ثم ترد لاحقاً بعض الأخبار وتزيل الابهام، وعدم اطلاع الرواة على الحالتين أدى إلى الاختلاف فى الرواية.

السبب السادس: الحفظ والوهم فبعض الرواة روى حديث النّبى صلى الله عليه و آله بدقّة تامة، بينما رواها البعض الآخر على أساس الظن والوهم الذى لا- يطابق الواقع، هذه هى الأسباب التى تشابكت مع بعضها وعكرت أجواء الروايات الإسلاميّة، ثم بدأت هذه الأجواء تظهر فى ظل جهود علماء الحديث والرجال وإن ترسبت بعض الروايات الموضوعة.

ثم خاض عليه السلام فى ذكر دليل واضح على كلامه فقال: «وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ[۱۶۰] مَقْعَدَهُ ۱۶۱] مِنَ النَّارِ»».

ورد فى حديث آخر أنّه صلى الله عليه و آله قال: «قَدْ كَثُرَتْ عَلَيّ الْكَذّابَةُ وَسَتَكْثُرُ بَعْدى ألا فَمَنْ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۰۵

كَذَبَ عَلَيّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ»[۱۶۲].

وقد ورد هذا الحديث فى مصادر العامّة، ومنها «مستدرك الحاكم» و «سنن ابن ماجة» مع اختلاف طفيف ۱۶۳].

وأكد أغلب الشرّاح أنّ هذا الحديث يجعلنا نوقن بالكذب على النّبى صلى الله عليه و آله لأنّ هذا الحديث إن صدق فمعناه كثرة الكذب على النّبى صلى الله عليه و آله حتى خطب المسلمين واعداً الوضاعين بنار جهنم، وإن كان الحديث كاذباً فعلى الأقل أنّ هذا من الكذب الذى نسب للنبى صلى الله عليه و آله.

على كلّ حال، ممّا لا شك فيه أنّ بعض المنافقين والأعداء شهدوا عصر النّبى صلى الله عليه و آله وقد أشار إليهم القرآن فى عدّة سور، وقد اشتد خط النفاق عقب رحيل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؛ حيث كان هؤلاء أحد أسباب وضع الأحاديث، وطائفة أخرى خاضت فى الوضع لجهلها بالناسخ والمنسوخ وعدم تميزها بين المحكم والمتشابه والعام والخاص وهذا ما عكر صفو الأحاديث، واضطر علماء الحديث والرجال لبذل جهودهم ليعيّنوا معايير الحديث ويميزوا الصحيح من السقيم، وهذا ما سنشير له فى ختام الخطبة.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۰۷

القسم الثانى

اشارة

وَإِنَّما أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَال لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْايمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالْاسْلَامِ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ

مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله رَآهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّه عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِما أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمُ الأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّه، فَهذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ.

الشرح والتفسير: وضع المنافقين للحديث

كان ما مضى إشارة إجمالية عميقة المعنى لمختلف العناصر التى تقف وراء اختلاف وتعارض أحاديث النّبى صلى الله عليه و آله، وقد خاض الإمام عليه السلام هنا فى شرح ذلك الكلام فقسّم الرواة إلى أربعة أصناف وشخّص موقف كلّ صنف بصورة دقيقة.

والواقع أنّ الإمام عليه السلام اعتمد فى هذه الخطبة أحد فنون الفصاحة والبلاغة الذى يتمثل فى اسلوب الإجمال والتفصيل والذى ورد كراراً فى القرآن ليضع مخاطبيه بدقّة فى واقع الحدث، حيث خاطب عليه السلام السائل الذى استهل به الخطبة- وإن كان الخطاب للجميع- فقال: «وَإِنَّما أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَال لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٠٨

ثم تحدث الإمام عليه السلام عن الطائفة الاولى بصفتها العامل الأصلى للاختلاف فقال:

«رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْايمَانِ، مُتَصَنِّعٌ ١٦٤] بِالْاسْلَامِ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ ١٦٥]، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله مُتَعَمِّداً».

هبّ الأعداء لمواجهة الإسلام علانية حين لم يكن يتمتع بالقدرة الكافية غير أنّهم هزموا بعد فتح مكة وسيطرة الإسلام، فارتدوا- كسائر المجتمعات البشريّة- ثياب النفاق فالتحقوا ظاهرياً بصفوف المسلمين وانهمكوا باطنياً بأعمالهم التخريبية، وكانت إحدى طرقهم التخريبية المهمّة أن يكسوا أهدافهم ثياب أحاديث النّبى صلى الله عليه و آله ليحرفوا المسلمين ويحققوا اغراضهم، وكان المسلمون- الذين يثقون بالمقابل- يسمعون كلامهم كونهم صحابة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فعاش المجتمع الإسلامى مشكلة كبرى- ولحسن الحظ فقد أفرط هؤلاء فى وضع الروايات لصالح الحكام الظلمة كمعاوية إلى درجة جعلت أغلب الناس يقفون على دجلهم وسنتابع فى مبحث التأملات بعض النماذج.

ثم قال عليه السلام: «فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله رَآهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ ١٦٦] عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ».

يبدو أنّ أحد أساليب المنافقين أنّهم اسبغوا قدسية على الصحابة وأنّهم جميعاً مؤمنون صلحاء ومقدسون لينفذوا من ذلك لتحقيق مآربهم (وسنتعرض لذلك إنشاءاللَّه).

ثم استشهد عليه السلام بالقرآن على صحة كلامه بحيث لايبقى من مجال للشك فى أذهان مخاطبيه فقال: «وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّه عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِما أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٠٩

وهذا الكلام إشارة إلى آيات كثيرة وردت فى سورة (المنافقون)، التوبة، الأحزاب، النساء، البقرة، وسائر السور القرآنيّة وكشفت النقاب عن وضع المنافقين وفضحت أساليبهم وذكرت حيلهم ومصائدهم.

ثم قال عليه السلام: «ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ[١٦٧] وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمُ الأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ». وكانت النتيجة كما خلص إليها الإمام عليه السلام «فأكلوا بهم الدنيا». والمراد من أئمّة الضلالة والدعاة إلى النار بالدرجة الاولى، حكام بنى أمية الذين استهتروا بجميع شؤون الإسلام بما فيها أحاديث النّبى صلى الله عليه و آله ليتأمّروا على الناس، فكانت أفضل وسائلهم تسخير منافقى عصر النّبى صلى الله عليه و آله واذنابهم لتحقيق أهدافهم، وهكذا تكدرت أجواء الأحاديث.

والمؤسف أنّ أغلب الناس لهثوا خلفهم معصوبى العيون حيث قال عليه السلام: «وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوك وَالدُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّه».

العبارة المعروفة «النّاسُ عَلى دينِ مُلُوكِهِمْ» وإن لم ترد بهذه الصيغة فى الروايات ۱۶۸] إلّاأنّها حقيقية ورد مضمونها فى الروايات وكلمات الأعلام حيث إنّ الطبقة الفاسدة المفسدة إذا وردت الميدان بخطة مدروسة ووسائل إعلاميّة ودعائيّة واسعة أمكنها خداع الرأى العام واستقطاب العديد من الناس ولا تقتصر هذه الحقيقة على التاريخ الماضى وصدر الإسلام بعد النّبى صلى الله عليه و آله بل نلمسها اليوم فى أغلب البلدان المتقدمة، حيث استحوذ الطغاة على الشعوب وخدعوها وتلاعبوا بأفكارها من خلال الاستعانة بوسائل الاعلام ومعونة المنافقين، ثم اختتم عليه السلام هذا القسم بقوله «فهذا أحد الأربعة».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۱۰

تأمّلات

۱. المنافقون على عهد النّبى صلى الله عليه و آله

يعلم مَن له إلمام بالقرآن أنّ المنافقين ذُمّوا بشدّة فى مختلف السور والآيات ليدل هذا على أنّ المنافقين لم يكونوا عدّة معدودة، وقد انطلقت خططهم منذ قدم النّبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة واستقبل من قبل أكبر قبيلتين هما الأوس والخزرج وشكل الدولة الإسلاميّة، وهى الفئة التى شعرت بخطورة مصالحها إبّان ظهور الإسلام فأعلنت إسلامها فى حين كانت تكن العداء للنبى صلى الله عليه و آله والرسالة.

ورغم سعيها الجاد للتخفى، غير أنّها كانت تفتضح فى الظروف العصيبة التى تشهد العواصف السياسية والاجتماعية، فتارة من خلال اعتزال القتال وأخرى ببناء مسجد ضرار، وأحياناً من خلال التجسس لصالح المشركين على هامش فتح مكة وأخرى عن طريق تهويل قضية الإفك والتى كانت تكشف النقاب عن صورتهم الحقيقيّة.

وقد اتسع نطاق النقاب عقب فتح مكة؛ فأبو سفيان عدو الإسلام الأوّل وأتباعه اعتنقوا الإسلام لإنقاذ حياتهم، لكنهم كانوا يتحيّنون الفرص للانقضاض عليه.

۲. المنافقون بعد النّبى صلى الله عليه و آله

فتح الباب على مصراعيه عقب وفاة النّبى صلى الله عليه و آله لاتساع أنشطة المنافقين، فلم يكن من يردعهم بعد انقطاع الوحى ووفاة النّبى صلى الله عليه و آله ويحذر الناس منهم ويوجه لهم الضربة القاصمة كما يقول ابن أبى الحديد[۱۶۹] من جانب آخر فإنّ الفتوحات وكثرة الغنائم شغلت أغلب المسلمين وجعلتهم يغفلون عن مؤامرات المنافقين، سيما أنّ أغلب المنافقين شغلوا مناصب حساسة فى البلاد الإسلاميّة على عهد الخلفاء، وإحدى مؤامراتهم الخطيرة وضع الروايات بما يناسب رغبة الخلفاء والتى بلغت ذروتها على عهد معاوية بغية توجيه الضربة للإسلام من جهة والتقرب إلى الخلفاء

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۱۱

من جهة أخرى.

وقد وردت هذه القضية فى أغلب المصادر حتى وصل الأمر بمعاوية أن يتواطأ مع بعض الصحابة، فمن وضع الرواية كذا فله كذا.

فعمد المنافقون أحياناً إلى تحريف الحديث النبوى، وتغيير مضمونه تماماً، كالحديث المروى عن النّبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إذا رَأَيْتُمْ مُعاوِيَةَ يَخْطِبُ عَلى مِنْبَرى فَاقْتُلوه»[۱۷۰].

قال الحسن البصرى قال أبوسعيد الخدرى: «فَلَمْ نَفْعَل وَلَمْ نَفْلَحْ» ولكن المنافقين الوضاعين حرّفوا الحديث بأنّه قال: «إذا رَأَيْتُمْ مُعاوِيَةَ

يَخْطِبُ عَلى مِنْبَرى فَاقْبَلُوهُ فَإنَّهُ أمينٌ مَأمُونٌ»[١٧١].

قال ابن أبى الحديد: وكتب معاوية إلى عماله فى جميع الآفاق: ألّا يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا لى بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك، حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لِما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والقطائع، ويفيضه فى العرب منهم والموالى، فكثر ذلك فى كلّ مصر، وتنافسوا فى المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملًا من عمال معاوية، فيروى فى عثمان فضيلة أو منقبه إلّاكتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عماله: إنّ الحديث فى عثمان قد كثر وفشا فى كلّ مصر وفى كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابى هذا فادعوا الناس إلى الرواية فى فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خيراً يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١١٢

إلّا وتأتونى بمناقض له فى الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إلىَّ وأقرّ لعينى، وأدحض لحجّة أبى تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله ١٧٢].

إلّا أنّ المحدّثين إنّما يطعنون فيما دون الصحابة ولا يتجاسرون فى الطعن على أحد من الصحابة لأنّ عليه لفظ الصحبة[١٧٣].

٣. عدالة الصحابة

هناك رأيان مختلفان بشأن صحابة النّبى صلى الله عليه و آله: الرأى القائل: إنّهم أفراد صالحون وصادقون وعدول جميعاً ولهم قدسية خاصة، وعليه فروايتهم عن النّبى صلى الله عليه و آله مقبولة ولا ـ يرد عليها شىء، وإن بدر منهم خلاف من قبيل التصرفات الخاطئة للخليفة الثالث فى بيت المال وإثارة طلحة والزبير لفتنة الجمل وخروج معاوية على إمام المسلمين على عليه السلام وأمثال ذلك، فلابدّ أن نبرره فنقول: أقصى ذلك أنّهم كانوا مجتهدين وأخطأوا فى الاجتهاد.

والرأى الآخر: رغم وجود العدول من بين الصحابة والأتقياء، لكن كان بينهم المنافق والطالح الذى تبرأ منه النّبى صلى الله عليه و آله وذمّه القرآن كراراً حتى لعن البعض منهم، ولا ـ يملك أصحاب نظرية التنزيه المطلق للصحابة من دليل، وكلماتهم تخالف صريح القرآن والتاريخ الإسلامى.

صحيح أنّ القرآن أشاد فى بعض آياته بالمهاجرين والأنصار (رضى اللَّه عنهم ورضوا عنه) لكننا إن قارنا ذلك بسائر الآيات التى ذمت بعض الصحابة ووصفتهم بأنّهم أداة بيد الشيطان (سورة آل عمران، الآية ١٥٥) وعرّف بعضهم بالفسّاق (سورة حجرات، الآية ٦) واعترض بعضهم فى تقسيم النّبى صلى الله عليه و آله للغنائم وأنّه لم يعمل بالعدالة (سورة التوبة، الآية ٥٨) وفرار البعض الآخر عن الجهاد (سورة الأحزاب،

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١١٣

الآية ١٢ و ١٣) يتضح لنا أنّ نظرية تنزيه جميع الصحابة لا تعدو كونها خرافة وكان فئة من موالى الخلفاء عزفت على هذا الوتر بغية قطع الألسن التى ربّما تنطلق بالاعتراض على أعمالهم ولاسيما حكام بنى أمية (معاوية وطائفة من رهطه الذين كانوا ظاهراً من الصحابة) تعصبوا لهذه النظرية أكثر من غيرهم ليبرروا من خلالها عظيم جناياتهم، ولكن لحسن الحظ فإنّ محققى العامّة أدركوا اليوم هذه الحقيقة فألّفوا العديد من الكتب فى تفنيد نظرية التنزيه ١٧٤].

وخطبة الإمام عليه السلام هذه تدل أوّلًا: على إنّ هذه العقيدة (تنزيه الصحابة) كانت سائدة لدى البعض على عهده فتزعم أنّ فلاناً صحابى وكلامه حجّة.

وثانياً: أنّ الإمام عليه السلام رفض تلك النظرية على أنّ من بين الصحابة منافقين تسللوا إلى الإسلام.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۱۵

القسم الثالث

اشارة

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّه شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهَمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذلِك لَرَفَضَهُ!

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

الشرح والتفسير: أحاديث الناسخ والمنسوخ

أشار الإمام عليه السلام هنا إلى قسمين من أسباب اختلاف الأحاديث وتعارضها فقال:

«وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّه شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهَمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله».

فهذا الخطأ يعود تارة إلى التساهل والتسامح، وأخرى إلى الجهل بمفاهيم الألفاظ والعبارات، وأحياناً كون الإنسان ليس بمعصوم ويجوز عليه الخطأ والسهو والنسيان، ومهما كان السبب فالنتيجة واحدة وهي النقل الخاطئ للآخرين.

مثلًا ورد عن عبداللَّه بن عمر أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ». فلما بلغ الحديث ابن عباس قال: أخطأ عبد اللَّه في نقل الحديث، إنّما مرّ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۱۶

النّبي صلى الله عليه و آله بقبر يهودي فقال «إِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُعَذَّبُ»[۱۷۵].

ومن هنا اشترط في علم الدراية ضبط الراوي في قبول الحديث حيث ينبغي أن يكون ملمّاً عالماً بالمطلب فيرويه صحيحاً.

القضية المهمّة أيضاً أنّ أغلب الأعلام جوّزوا النقل بالمعنى، أي أنّ الراوي ليس ملزماً برواية ذات ألفاظ، بل له صياغتها في قالب آخر ويرويها، ونعلم أنّ هذا العمل ليس هيناً وربّما يخطئ الراوي في ذلك.

ثم قال عليه السلام: «فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذلِك لَرَفَضَهُ!».

وعليه فليس للراوي نيّة سيئة في هذه الموارد وإن أخطأ في فعله ولعله يضل الآخرين دون قصد، وأغلب هذه الأخطاء كون الراوي لم ينقل صدر الرواية وذيلها فيتغير مفهومها.

مثلًا قال أحدهم للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: إنّ الناس يروون عن النّبي صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إِنَّ اللَّه خَلَقَ آدَمَ عَلى صُورَتِهِ». فقال عليه السلام: لعنهم اللَّه فقد أسقطوا صدر الحديث، إنّما مرّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله برجلين يسبّ أحدهما الآخر فيقول له: «قَبَّحَ اللَّه وَجْهَك وَوَجْهَ مَنْ يُشْبِهُك».

فقال صلى الله عليه و آله: «يا عَبْدَاللَّه لا تَقُلْ هذا لأَخيك فَإِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلى صُورَتِهِ»[۱۷۶]، أي على صورة أخيك هذا الذي أنت تسبّه الآن.

***

ثم قال الإمام عليه السلام في الطائفة الثالثة من الرواة: «وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى

عَنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۱۷

مسألة النسخ من المسائل الإسلاميّة التى حصلت بصيغة محدودة فى أصل نزول القرآن، أى أنّه نزل حكماً لزمان معين ثم أزيل ليحلّ محلّه حكم دائم، مثلًا، أمر المسلمون بادئ الأمر بالتوّجه إلى بيت المقدس فى الصلاة واستمر هذا الأمر مدّة فى مكة ثم المدينة وقد نسخ هذا الحكم لعله ربّما لأنّ الكعبة تحولت آنذاك إلى معبد للأصنام، ولكن حين رسخ النّبى دعائم التوحيد أُمر المسلمون فى السنة الثانية للهجرة بالتوجه إلى الكعبة، وورد هذا المعنى فى الأحاديث النبوية فكان النّبى يبيّن حكماً هو فى الواقع مؤقت ولكن لم يبيّن زمانه ثم ينسخ ذلك الحكم بحكم دائمى، على سبيل المثال قال النبىّ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلاث؛ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيارَةِ الْقُبُورِ، ألا فَزُورُوها، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ إخْراجِ اللُّحُومِ الأضاحى مِنْ مِنى بَعْدَ ثَلاث ألا فَكُلُوا وَادَّخِرُوا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ ألا فَانْبِذُوا وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرام»[۱۷۷].

وعليه يسع نقل الأحاديث الصحيحة للنبى لمن له إحاطة تامة بكلّ الأحاديث فيعرف الناسخ والمنسوخ ويضع كلًا فى محله، وموضوع العام والخاص كذلك حيث يقال أحياناً، حكم عام يشمل جميع الأفراد، مثلًا، قوله صلى الله عليه و آله: «النّاسُ مُسَلَّطُونَ عَلى أَمْوالِهِمْ»[۱۷۸].

ثم يقول فى موضع آخر: «لا ضَرَرَ وَلا ضِرارَ فى الْاسْلام»[۱۷۹].

فمن سمع الحكم العام ولم يعلم الخاص يبلغه الآخرين بما يناقض الحكم الخاص، بينما يعلم بعدم التناقض كلّ من سمعهما معاً، ثم قال عليه السلام: «فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ».

ومن هنا فإنّ بعض اختلاف الأحاديث ناشىء من عدم الإحاطة بروايات الناسخ والمنسوخ دون سوء نيّة من الرواة.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۱۸

تأمّل: النسخ فى أحكام الشرع

رغم أنّ موارد النسخ فى آيات القرآن وروايات النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله محدودة ومعدودة؛ إلّاأنّ لهذه المسألة أهمّية خاصة؛ من حيث إرتباطها بالمسائل العقائدية والمسائل المتعلقة بالنبوّة والأحكام.

يتساءل البعض: كيف يمكن أن يوحى اللّه للنبى حكماً ظاهره أبدىّ ودائمى؛ لكنه ينسخ بعد مدّة ويحلّ محلّه حكم آخر غالباً ما يناقضه، مع أنّ علم اللّه غير محدود وعلم النّبى أيضاً يستند إلى الوحى؟ والنسخ كثير فى الأحكام العرفية والوضعية وليس ذلك من العجب، لأنّه يدرس الأمور ويضع الأحكام؛ إلّاأنّ ضعفها وعجزها يتضح عند العمل فينسخها، ولو علم العيوب والمثالب منذ البداية ربّما لم يضعها؛ إلّاأنّ هذا الأمر لا يصدق على الأحكام الشرعيّة، فما معنى النسخ فيها؟

يتضح الجواب عن هذا السؤال من الالتفات إلى نقطة وهى: أنّ النسخ فى الأحكام الشرعيّة من حيث تغيير الموضوع؛ بعبارة أخرى أنّ عمر ذلك الحكم كان محدوداً منذ البداية بزمان معين وإن لم يُشر إلى نفاده لبعض المصالح.

مثلًا، حكم التصدق قبل النجوى الواردة فى الآية ۱۲- ۱۳ من سورة المجادلة كان لاختبار أصحاب النّبى صلى الله عليه و آله وتفهيم هذه القضية أنّ أغلب مناجاة الأفراد للنبى لم تكن ضرورية ولابد من تركها حتى لا يكون هنالك اساءة ظن، ومن هنا لما أمر بالتصدق قبل النجوى تركه جميع الأصحاب سوى على عليه السلام الذى تصدق وناجى النّبى فى أمر مهم ليفخر بأنّه الوحيد الذى عمل بالآية.

ثم نزلت بعد ذلك آية نسخت التصدق قبل النجوى وعلم الجميع أنّ أغلب نجواهم لم تكن ضرورية فامتنعوا عنها، ومن هذا القبيل النسخ سواء فى القرآن أو الحديث حيث يوضع حكم فى ظروف معينة لمدّة معينة ثم ينسخ بعد تغيير الشرائط.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۱۹

جدير ذكره أن النسخ حسب ما ورد هنا يقتصر على زمان النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حين فتح باب الوحى ولم يقع أى نسخ بعد النّبى ١٨٠].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٢١

القسم الرابع

اشارة

وَآخَرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّه، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّه، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله وَلَمْ يَهِمْ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْء مَوْضِعَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّه سُبْحَانَهُ، بِهِ، وَلَا مَا عَنَى رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه و آله فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ، فَيَسْأَلَهُ عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ، فَهذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

الشرح والتفسير: حفظة الحديث

تطرق الإمام عليه السلام هنا إلى الصنف الرابع من الرواة السالكين الصراط المستقيم وحملة أحاديث النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام الثقاة والمبينين لأحكام الدين فقال:

«وَآخَرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّه، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّه، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٢٢

وعليه تغيب فيهم أُولى مناشىء تضاد الأخبار: الكذب على اللَّه ورسوله ووضع الأحاديث، حيث إنّ مجانبة الكذب جزء من ذاتهم وخوف اللَّه وتعظيم النّبى بغّضَ إلى نفوسهم الكذب.

ثم قال: «وَلَمْ يَهِمْ ١٨١]، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ».

وهنا زال عنهم المصدر الآخر لاختلاف الأحاديث والذى يتمثل بتساهل الرواة، ثم بيّن عليه السلام صفة أُخرى لرواة الصدق العارفين فقال: «فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ ١٨٢] عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْء مَوْضِعَهُ».

فهذه العبارة العميقة المعنى إشارة إلى الرواة الصادقين المحيطين إحاطة تامة بالأخبار المختلفة؛ ويعرفون الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمحكم والمتشابه، فيجعلون كلّاً فى موضعه ليبتعدوا عن التناقض والخطأ.

وكلامالإمام عليه السلام بشأن دراسة أساس اختلاف الأحاديث، ليس خاصاً يتعلق بالحديث فحسب، بل يعلمنا درساً أهم وأشمل فلابد من التوجه إلى الأسس والتعرف على العوامل المؤثرة فى السعى لإزالة المعوقات وإلّا فإنّ كلّ إصلاح يبقى سطحياً وعابراً.

ثم أشار إلى سبب آخر لاختلاف الأحاديث والذى يكمل المباحث السابقة، وهو اختلاف استعداد الأصحاب فى تعلّم الأحاديث وتفسيرها وفهم معناها فقال:

«وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّه، سُبْحَانَهُ، بِهِ، وَلَا مَا عَنَى رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه و آله فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٢٣

ليس المراد من الخاص والعام فى هذه العبارة، الخاص والعام الاصطلاحيّان فى علم الفقه والأصول، بل المراد الخاص والعام اللغويان؛ أى الحكم الخاص بمورد معين والحكم العام، مثلًا ورد فى بعض الروايات أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أمر المسلمين فى السنة السابعة للهجرة بعد الحديبية حين أتوا إلى مكة لإتيان مناسك الحج، أن يسرعوا فى الطواف حول البيت الحرام (ليشعر المشركون بالخوف من قوّتهم وسرعة حركتهم)[١٨٣] والحال لم تكن سنة ثابتة ودائمية، وورد فى الكلمات القصار من «نهج البلاغة» أنّه سئل الإمام عليه السلام عن حديث النّبى صلى الله عليه و آله حين قال: «غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ».

قال عليه السلام: «إنّما قال ذلك (الحكم الخاص) والدين قُلّ، أمّا الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرئ وما اختار»[١٨۴].

ثم خاض الإمام عليه السلام فى مشكلة أخرى بشأن نقل الأحاديث وهى؛ «وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ[١٨۵]، فَيَسْأَلَهُ عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا».

الظاهر أنّ هذه العبارة إشارة إلى الأصحاب الذين لم يكونوا من أهل التحقيق ولا طرح الأسئلة المختلفة فى أصول الدين والفروع ومن هنا لم يقفوا على ناسخ ومنسوخ وعام وخاص ومحكم ومتشابه ومجمل ومبيّن، فلا يسألون عنها ولا يلمون بالمسائل ولكن إن جاء أحد وسأل وتلقى الجواب المطلوب تفاعلوا معه.

وقد فسّر بعض الشراح، العبارة المذكورة أنّ بعض الصحابة لم يكن يسأل النّبى لهيبته أو أنّ كثرة السؤال تحمل على إساءة الأدب فيمتنعون عن السؤال ١٨۶]؛ إلّاأنّ هذا

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٢۴

الاحتمال لا يتناسب والعبارة التى وردت فى كلام الإمام حيث قال عليه السلام مواصلًا كلامه؛ «وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِى مِنْ ذلِك شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ».

وإن رأينا استعداد الإمام للاجابة عن كلّ سؤال وبغض النظر عن الامداد الغيبى والالهام الباطنى والتأهب الذاتى فإنّ ذلك لملازمته الحميمة للنبى وروح السؤال للإحاطة بكلّ شىء من المسائل الإسلاميّة.

ثم قال فى ختام الخطبة: «فَهذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِى اخْتِلَافِهِمْ، وَعللِهِمْ فِى رِوَايَاتِهِمْ». وردت عدّة عبارات فى ذيل هذه الخطبة فى بعض المصادر ومنها «الكافى» حيث قال:

«وَقَدْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلى رَسُولِ اللَّه كُلَّ يَوْم دَخْلَةً وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخْلَةً فَيُخَلِّينى فيها أَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ دارَ وَقَدْ عَلِمَ أَصْحابُ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذلِك بِأَحَد مِنَ النّاسِ غَيْرى ... فَما نَزَلَتْ عَلى رَسُولِ اللَّه آيةٌ مِنَ الْقُرآنِ إِلّاأَقرأنيها وَأملاها عَلَىّ فَكَتَبْتُها بِخَطّى وَعَلَّمنى تَأويلَها وَتَفْسيرَها وَناسِخَها وَمَنْسُوخَها وَمُحْكَمَها وَمُتَشابِهَهَا وَخاصَّها وَعامَّها وَدَعا اللَّه أَنْ يُعْطِيَنى فَهْمَها وَحِفْظَها ... وَما تَرَكَ شَيْئاً عَلَّمَهُ اللَّه مِنْ حَلالٍ وَلا حَرام وَلا أَمْرٍ وَلا نَهْىٍ كانَ أَوْ يَكُونُ وَلا كِتابٍ مُنْزَل عَلى أَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ طاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ إِلّاعَلَّمَنيهِ وَحَفِظْتُهُ فَلَمْ أنسَ حَرْفاً واحِداً ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلى صَدْرى وَدعا اللَّه لِى أَنْ يَمْلأَ قَلْبى عِلْماً وَفَهْماً وَحِكْماً وَنُوراً»[١٨٧].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٢۵

الخطبة ٢١١

اشارة

فى عَجيبِ صَنْعَةِ الْكَون ١٨٨]

نظرة إلى الخطبة

تتناول الخطبة عجائب خلق السماء والأرض منذ انطلاقة الخليقة ولحد الآن وتشير إلى عدّة أمور منها:

١. قدرة اللَّه العظيمة فى خلق الكون.

٢. بداية خلق الأرض والسماء وأنّها كانت بادئ الأمر كتلة ضخمة من مادة مذابة كالبحر المتلاطم.

٣. تشكيل كتلة جديدة على سطح هذا البحر المذاب ثم تكون الكرة الأرضية وسائر الكرات السماوية.

۴. ظهور التشققات الأرضية وتكوّن الجبال والقمم التى تمتد لعنان السماء.

۵. تمجيد اللَّه وتسبيحه على هذا الخلق العظيم والاعتبار بهذا الخلق العجيب.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٢٧

القسم الأوّل

اشارة

وَكَانَ مِن اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ، يَبَساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَات بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلى حَدِّهِ. وَأَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ، وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِامْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِى مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ.

الشرح والتفسير: بداية خلق الكون

حمل الإمام عليه السلام مخاطبيه إلى بداية خلق الكون ليريهم عظمة الخلق وعجائبه فقال: «وَكَانَ مِن اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ[١٨٩] الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ ١٩٠]، يَبَساً جَامِداً».

(اقتدار) من مادة قدرة وجبروت صيغة مبالغة تفيد السلطة التامة، وعليه فانطلاقة الخلق العظيم للسماء والأرض هى قدرة الخالق العظيم من جهة وابداعه اللطيف والظريف من جهة أخرى، فالفرد ربّما يفقد الدقّة والظرافة فى فعل عظيم أو يتعذر عليه التوسع فى هذا الفعل؛ إلّاأنّ القادر المتعال مزج ذلك فى خلق الأرض والسماء، فهناك العظمة فى فعله والدقّة واللطف.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٢٨

فقد ذكر الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة على غرار الخطبة الاولى والخطبة ٩١ من «نهج البلاغة» أنّ بداية الخلق كانت من المياه، وقطعاً ليس المراد المياه الطبيعية اليوم، بل الكتل العظيمة المذابة والمتلاطمة التى صنعها اللَّه بقدرته، وقد تحولت هذه المادة المذابة بمرور الزمان إلى مواد جافة فكونت الأرض والكرات السماوية، ويتفق هذا الطرح مع النظريات العلمية المعاصرة بشأن ظهور الكون، جدير ذكره أنّ العبارة (من ماء البحر الزاخر) تفيد أنّ قسماً من هذا البحر الزاخر تحول إلى كرات سماوية وبقى قسم منها وهذا ما ينسجم أيضاً والاكتشافات العلمية التى تقول: ما زالت مواد عظيمة من الكتل الغازية المحرقة أو المواد المذابة فى السماء لم تتحول إلى كرات على غرار كرات المنظومة الشمسية.

ثم تحدّث عن ظهور السموات السبع فقال: «ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً[١٩١]، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَات بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا[١٩٢]، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ

عَلى حَدِّهِ».

والكلام اقتباس ممّا ورد فى الآية ۳۰ من سورة الأنبياء: «أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ».

ومن الواضح أنّ المشاهدة فى هذه الآية ليست المشاهدة الحسية وبالعين، بل المشاهدة الباطنية من خلال العلم والمعرفة، ذهبت النظريات العلميّة اليوم إلى أنّ السماء والأرض كانتا فى البداية كتلة عظيمة من الغازات والمواد المذابة وقد انفصلت منها بعض القطع الواحدة تلو الأخرى اثر دورانها حول نفسها أو بفعل عوامل أخرى فقذفت فى زاوية من الفضاء وكونت الكرات والمنظومات والمجرات.

ثم تطرق عليه السلام إلى خلق الأرض فقال: «وَأَرْسَى ۱۹۳] أَرْضاً يَحْمِلُهَا الأَخْضَرُ[۱۹۴]

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۲۹

الْمُثْعَنْجِرُ[۱۹۵]، وَالْقَمْقَامُ ۱۹۶] الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِامْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِى مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ».

ولعل الكلام إشارة إلى الأمطار الغزيرة التى اجتاحت الكرة الأرضية فى بداية خلق الأرض بصيغة بحر عظيم وتخللت هذه المياه فجوات الأرض بمرور الزمان فشكلت اليابسة التى تكون ربع الكرة الأرضيّة، وهدات المياه لتذلل الأرض لكى يعيش عليها الإنسان وسائر الكائنات.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۳۱

القسم الثانى

اشارة

وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا، فَأَرْسَاهَا فِى مَرَاسِيهَا، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا. فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِى الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِى الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِى مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرْزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً! فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَايَجْرِى، وَقَائِمٍ لَايَسْرِى، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ، وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ؛ «إِنَّ فى ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى».

الشرح والتفسير: خلق الجبال

خاض الإمام عليه السلام بعد بيانه لخلق السموات والأرض واستقرار الأرض فى موضعها فى شرح إحدى الظواهر الأرضية المهمّة التى تلعب دوراً مهمّاً فى حياة الإنسان وسائر الكائنات الحية فقال: «وَجَبَلَ ۱۹۷] جَلَامِيدَهَا[۱۹۸]، وَنُشُوزَ[۱۹۹] مُتُونِهَا[۲۰۰]

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۳۲

وَأَطْوَادِهَا[۲۰۱]، فَأَرْسَاهَا فِى مَرَاسِيهَا، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا. فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِى الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِى الْمَاءِ».

المفروغ منه علميّاً أنّ سطح الكرة الارضية لم تَعلُهُ المرتفعات قبل أن يبرد، إلّا أنّ الشقوق تخللتها بعد برودتها (كالتفاحة التى تمر عليها مدّة فتتصلب) فكونت هذه الشقوق الجبال والوديان العظيمة، وكانت الجبال تنطلق إلى السماء وتغوص جذورها فى المواد المذابة فى جوف الأرض فتكون سطح الأرض بصيغته الفعليّة.

ثم وضح أكثر فقال: «فَأَنْهَدَ[۲۰۲] جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ ۲۰۳] قَوَاعِدَهَا فِى مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا[۲۰۴]، فَأَشْهَقَ ۲۰۵]

قِلَالَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا[۲۰۶]».

تفيد هذه العبارة أنّ جبال الارض بغض النظر عن استوائها خارجياً فإنّ لها جذوراً عظيمة فى أطناب الأرض وهى الجذور التى تشدها معاً من الداخل، بالضبط كالشجرة التى كلما امتد ساقها وأوراقها إلى الأعلى انغمرت جذورها أعمق فى الأرض، فالامتداد والاستقرار يرسخ الجذور فى الأرض.

ثم ذكر عليه السلام فوائد الجبال وأهمها حفظ استقرار الأرض وسكانها، فقال بعبارات دقيقة وعميقة: «وَ جَعَلَهَا لِلْارْضِ عِمَاداً، وَأَرَّزَهَا[۲۰۷] فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ[۲۰۸] بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ ۲۰۹] بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۳۳

كيف تهب الجبال الأرض الاستقرار وتحول دون اضطرابها؟ وتتضح الاجابة عن هذا السؤال من خلال قضية هى أنّ نواة جوف الأرض مواد مذابة وغازات تسلط ضغطاً على الدوام على القشرة الخارجية وتظهر أحياناً كبراكين، إلّاأنّ الجبال لا تتحمل تلك الضغوط بفعل جذورها المحكمة والمتصلة فتحول دون الاضطراب فتصبح مصدراً لاستقرار القشرة الأرضيّة.

أضف إلى ذلك فإنّ الجبال تعتبر من العوامل المؤثرة فى استقرار الأرض بفعل الضغوط الخارجية الناشئة من جاذبيّة الشمس والقمر وما يحصل منها من مد وجزر، من جانب آخر فإنّها ملاذات إزاء العواصف التى تصيب سطح الأرض ومن شأنها تهديد حياة الإنسان، ومن أراد المزيد بهذا الخصوص فليراجع الخطبة ۹۱ من الجزء الرابع لهذا الشرح وتفيد العبارة «فسكنتا على حركتها» استنادا للعبارة «على» أنّ الإمام عليه السلام أشار بوضوح آنذاك إلى حركة الأرض التى كان يقول بسكونها آنذاك جميع علماء الهيئة حيث قال رغم حركة الأرض إلّاأنّها مستقرة ولا تعرض سكانها للاضطراب.

وقد أشار المرحوم العلّامة شرف الدين صاحب كتاب (مؤلفو الشيعة فى صدر الإسلام) إلى هذه النقطة الظريفة[۲۱۰].

ثم قال عليه السلام: «فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً! فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَايَجْرِى، وَقَائِمٍ لَايَسْرِى، تُكَرْكِرُهُ ۲۱۱] الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ، وَتَمْخُضُهُ ۲۱۲] الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ ۲۱۳]؛ «إِنَ فى ذلِك لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى»».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۳۴

تبدو للوهلة الاولى فى هذه العبارة جملتان متناقضتان؛ فقد قال فى الاولى: إنّ اللّه بسط الأرض على بحر عظيم لجّى راكد لا يجرى وقال فى ذيلها: تكركره الرياح العواصف، إلّاأنّ تأمّل العبارة يوضح نفى أىتناقض، فالعبارة الاولى تتحدّث عن استقرار طبيعة البحر، والثانية عن تأثير العوامل الخارجية، أىالرياح الشديدة على سطوح البحار.

وقوله: «وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ» إمّا لأنّ هذه السحب مقترنة دائماً بالعواصف، أو أنّ سيول الأمطار تسقط على سطوح المحيطات تؤثر عليها وتجعلها متلاطمة.

والعبارة «إِنَّ فى ذلِك لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى» إمّا إشارة إلى سكون البحار وحركتها التى أشرنا إليها، أو إشارة لما ذكره عليه السلام فى هذه الخطبة بشأن خلق الجبال وخلق الأرض والسماء، والآية: «إِنَّ فى ذلِك لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى»[۲۱۴] تصرّح بأنّ الخشية وليدة العلم والعلماء ممن يعتبرون بهذه الأمور كما قال فى موضع آخر «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»[۲۱۵].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۳۵

الخطبة ۲۱۲

اشارة

كانَ يَسْتَنْهِضُ بِها أصْحابَه إلى جِهادِ أهْلِ الشّامِ فى زَمانِهِ ٢١٦]

نظرة إلى الخطبة

هذه الخطبة فى الواقع استغاثة باللَّه ممزوجة بالدعاء لنصرة جند الإسلام ومؤاخذة العناصر العاكفة عن نصرة الحق واتمام الحجة عليهم أمام اللَّه تعالى، ويشير الكلام إلى مدى امتعاظ الإمام عليه السلام عن ضعف أهل الكوفة وعدم مبالاتهم بأمر جهاد طغام أهل الشام؛ الأمر الذى يستفاد من أغلب خطب «نهج البلاغة» ولولا الضعف والنكوص لنحا التاريخ الإسلامى منحى آخر ولكن للاسف ...!

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٣٧

اللّهمَّ أَيُّمَا عَبْد مِنْ عِبَادِك سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فِى الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِك، وَالْابْطَاءَ عَنْ إعْزَازِ دِينِك، فَإنَّا نَسْتَشْهِدُك عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أسْكَنْتَهُ أَرْضَك وَسَماواتِك، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِى عَنْ نَصْرِهِ، وَالآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

الشرح والتفسير: جزاء المتخلفين

تفيد القرائن أنّ هذه العبارات العميقة المعنى المليئة بالأسى واللوعة كانت بعضاً من خطبة طويلة اقتطف منها المرحوم السيد الرضى هذا القسم وفصله عنها، ويرى البعض أنّه ذيل الخطبة ١٩٨[٢١٧].

والهدف الأصلى لأميرالمؤمنين عليه السلام من هذه الخطبة تعبئة صحبه لجهاد أهل الشام الظلمة؛ لكن بصيغة شكوى إلى اللَّه، شكوى من أولئك الذين يسمعون دعوته العادلة ويتمردون عليه فى الجهاد، الشكوى التى تبيّن مدى مظلومية الإمام عليه السلام ومدى افتقار صحبه للشعور بالمسؤولية. فقال: «اللّهمَّ أَيُّمَا عَبْد مِنْ عِبَادِك سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فِى الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إلَّا النُّكُوصَ ٢١٨] عَنْ نُصْرَتِك، وَالْابْطَاءَ[٢١٩] عَنْ إعْزَازِ دِينِك، فَإنَّا نَسْتَشْهِدُك عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٣٨

الشَّاهِدينَ شَهَادَةً».

جدير ذكره أنّ الإمام عليه السلام أكّد بهذه العبارات بشأن الدعوة إلى جهاد ظلمة أهل الشام على أربع أو على اعتبار على صفتين:

١. إنّ هذا الكلام كلام على مسار العدل.

٢. لا ظلم فيه قط.

٣. سبب إصلاح الناس.

۴. لا يترتب عليه أىفساد وآثاره الايجابية ظاهرة فى دنيا الناس ودينهم.

والبداهة تحكم بضرورة إتّباع هذا الكلام المليىء بالحق والعدل والصلح والمصلحة وانحراف من يخالفه عن شرع اللَّه والعقل.

القضية الأخرى أنّ الإمام عليه السلام يقول: إنّ من يتمرد على دعوته لجهاد أهل الشام الظلمة إنّما ينكص عن نصرة اللَّه واشتداد دينه دون أن يجنى الإمام عليه السلام نفعاً خاصاً من ذلك، كما أراد أن يذكر الإمام عليه السلام ضمنياً بأنّ مسير أهل الشام مسير الظلم والجور وأساس الفساد فى دين الناس ودنياهم.

وواصل عليه السلام كلامه بإشهاد من فى السماء والأرض إلى جانب إشهاد اللَّه فقال:

«وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أسْكَنْتَهُ أَرْضَك وَسَماواتِك، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِى عَنْ نَصْرِهِ، وَالآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ».

فقد أتمّ الإمام عليه السلام بهذه الشكوى إلى اللَّه المنبعثة من قلب حزين ملتاع، الحجة على المتثاقلين عن الجهاد من جهة وتحذير من

جهة أخرى لصحبه الأوفياء ألّا يهنوا بسبب ضعف أولئك الأفراد ويعلموا أنّ اللّه ناصرهم واؤلئك الناكصين سيلاقون جزاء أعمالهم، ويشهد التاريخ أنّهم ابتلوا عقب شهادة الإمام عليه السلام وولّى عليهم ظلمة من ولاة بنى أمية فلم يرعوا فيهم ذمّة ولم يألوا جهداً فى اذاقتهم العقاب.

ورد فى كتاب «صفين» لنصر بن مزاحم أنّه قام رجل من بنى فزارة فقال للإمام:

تريدنا أن نقاتل أهل الشام فنقتل إخوتنا كما قتلناهم فى البصرة يوم الجمل فلن

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٣٩

نفعل ذلك، فنهض مالك الأشتر وقال: أمسكوه (فهو من أفراد العدو) فنهضوا إليه فهرب إلى موضع لبيع الخيل فجعلوا يطأونه بأرجلهم ٢٢٠].

العبارة «جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمواتِك» تبدو إشارة إلى الملائكة والإنس والجن، لإنّ العبارة «اسكنتها» تناسب ذلك وعليه «ما» اطلقت هنا على العاقل وإشهادهم رغم إشهاد اللّه قبل ذلك تأكيد لهذا الأمر المهم، كما جعل اللّه إلى جانب ذاته القدسية شهداء كثيرين على أعمالنا.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٤١

الخطبة ٢١٣

اشارة

فى تَمْجيدِ اللّه وَتَعْظيمِه ٢٢١]

نظرة إلى الخطبة

يستفاد من تعبير المرحوم السيد الرضى أنّ ما ورد فى هذه الخطبة جانب من كلام الإمام عليه السلام اقتطفه السيد الرضى فى قسمين:

القسم الأوّل: الذى جرى الكلام فيه عن صفات اللّه الجلالية والجمالية ولا سيما احاطته العلمية بجميع المخلوقات.

وورد الكلام فى القسم الثانى عن صفات النّبى وإمداده الغيبى وإزالة الموانع عن مسيرته وتطورها السريع، وبالتالى فإنّ الخطبة قبسات بشأن التوحيد والنبوّة.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٤٣

الْحَمْدُ للّه‌الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الَمخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَاب وَلَا ازْدِيَاد، وَلَا عِلْم مُسْتَفَاد، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ، الَّذِى لَا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ، وَلَا يَسْتَضِىءُ بِالأَنْوَارِ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ، وَلَا يَجْرِى عَلَيْهِ نَهَارٌ لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْابْصَارِ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْاخْبَارِ.

ومنها فى ذكر النّبى صلى الله عليه و آله:

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِى الْاصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ، عَنْ يَمِينٍ وَشِمَال.

الشرح والتفسير: قبسات من صفات اللّه ورسوله

أشار الإمام عليه السلام فى المقطع الأوّل من هذه الخطبة الذى ورد فى صفات اللّه الجمالية والجلالية إلى اثنتى عشرة صفة، فقال فى الصفات الإربع الاولى: «الْحَمْدُ للَّه الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ ٢٢٢]».

وكما قيل آنفاً فإنّ الذات الإلهيّة لامتناهية، ومن البديهى أن تعجز جميع

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١۴۴

مخلوقاته المتناهية من جميع الجوانب عن درك كنه ذاته، وعليه إنّما ندرك تلك الذات عن طريق آثاره العجيبة السائدة فى عالم الوجود؛ ومن هنا فإن قلنا أوضح من كلّ شىء وأخفى من كلّ شىء فذلك ناظر لهذين البعدين؛ من حيث آثار علمه وقدرته ظاهراً تماماً، وخفى من حيث كنه ذاته.

ثم خاض فى الصفة الخامسة والسادسة فقال: «الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَاب وَلَا ازْدِيَاد، وَلَا عِلْم مُسْتَفَاد، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْامُورِ بِلَا رَوِيَّة وَلَا ضَمِير».

لا شك فى أنّ علم اللّه كذاته لا متناهٍ، فلا يحتاج إلى اكتساب ولا تعلم من آخر، وهذا يقتصر على ذوى العلم المحدود والذين لهم الازدياد من خلال ثلاثة طرق:

التجربة وأمثالها، تأثير العلوم فى بعضها والانتقال من مسالة لأخرى وأخيراً التتلمذ والتعلم من الآخرين، أمّا مَن كان علمه لا متناهٍ فغنى عن كلّ هذه الأمور، كما هو غنى عن إحالة الفكر فى خلق الكائنات وتقدير كلّ مخلوق من حيث الكمية والكيفية والقوانين التى تحكمه، فلا حاجة للرجوع إلى الوجدان بخلاف الإنسان الذى يحاول اختراع شىء ربّما يستغرق أحياناً لسنوات ويطالع ويستعين بمعلوماته وأفكاره لينجح فى محاولته.

وقال فى الصفة السابعة والثامنة: «الَّذِى لَاتَغْشَاهُ الظُّلَمُ، وَلَايَسْتَضِىءُ بِالْانْوَارِ».

ثم تطرق إلى الصفة التاسعة والعاشرة لايضاح هذا المطلب فقال: «وَلَا يَرْهَقُهُ ٢٢٣] لَيْلٌ، وَلَا يَجْرِى عَلَيْهِ نَهَارٌ». ولعل هذه العبارات تشير إلى أنّ ذاته القدسيّة جلية دائماً عن طريق الآثار ولا يعتريها الليل والنهار، أو إشارة إلى غناه عن الضياء بخلاف الإنسان فى المشاهدة والاحاطة بالاشياء.

وقال فى الصفة الحادية عشرة والثانية عشرة المكملة والموضحة لما سبق من صفات «لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْابْصَارِ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْاخْبَارِ». فهذه الأمور مرتبطة بالجسم والجسمانيات وذوى العلوم الناقصة والمحدودة، هو ليس من قبيل الأجسام ولا

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١۴۵

محدود فى إحاطته العلميّة.

وهنا يرد هذا السؤال: لم يركز الإمام عليه السلام فى عدّة خطب على هذه المضامين ويؤكد عليها ويصر على غنى علم اللّه عن الأمور المذكورة، ما سرّ هذا التأكيد؟

نقول فى الجواب: إنّ إحدى أعظم المشاكل فى معرفة اللّه، قضية مقايسته بالمخلوقات، كونه يتعامل طيلة حياته معها فيقيس بها كلّ شىء، المخلوقات المحدودة من جميع الجوانب، العلم والقدرة والزمان والمكان والإدراك والشهود والتقلب والزوال، فإذا دار الكلام عن معرفة اللّه استعان- عالماً أو جاهلًا- بذلك القياس فيهوى فى وادى التشبيه الخطير.

ومن هنا فإنّ هذا المعلم الربانى يحذر كراراً من الانزلاق إلى الهاوية والمقايسة بين اللّه وأىّ من مخلوقاته التى تبعد عن معرفة اللّه وتخلق لديه أوهاماً يتعبد بها.

والحديث المروى عن الإمام الباقر عليه السلام: «كُلُّ ما مَيَّزْتُمُوه بأوْهامِكُمْ فى أدَقِّ مَعانيهِ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مِثْلُكُمْ مَرْدُودٌ إلَيْكُمْ»[٢٢۴].

إشارة رائعة لهذا المطلب.

ولذلك كان الأئمّة عليهم السلام دائمى المراقبة لصحبهم وأتباعهم حذراً من السقوط فى مستنقع التشبيه أو التعطيل، فى حين سقط

فيه العديد ممن لم يستّر على نهجهم ويتبعهم، ومن نماذج هذا الانحراف الخطير، الإيمان بتجسم اللّه وتشبيهه بمخلوقاته والاعتقاد بإمكانية رؤيته ومشاهدته الحسية فى الدنيا أو على الأقل فى الآخرة والتى يلتزم بها الأعم الأغلب.

وأورد الإمام عليه السلام كلمات قصيرة عظيمة المعنى بشأن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

فى القسم الآخر من هذه الخطبة الذى ذكره السيد الرضى تحت عنوان «وَمِنْها فى ذِكْرِ النَّبِى صلى الله عليه و آله» فبيّن عليه السلام سبعاً من صفات النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله التى تشير إلى رفعة مقامه وسعة إصلاحاته فى المجتمع الإسلامى فقال: «أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِى

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١۴۶

الْاصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ ٢٢٥] بِهِ الْمَفَاتِقَ ٢٢۶] وَسَاوَرَ[٢٢٧] بِهِ الْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ[٢٢٨]، حَتَّى سَرَّحَ ٢٢٩] الضَّلَالَ عَنْ يَمِين وَشِمَال».

المراد من الضياء أحد الاحتمالات: نور الإيمان أو العلم أو القرآن أو الوحى أو جميعها، أى أنّ اللّه بعث النّبى صلى الله عليه و آله بنور الوحى والقرآن والإيمان ليضىء بها الكون العبارة «قَدَّمَهُ فِى الْاصْطِفَاءِ»، ربّما إشارة إلى خاتمية النّبى صلى الله عليه و آله (لأنّه لو لم يكن خاتماً سيرد ديناً أسمى من دينه) أو إشارة لأفضليته على جميع الأنبياء والخلق، المراد من «مفاتق» الاختلافات الواسعة التى سادت مجتمع الجزيرة وقضى عليها النّبى صلى الله عليه و آله، ووحدهم تحت لواء الإسلام.

العبارة «وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ» إشارة إلى قطع أيدى الظلمة والطغاة عن المستضعفين والمحرومين والذى حصل ببركة ظهور الإسلام والذين سلموا جميعا لقدرة الدين الجديد.

والعبارة «وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ» يمكن أن تكون إشارة إلى حل المشاكل المعنوية والعقائدية والاخلاقية أو المشاكل المادية والاجتماعية أو جميع ذلك فى ظل ظهور الإسلام.

وتشير العبارة «حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِين وَشِمَال» إلى نهاية جميع المفاسد التى اشير إليها فى العبارات السابقة، أى زوال أنواع الضلال اليمين والشمال ومن جميع الجوانب بالنبى صلى الله عليه و آله ورسالته.

وربّما تشير العبارة «عَنْ يَمِين وَشِمَال» إلى الإفراط والتفريط أو إشارة لكل الطرق التى تؤدى إلى الفساد، قطعاً هذه الاصلاحات ليست مختصة بزمان ظهور

نفحات الولاية ؛ ج٨ ؛ ص١۴۶

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١۴٧

النّبى صلى الله عليه و آله فلو عملنا اليوم بالتعاليم والوصايا الإسلامية لتحققت وحدة الامّة الإسلامية ولقطعت أيدى الطغاة والظلمة ولهانت جميع الازمات والمشاكل الاجتماعية، فكلّ ذلك من آثار التعاليم الإسلامية.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١۴٩

الخطبة ٢١۴

اشارة

يَصِفُ جَوْهَرَ الرَّسُولِ، وَيَصِفُ الْعُلَماءَ، وَيَعِظُ بِالتَّقْوى ٢٣٠]

نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة كما أشرنا من ثلاثة مقاطع: أشار عليه السلام فى المقطع الأوّل عقب شهادته للّه‌بالعدل إلى جانب من صفات النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله التى تشير إلى طهارة جوهر ذات النّبى من جميع الجهات، وتطرّق ضمنياً إلى لطف اللّه بالمطيعين من عباده وإمداده الغيبى لهم.

وتحدث فى المقطع الثانى عن العلماء الربانيين وصفاتهم البارزة وكيفية تعاملهم مع الآخرين.

وأورد فى الختام مواعظ كثيرة من شأن العمل بها تربية روح الورع والتقوى لدى الإنسان بعبارات موجزة بليغة.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٥١

القسم الأوّل

اشارة

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ اللَّه الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِى خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ.

أَلَا وَإِنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً.

وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ اللَّه سُبْحَانَهُ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةِ، فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ.

الشرح والتفسير: النسب الطاهر للنبى صلى الله عليه و آله

استهل الإمام عليه السلام خطبته- كسائر الخطب- بالشهادتين (وإن دلت الواو فى «وأشهد» أنّه كانت قبلها بعض المطالب) فقال: «وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ».

التعبير (عَدْلٌ) الذى له معنى مصدرى، للتأكيد، أى‌أنّ ذات اللّه عين العدل، والعبارة التى أتت به بصيغة الفعل الماضى (عدل) تأكيد آخر و (حكم) له معنى واسع يشمل حكم اللّه فى جميع الجوانب التكوينيّة والتشريعيّة، وأنّه فصل وفرقان بين الحق والباطل على الدوام.

والعجيب أنّ ابن أبى الحديد نسب الضمير فى (أنّه) إلى القضاء والقدر ويعتقد بأنّه كان قبل هذه العبارة (وفصله السيد الرضى، ووافقه عدد من الشراح، فى حين تشير العبارة «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» إلى أنّ الشهادة السابقة شهادة

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٥٢

مرتبطة باللّه، بالإضافة إلى أنّ «حكم عدل» من صفات اللّه لا صفات القضاء والقدر[٢٣١].

ويشير وصف النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى العبارة المذكورة بالعبودية قبل الرسالة إلى أنّ أعظم فخر للإنسان عبودية اللّه والعبارة «سَيِّدُ عِبَادِهِ» تأكيد آخر لهذا المعنى، نعم كلّ ما هنالك فى عبودية اللّه، ثم قال فى ذكر صفات النّبى صلى الله عليه و آله: «كُلَّمَا نَسَخَ ٢٣٢] اللَّه الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِى خَيْرِهِمَا».

إشارة إلى أنّ نوره صلى الله عليه و آله فى صلب آدم كان ينتقل من صلب لآخر ولما كان يظهر عدّة أبناء من نسله كان نوره

المبارک فی الفرع الأفضل من ذلک النسل وما زال کذلک حتی انتقل من صلب عبد اللّه لرحم آمنة بنت وهب.

ثم أضاف: «لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ[۲۳۳]، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ». وهونفس المضمون الذی ورد فی زیارة وارث فی الإمام الحسین علیه السلام: «أشْهَدُ أنَّک کُنْتَ نُوراً فی الأَصْلابِ الشّامِخَةِ وَالأَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْک الْجاهِلِيَّةُ بِأنْجاسِها وَلَمْ تُلْبِسْک مِنَ مُدْلَهِمّاتِ ثِيابِهَا»[۲۳۴].

وهو ذات المعنی الذی ورد فی النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله: «لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنی اللَّه مِنْ أصْلابِ الطّاهِرِينَ إلَی الْمُطَهَّراتِ حَتّی أخْرَجَنی فی عالَمِکُمْ هذا لَمْ يُدَنِّسْنی بِدَنَسِ الْجاهِلِيَّةِ»[۲۳۵].

والعبارة الواردة فی هذه الخطبة والزیارة والروایة بالإضافة إلی بیان فضل النّبی

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۱۵۳

الأکرم صلی الله علیه و آله تعلمنا جمیعاً هذا الدرس وهو أنّ فترة تربیة الإنسان بغیة بلوغ المقامات الرفیعة تبدأ من أصلاب الآباء وآرحام الامهات وأنّ العامل الوراثی أحد عوامل تبلور شخصیّة الإنسان، وإن لم یکن العامل الفرید، وهنالک الکثیر الذی یقال بهذا الخصوص سنتعرض له فی الأبحاث القادمة علی ضوء مناسبة الکلام إن شاء اللّه.

ثم تطرق الإمام علیه السلام إلی السائرین علی نهج رسول اللّه صلی الله علیه و آله الذی بین صفاته فی العبارات السابقة لیشیر إلی ضرورة تربیة بعض الطوائف فی کلّ عصر فی ظل تعالیم النّبی صلی الله علیه و آله ولیواصلوا مسیرته، فقال: «أَلَا وَإِنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً».

إشارة إلی أنّ هذا الطریق لا یخلو فی أیعصر ومصر من سالکیه ولا تتوقف خطط الخیر والحق والطاعة؛ فهؤلاء من ذوی الإرادات الصلبة والنیات الطاهرة ولذلک شملتهم الطاف اللّه، العبارة «وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً» ربّما تشیر إلی الأئمّة المعصومین علیهم السلام أوصیاء النّبی صلی الله علیه و آله حماة الحق وامناء طاعة أوامر اللّه، کما ورد فی الزیارة الجامعة: «وَالْحَقُّ مَعَکُمْ وَفِيکُمْ وَمِنْکُمْ وإِلَيْکُمْ وَأَنْتُمْ أهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ».

وما ورد فی الحدیث الذی روته مصادر الفریقین: «عَلیّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلیٍّ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثُما دارَ»[۲۳۶].

وربّما تشیر إلی القرآن وسنّة المعصومین علیهم السلام أو العلماء ولا یبعد جمع هذه التفاسیر الثلاثة فی مفهوم العبارة، ثم بشر أولئک السائرین بأنّهم لیسوا وحیدین إزاء زخم مشاکل الطاعة وأنّ نصرة اللّه منجزة لهم دائماً، فقال: «وَإِنَّ لَکُمْ عِنْدَ کُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ اللَّه سُبْحَانَهُ يَقُولُ ۲۳۷] عَلَی الْأَلْسِنَةِ، وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ. فِيهِ کِفَاءٌ لِمُکْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ».

نعم، فاللّه لا یترک عباده المؤمنین فینطق ألسنتهم ویرسخ إرادتهم ویقوی

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۱۵۴

عزائمهم؛ وقد ورد هذا الأمر کراراً فی القرآن: «إِنَّنِی مَعَکُمَا أَسْمَعُ وَأَرَی»[۲۳۸].

وقال فی موضع آخر: «يُثَبِّتُ اللَّه الَّذِينَ امَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِی الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»[۲۳۹].

وهذا ما نلتمسه کلّ یوم فی الصلوات الیومیة ونسأل اللّه: «إِيَّاک نَعْبُدُ وَإِيَّاک نَسْتَعِينُ»[۲۴۰].

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۱۵۵

القسم الثانی

اشارة

وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّه الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ. يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَاقَوْنَ بَالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِکَأْسٍ رَوِيَّةٍ

وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ، لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيْبَةُ، وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ. عَلَى ذلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ، وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ.

الشرح والتفسير: حفظة علم اللّه

تطرق الإمام عليه السلام بعد أن فرغ من ذكر جانب من أبرز صفات النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى السائرين على نهجه أىالعلماء والعرفاء وخلّص المؤمنين فبيّن عشراً من صفاتهم، والحق أنّ مَن تحلى بهذه الصفات فهو من أولياء اللّه وخاصة أتباع النّبى صلى الله عليه و آله فقال:

«وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّه الْمُسْتَحْفَظِينَ ٢٤١] عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ».

تشير هذه الصفات الثلاث إلى أنّ هذه الطائفة من عباد اللّه تمكنوا بتوفيق اللّه وإلهاماتهم الباطنية من تحصيل العلوم وحرسوا هذه العلوم وبلّغوها طالبيها، فهم الحفظة والحارسون والناشرون لتلك العلوم وعلى غرار رى عيون الماء المتدفقة للأراضى العطشى وإنماء مختلف الأشجار والأزهار والنباتات فهم ينشرون الدين فى قلوب عطشى للمعارف ويغرسون فى نفوسهم الفضائل الإنسانية.

ولعل العبارة «يَصُونُونَ مَصُونَهُ» تعنى ما ذكر آنفاً؛ أىأنّهم يتحفظون على

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٥٦

العلوم الربانية عمّن لا يستحقها، أو بمعنى أنّهم صانوا هذه العلوم بأمانة وجهدوا فى إيصالها من جيل لآخر من خلال تأليف الكتب ونشرها.

وواصل كلامه بالإشارة إلى أربع صفات أخرى فقال: «يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَاقَوْنَ بَالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ[٢٤٢] وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ[٢٤٣]».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى المقطع السابق إلى الأبعاد العلمية لأولئك العلماء الربانيين وتطرق هنا إلى جوانبهم العلمية؛ وربّما كان المراد من « «يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ» ولاية اللّه وأولياءه التى ربطت هذه الفئات مع بعضها؛ أو الولاية بمعنى الحب والمودة التى الفت قلوبهم.

وتشير العبارة «وَيَتَلَاقَوْنَ بَالْمَحَبَّةِ» إلى أنّ هذه المحبّة القلبية تتجلى حين لقائهم بالفعل والقول.

وتشير العبارة الثالثة إلى أنّ جلساتهم مركز تبادل العلوم والمعارف؛ فكلّ منهم يملأ إناء الآخر بعلمه كما ورد فى العبارة الرابعة «وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ» ثم قال فى بيان صفتين اخريين «لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيْبَةُ، وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ». ولعل العبارة (ريبة) تشير إلى أنّ مبانيهم العقائدية وإيمانهم على درجة من الرسوخ بحيث لا يشوبه أدنى شك وارتياب أو أنّ حياتهم نقية وطاهرة بحيث لا يشك أحد فى حسن سريرتهم ودقّة أعمالهم كما يمكن أن تشير العبارة «وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ» أنّهم لا يتلوثون بالغيبة أو أنّهم على درجة من الطهر بحيث لا يسمح الآخرون لانفسهم باغتيابهم.

طبعاً لا تتنافى هذه التفاسير المتعددة ويمكن جمعها معاً فى مفهوم العبارة السابقة.

ثم قال على سبيل التأكيد: «عَلَى ذلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٥٧

لا ينافى هذا التعبير الاختيار فى الأعمال لأنّ الإنسان إن انطلق مختاراً إلى اللّه أتته الإمدادات الغيبية والعنايات الإلهيّة، وبغض النظر عن ذلك فإنّ اللّه أودع البشريّة منذ البداية أرضية الصلاح والسعادة لتطوى بها مسيرة التكامل.

ثم أشار عليه السلام إلى صفتين من صفات أولئك العلماء الربانيين فقال: «فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ».

نعم! حبّهم لأحدهم الآخر للّهوإرتباطهم ناشىء من علاقتهم المشتركة بالكمالات، أمّا المنافع المادية والصلات الحيوانية والاشتراك

فی المقامات الدنیویة لیست سبباً قط فی إرتباطهم وحبّهم لبعضهم البعض.

ثم بیّن فی ختام هـذه الفقرة بتشبیه رائع کیفیـة انتخاب هـذه الفئة من بین سائر الناس وقال: «فَکَانُوا کَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ یُنْتَقَی ۲۴۴]، فَیُؤْخَذُ مِنْهُ وَیُلْقَی، قَدْ مَیَّزَهُ التَّخْلِیصُ، وَهَذَّبَهُ التَّمْحِیصُ ۲۴۵]».

أجل! هؤلاء بـذور عالم الخلیقـة المنتقی الـذین اختارهم خالق عالم الوجود للتهـذیب والکمال لیجعلهم بهیئـة شـجرة طیبـة أُکلها دائم بتوفیق اللّه ومدده الغیبی.

وزبدة الکلام أنّ هؤلاء الأعلام الذین یتصفون بهذه الصفات ویطوون مراحل التکامل فی ظل عنایة اللّه ویزدادون کلّ یوم قرباً من اللّه لم یبلغوا هـذا المقام عبثاً، فقد جدوا واجتهدوا فی إصـلاح أنفسـهم وجلاء قلوبهم من صدأ الأهواء وأخلصوا نیّاتهم واجتازوا الامتحان الإلهی الشاق فبلغوا ذلک المقام، وتلک عاقبة کلّ من سلک طریقهم.

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۱۵۹

القسم الثالث

اشارة

فَلْیَقْبَلِ امْرُءٌ کَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْیَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْیَنْظُرِ امْرُؤٌ فِی قَصِیرِ أَیَّامِهِ، وَقَلِیلِ مُقَامِهِ فِی مَنْزِل، حَتَّی یَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا، فَلْیَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ. فَطُوبَی لِذِی قَلْبٍ سَلِیمٍ، أَطَاعَ مَنْ یَهْدِیهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ یُرْدِیهِ، وَأَصَابَ سَبِیلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَی قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ، وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ، وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وَأَمَاطَ الحَوْبَةَ، فَقَدْ أُقِیمَ عَلَی الطَّرِیقِ، وَهُدِیَ نَهْجَ السَّبِیلِ.

الشرح والتفسیر: المهتدون

خاطب الإمام علیه السـلام هنا الجمیع داعیاً إیّاهم إلی سـلوک سبیل العلماء الربانیین الـذین بیّن صـفاتهم فی القسم السابق، والواقع أنّه اسـتعرض هنا مراحل السیر والسلوک إلی اللّه فقال: «فَلْیَقْبَلِ امْرُءٌ کَرَامَةً[۲۴۶] بِقَبُولِهَا، وَلْیَحْذَرْ قَارِعَةً[۲۴۷] قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْیَنْظُرِ امْرُؤٌ فِی قَصِیرِ أَیَّامِهِ، وَقَلِیلِ مُقَامِهِ فِی مَنْزِل، حَتَّی یَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا، فَلْیَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ».

فالإمام علیه السلام لفت فی الخطوة الاولی إنتباه الجمیع إلی قصر عمر الدنیا وفناء الحیاة

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۱۶۰

وحلول الموت حتی لایکونوا کأصحاب الدنیا الذین نسوا الآخرة ورأوا الدنیا خالدة.

وهـذه هی حالـة الیقظـة التی تمثل المرحلـة الاولی فی السیرو السـلوک إلی اللّه، وهل من عامل للیقظـة أنجع من ذکر الموت وحلول الأجل؟

وواصل کلامه بالإشارة إلی طهارة واصطفاء دلیل الطریق فقال: «فَطُوبَی لِذِی قَلْبٍ سَلِیمٍ، أَطَاعَ مَنْ یَهْدِیهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ یُرْدِیهِ ۲۴۸]».

وبالنتیجـة فإنّه یظفر بطریق السـلامة بمعونـة من یبصره وبطاعته للمرشـد الهادی الـذی یأتمر به فیبلغ الطریق قبل أن تغلق بوجهه أبوابه وتتقطع سبله «وَأَصَابَ سَبِیلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَی قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ، وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ».

وهکـذا یوصـی الإمـام علیه السـلام أتبـاعه أن یسـلکوا الطریق فلاـ یسـیروا علیه دون دلیـل وهاد فیبلغوا الهـدف فی ظل هدایـة العلماء الربانیین والسائرین السابقین مادامت الفرصة سانحة وأبواب الهدی مشرعة.

واختتم الإمام علیه السـلام کلامه بالـدعوة إلی التوبـة وجلاء صـدأ الذنب عن القلب والذی یعد الشـرط الأصـلی لسـلوک هذا الطریق فقال: «وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وَأَمَاطَ الحَوْبَةَ[۲۴۹]، فَقَدْ أُقِیمَ عَلَی الطَّرِیقِ، وَهُدِیَ نَهْجَ السَّبِیلِ».

فيفتح بهذ الطريق مسار القرب إلى اللّه بوجه الإنسان ويشمل بخاصة لطف اللّه.

تأمّل: الحاجة إلى المرشد فى السير والسلوك

تضمنت هذه الخطبة بعض الإشارات إلى نقطة وهى: هنيئاً لمن اقتفى آثار الهادى وواصل طريقه ببصيرة من يبصّره بالطريق وأطاع من يهديه إلى الطريق القويم.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٦١

وتثير هذه الخطبة وماورد فى أمثالها من «نهج البلاغة» هذا السؤال: هل طى المقامات المعنوية التى يعبر عنها بالسير والسلوك إلى اللّه تتطلب استاذاً خاصاً طوى هذا الطريق وخبر مطباته وآفاته فيأخذ بأيدى السائرين الجدد ويوصلهم إلى الهدف؟

بعبارة أخرى: هل تكفى التعليمات الكلية التى وردت فى الكتاب والسنّة لسلوك هذا الطريق أم أنّ كلّ سالك لهذا الطريق بحاجة إلى استاذ بما يناسب استعداده وروحيّته ليعينه فى تشخيص الجزئيات؟ وكما لا تكفى نصائح الاطباء لجميع المرضى، بل يحتاج كلّ مريض إلى فحص وتشخيص للمرض ليصف له العلاج، فهل بلوغ المقامات المعنوية كذلك؟

طبعاً سياق الآيات القرآنية والروايات الإسلاميّة أنّ لجميع المؤمنين من خلال الإتيان بما ورد فى الكتاب والسنّة والالتزام بالأحكام الشرعيّة والإلتفات إلى لطائف هذين المصدرين العظيمين، الوصول إلى ذروة الإيمان والمسارعة إلى القرب الإلهى.

فإننا لا نجد فى سيرة صحابة النّبى الإكرم صلى الله عليه و آله وأصحاب الأئمّة المعصومين عليهم السلام من انتخاب أستاذ خصوصى، حتّى الروايات التى وردت كإجابة لسؤال بعض الأفراد مفيدة لعامة المؤمنين.

يستدل أنصار انتخاب الأستاذ الخاص أحياناً بهذه الأمور:

١. تشير قصّة الخضر وموسى عليهما السلام إلى أنّ اللّه اصطفى مرشداً لموسى وكان مكلفاً بطاعة أوامره.

٢. ربّما من هذا القبيل قصة موسى وشعيب عليهما السلام.

٣. يلمس مثل ذلك فى قضية لقمان وابنه.

٤. آية السؤال فى القرآن المجيد: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»[٢٥٠] تأمر الجهال بطرح مشاكلهم العلميّة والفكريّة على العلماء.

٥. مضى فى الخطبة ١٠٥ من «نهج البلاغة» أنّ الإمام عليه السلام قال: «أَيُّهَا النّاسُ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٦٢

اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْباحٍ واعِظٍ مُتَّعظ».

٦. قال الإمام السجّاد عليه السلام: «هَلَكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَكيمٌ يُرْشِدُهُ وَذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ سَفيهٌ يَعْضُدُهُ»[٢٥١].

٧. يمكن أن تكون العبارات الواردة فى هذه الخطبة شاهد آخر على هذا المطلب؛ لكن أغلب ما ذكر كدليل على هذا المطلب لا يخلو من مناقشة، فالذى يفهم ممّا ورد فى آيات القرآن بشأن موسى والخضر لا علاقة له بهذا المطلب.

فقد أمر موسى عليه السلام بأن يتعلم من الخضر بعض العلوم بخصوص العالم البشرى أو عدم الاعتراض على بعض الحوادث التى يستهجن ظاهرها ومن هنا لما رأى موسى عليه السلام بعض الأمور انفصل عن الخضر وواصل طريقه ولا صلة لهذا الأمر بطى المقامات المعنوية والسير والسلوك إلى اللّه على هدى المرشد.

كما لا يلمس أدنى شىء ممّا ذكر فى القصة، طبعاً لا يمكن إنكار أنّ الإنسان يسعه التعلم ممن لازم النّبى وتعلم منه العديد من المطالب والتجارب.

كما يشاهد فى قضية لقمان وولده سلسلة من المواعظ الكلية ذات الطابع العام وقد أوردها القرآن بهذه الصفة.

آية السؤال أيضاً بخصوص مسألة التقليد والرجوع إلى العلماء والمجتهدين، كما استدل بذلك فى كتب الأصول، بعبارة أخرى إشارة لبيان الأحكام بصورة كلّية، لا الأحكام الخاصّة والشخصيّة.

وقد اقتصرت الإشارة إلى هذا المطلب فى رواية «البحار» وبعض خطب «نهج‌البلاغة».

وزبدة الكلام إن أردنا التسليم بانتخاب الاستاذ المرشد كشرط ضرورى فى طى المقامات المعنوية، فإنّ ذلك لا ينسجم مع ظواهر الكتاب والسنّة وسيرة أصحاب النّبى صلى الله عليه و آله وأئمّة الهدى عليهم السلام؛ ولكن إن أردنا التسليم به كمساعد لطى هذا الطريق،

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۶۳

فالأمر يبدو حسناً؛ إلّاأنّه لا ينبغى الغفلة عن قضية أساسيّة وهى أنّ هذا الموضوع استغل طيلة التاريخ وحتى فى هذا الزمان من قبل الطالحين والمنحرفين، وفى بعض الموارد خلط بأفكار المتصوفة وتعاليمهم الشاذة لكى لا تبعد السالك عن مقام القرب فحسب، بل أبعدته عن اللَّه تماماً.

فإن رأى الإنسان حقاً أنّه بحاجة لمثل هذا الاستاذ، عليه أن يتشدد فى اختياره خشية أن يسلم نفسه للشيطان ظاناً أنّه الخضر والمرشد إلى اللَّه، وإننا ننصح الجميع لاسيما الشبّان الأنقياء الذين يفتشون عن الاستاذ أن يعكفوا بالدرجة الاولى على الكتب الحسنة التى ألفها العلماء الأتقياء الورعون المعروفون ومن ثم اصطفاء الاستاذ الذى ينشدون.

والجدير بالذكر أيضاً ما يراه البعض أنّ الاستاذ ضرورة فى بداية الطريق فإذا ما سار على الدرب فلا حاجة لذلك الاستاذ ولابدّ من الانفتاح على التعاليم الإسلاميّة الواردة فى الكتاب والسنّة.

يستفاد من الروايات والتواريخ الإسلاميّة أنّه كان للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة المعصومين عليهم السلام أصحاب خاصين حملة أسرارهم كعلى عليه السلام بالنسبة للنبى صلى الله عليه و آله و «كميل» و «الأصبغ بن نباتة» و «ميثم» و «رُشَيدِ الهَجَرى» وأمثالهم وكذلك سائر الأئمة؛ ولكن لا علاقة لهذا الموضوع بمسألة الاستاذ والتلميذ فى أمر السير والسلوك بحيث يعين الاستاذ كل يوم درساً جديداً لطى الطريق ويكون لكل تلميذ دروسه الخاصّة، بل كما قيل إنّ أولئك كانوا حملة أسرار المعصومين عليهم السلام وعلومهم التى يعجز عن إدراكها الآخرون.

على كلّ حال لا شك فى أنّ وجود الأستاذ الخبير والعالم بالطريق يستفيد منه الإنسان فى طى الطريق المعنوى، الأستاذ الثقة من جميع الجوانب لمن الأمور الحسنة، إلّاأنّ الأمر ليس كما يذهب إليه من عدم إمكانية بلوغ هذه المقامات بالكتاب والسنّة وما فيهما من تعاليم، والمهم أن يكون للإنسان عزم وإرادة على طى

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۶۴

هذا الطريق وإلّا فالطريق واضح وسالك إن توكل الإنسان على اللَّه فهو هاديه ومرشده.

ونؤكد فى الختام ثانية أنّ هنالك العديد من الطالحين الذين أضلوا الكثير من الشبّان بهذه العناوين الزائفة على أنّه المرشد والدليل فلابد من الاحتياط والحذر الشديد فى التعامل مع هؤلاء الشياطين الذين يتلبسون بلباس الإنس.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۶۵

الخطبة ۲۱۵

اشارة

كانَ يَدْعُو بِهِ كَثير[٢٥٢]

نظرة إلى الخطبة

هـذه الخطبـة فى الواقع مركبة من سلسـلة من الأدعية العميقة المعنى والقيمة للغاية كان الإمام عليه السـلام يدعو بها فى أغلب الأوقات وتتكون من قسمين:

القسم الأوّل: الحمد والثناء على اللّه الذى غذانا بهذه النعم المعنوية والمادية ولم يحجبها عنّا.

وسأل الإمام عليه السـلام اللّه ثلاثاً من خلال ثلاثـة أقسام قصـيرة وعميقة تشـرع كلّ منها ب «اللهم»، وغالباً ما تنطوى هذه الأدعية على جانب معنوى، وإن لم تخل من بعض العبارات المادية، ومن المناسب التضرع بها عقب الصلاة أو القنوت وفى سائر الأوقات التى يقبل فيها الإنسان على الدعاء لينال بركاته وفضله.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٦٧

القسم الأوّل

اشارة

الْحَمْدُ للَّهالَّذِى لَمْ يُصْبِحْ بِى مَيِّتاً وَلَا سَـقِيماً، وَلَا مَضْـرُوباً عَلَى عُرُوقِى بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَأ عَمَلِى، وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِى، وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِى، وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّى، وَلَا مُسْـتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِى، وَلَا مُلْتَبِساً عَقْلِى، وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْاُمَمِ مِنْ قَبْلِى. أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِى، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَىَّ وَلَا حُجَّةَ لى. وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِى، وَلَا أَتَّقِى إِلَّا مَا وَقَيْتَنِى.

الشرح والتفسير: اللّهم كلّ شىء لک

هذا القسم من كلام الإمام عليه السلام ليس خطبة، بل دعاء عميق المعنى جمع فيه جميع خير الدنيا والآخرة.

فقد حمد اللّه واثنى عليه على إنقاذه له من عشـرة أشياء من شأن كلّ منها سلب رزق الدنيا والآخرة، فقال فى أربعة أقسام منها: «الْحَمْدُ للَّهالَّذِى لَمْ يُصْبِحْ بِى مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً، وَلَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِى ٢٥٣] بِسُوء، وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَأ عَمَلِى، وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِى ٢٥۴]».

العبارة «لَمْ يُصْبِحْ» إشارة إلى أنّ الإنسان يمكنه النجاح فى حياته حين يكون سـليماً نشـيطاً منذ تباشير الصباح ولابدّ من شكر اللّه على هذه النعمة.

العبارة «وَلَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِى بِسُوءٍ» فسرّها طائفة من شرّاح «نهج‌البلاغة»

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١۶٨

بأنها إشارة إلى الأمراض التى تشوّه شـكل الإنسان كالبرص والجذام، وذلك كناية عن هذا المعنى فى عرف العرب، بينما فسّر البعض العروق بمعنى الأعضاء وأنّ العبارة إشارة إلى سلامة أعضاء الإنسان التى تعد من أعظم النعم.

وفسّر البعض الآخر العروق بمعناها الأصـلى؛ يعنى إشارة إلى أنّ خلوّ العروق من الآفات، من النعم العظمى التى تستحق الحمد والثناء، ونعلم اليوم أنّ أحد الأمراض الشائعة والخطيرة انغلاق عروق القلب والدماغ الذى يعدّ العامل المهم للسكتة القلبيّة والدماغيّة.

النعمـة الأخرى الكبرى هى بقاء نسل الإنسان ووجود الأولاد الصالحين الذين تعود أعمالهم الصالحة على آبائهم وامهاتهم والتى أشـير إليها بالعبارة «وَلا مَقْطُوعاً دابِرِى».

ثم أشار إلى ست نعم أخرى تستحق الحمد والشكر: «وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِى، وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّى، وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِى، وَلَا مُلْتَبِساً[۲۵۵] عَقْلِى، وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْامَمِ مِنْ قَبْلِى».

ما أكثر أن يشمل الإنسان بداية أمره بالنعم الربّانية العظيمة لكنّه قد يفقدها فى أثناء مواصلته الطريق: وهناك عدد من العبارات المذكورة إشارة إلى تداوم النعم؛ نعمة الدين والإيمان والعقل، وعليه فالشمول بالنعمة يستحق الحمد والثناء وبقاؤها ودوامها كذلك، فالنعم آيلة للزوال لولا لطف اللّه.

العبارة «وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّى» بعد العبارة «وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِى» من قبيل ذكر الخاص بعد العام.

العبارة «وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ ...» إشارة إلى العذاب الأليم والشاقّ الذى أصاب بعض الناس كالصاعقة، العواصف الشديدة والزلازل العظيمة والآفات العصيبة فى بدن الإنسان وروحه.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۶۹

العبارة «وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِى» إشارة إلى أنّ الإنسان يمتلك الإيمان أحياناً لكنّه يخشى أن يلوّث بالمعاصى أو يخشى من زواله.

تضرع الإمام عليه السلام: أحمدك وأشكرك على إفاضة الإيمان المقرون بالسكينة.

ولما كان أحد أهم مقامات العارفين والمقرّبين، التسليم لأمر اللّه والاعتراف بالنقص تضرع الإمام عليه السلام مواصلًا دعاءه: «أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِى، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَىَّ وَلَا حُجَّةَ لى. وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِى، وَلَا أَتَّقِىَ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِى».

أعظم فخر للإنسان أنّه عبد للّه كما ورد على لسان الإمام: «إلهى كَفى بى عِزّاً أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْداً[۲۵۶].

والتعبير «ظَالِماً لِنَفْسِى» إشارة إلى أنّ الإنسان لا يسعه قط أداء حق العبودية حيث تضرع النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «إلهى ما عَبَدْناكَ حَقَّ عِبادَتِكَ»[۲۵۷] فلابدّ أن يكون الآخرون أولى بهذا الاعتراف بالتقصير.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۷۱

القسم الثانى

اشارة

اللهمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فى غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فى هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ فِى سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالأَمْرُ لَكَ!

اللهمَّ اجْعَلْ نَفْسِى أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِى، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِى!

اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِى جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ!

الشرح والتفسير: النعم المكملة

حمد الإمام عليه السلام فى القسم الأوّل من هذه الخطبة، اللّه وأثنى عليه على ما يغذيه به من نعم كبرى ويتضرع هنا إلى اللّه ويسأله النعم المكملة لتلك النعم السابقة من خلال ثلاث عبارات استهلها ب «اللهم»: «اللهمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فى غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فى هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ ۲۵۸] فِى سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ[۲۵۹] وَالأَمْرُ لَكَ!».

فهذه العبارات الأربع التى تعود جميعاً إلى التوحيد الأفعالى تشير إلى أنّ الغنى والهدى والنصر وغلبة الأعداء وجميع المشاكل ميسّرة فى ظلّ لطف اللّه؛ كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِىُّ»[۲۶۰].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۷۲

وقال تعالى «مَنْ يَهْدِ اللَّه فَهُوَ الْمُهْتَدِى»[۲۶۱].

وقال تعالى «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّه فَلَا غَالِبَ لَكَمْ»[۲۶۲].

ثم تضرع فى الدعاء الثانى وطلب فقال: «اللهمَّ اجْعَلْ نَفْسِى أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِى، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِك عِنْدِى!».

«كريمة» تعنى فى الأصل، الشخص القيم والأشياء النفيسة وهى هنا إشارة إلى أعضاء الإنسان المهمّة كالعين والأذن واللسان التى تذكر كنعمة إلهيّة ووديعة ربّانيّة لتكون إشارة إلى لطف اللَّه ورحمته وإلى أنّ النعم ودائع تسترد فى خاتمة المطاف.

على كلّ حال فمضمون هذا الدعاء ورد بصيغة أخرى فى أدعية سائر المعصومين عليهم السلام؛ جاء فى دعاء الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فى أعمال ليلة النصف من شعبان: «اللّهمَّ أمْتِعْنا بِأسْماعِنا وَأبْصارِنا وَقُوَّتِنا ما أحْيَيْتَنا وَاجْعَلْهُ الْوارِثَ مِنّا»[۲۶۳].

حقّاً إنّ الإنسان إذا فقد أواخر عمره نعمة قدرة الروح والبدن والبصر والسمع فإنّما يتحول إلى ميت متحرك تصبح حلاوة شهد الحياة مرارة على لسانه بحيث يتمنى الموت والخلاص من هذه الحالة فى كلّ لحظة.

من البديهى أنّه ليس المراد فى هذه الأدعية أنّ اللَّه يأخذ من الإنسان فى البداية آواخر عمره، روحه ثم بصره وسمعه، بل المراد أنّ أعضاءه تبقى سليمة حتى آواخر عمره.

وتضرع فى الدعاء الثالث: «اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِك أنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِك، أوْ أنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِك، أوْ تَتابَعَ ۲۶۴] بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِى جَاءَ مِنْ عِنْدِك!».

تعوّذ الإمام عليه السلام باللَّه فى هذا الدعاء من ثلاث معاصى ودواهى عظمى:

۱. أن ينسى الإنسان أوامر اللَّه ونواهيه ويمرّ عليها غير مُبالٍ.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۷۳

۲. أن تتسلل وساوس الشيطان إلى قلب الإنسان فتصده عن الحقّ.

۳. أن تستولى أهواء النفس على الإنسان فتصده عن هدى اللَّه.

يقيناً، لو استجيبت هذه الأدعية الثلاث التى تبتدأ ب (اللّهم) لنال الإنسان جميع خير الدنيا وسعادة الآخرة فما أحرانا أن نستحضر هذه الأدعية فإذا شعرنا بحالة الدعاء أقبلنا على اللَّه وطلبنا منه ذلك.

أورد الإمام عليه السلام الكلام فى القسم الأوّل والثانى من هذا الدعاء، بصيغة المتكلّم؛ لكنّه ذكره فى القسم الأخير بصيغة المتكلّم مع الغير ليسأل اللَّه صالحه وصالح جميع المسلمين.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۷۵

الخطبة ۲۱۶

اشارة

خَطَبَها بِصِفّينَ ۲۶۵]

نظرة إلى الخطبة

هـذه الخطبـة من خطب «نهج البلاغة» المهمّة التی أوردها الإمام علیه السـلام فی یوم صـفین، فاشـتملت علی مباحث مهمّة تتمحور فی أربعة أقسام:

۱. الحقوق المتبادلة بین الوالی والرعیة (الحاكم والشعب) تناول فیه القانون الكلی بشأن الحقوق فقال: الحق دائماً ذو حدین؛ فمن كان له حق علی آخر فللآخر أیضاً حق علیه، وهذه مسألة مهمّة سنتعرض لها إن شاء اللّه.

۲. شـرح فی القسم الثانی حقوق الحاكم علی الأمّـة وحقوق الامّـة علی الحاكم وأكّـد هنا اسـتحالة صـلاح الامّة دون صـلاح الحاكم، والعكس، أی كلّ من هذین الأمرین یؤثر فی الآخر.

۳. القسم الثالث إجابة الإمام علیه السلام لأحد أصحابه حیث أثنی كثیراً علی الإمام

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۱۷۶

وعبّر له عن وفائه التام، فتواضع الإمام للغایة فی الردّ علیه وصرّح له: بأننی لا استسیغ أیمدح وثناء فالعظمة للّهوحده.

۴. جری الكلام فی القسم الرابع عن العلاقة الصـحیحة بین الحاكم والشـعب وأكّد علی ضـرورة ابتعاد الحاكم عن التملق، والاسـتعداد لسماع النقد والمعارضة لینطلق المجتمع نحو الصلاح والسداد.

***

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۱۷۷

القسم الأوّل

اشارة

أَمَّا بَعْـدُ؛ فَقَـدْ جَعَـلَ اللَّه سُـبْحَانَهُ لِی عَلَیْكُـمْ حَقّاً بِوِلَایَـةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَیَّ مِنَ الْحَـقِّ مِثْـلُ الَّذِی لِی عَلَیْكُمْ، فَـالْحَقُّ أَوْسَـعُ الأَشْـیَاءِ فِی التَّوَاصُفِ، وَأَضْـیَقُهَا فِی التَّنَاصُفِ، لَـا یَجْرِی لأَحَـدٍ إِلَّا جَرَی عَلَیْهِ، وَلَـا یَجْرِی عَلَیْهِ إِلَّا جَرَی لَهُ. وَلَوْ كَانَ لأَحَـدٍ أَنْ یَجْرِیَ لَهُ وَلَا یَجری عَلَیْهِ، لَكَانَ ذلِك خَالِصاً للّهسُـبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُـدْرَتِهِ عَلَی عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِی كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَیْهِ صُـرُوفُ قَضَائِهِ، وَلكِنَّهُ سُـبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَی الْعِبَادِ أَنْ یُطِیعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَیْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلًا مِنْهُ، وَتَوَسُّعاً بِما هُوَ مِنَ الْمَزِیدِ أَهْلُهُ.

الشرح والتفسیر: سعة حجم الحقوق

دعا الإمام علیه السـلام فی مسـتهل هذه الخطبة جمیع صحبه إلی أداء وظائفهم من خلال بیان حقّه علی الامّة فقال: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّه سُبْحَانَهُ لِی عَلَیْكُم حَقًّا بِوِلَایَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَیَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِی لِی عَلَیْكُمْ».

فقد أشار علیه السلام إلی قضیة مهمّة فی باب الحكومة الإسلامیّة كانت تختلف فی الواقع عن جمیع الحكومات آنذاك، فالحكومات المستبدة كانت تری كلّ شـیء لها والرعیة كالعبید ما علیهم إلّاالطاعة العمیاء وإن كان لها من شـیء فهو منه وبالتفضل ولیس حقّاً من حقوقهم علیه، بینما یصـرّح الإمام علیه السـلام، بأنّ الحكومـة الإسـلامیّة حقوق متبادلة؛ حق الحاكم علی الامّة وحق الامّة علی الحاكم وكلاهما ثقیل وذو مسؤولیّة.

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۱۷۸

ثم أشار إلی قاعـدة كلیـة وشاملـة فی الثقافة الإسـلامیّة فقال: «فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْـیَاءِ فِی التَّوَاصُفِ ۲۶۶]، وَأَضْـیَقُهَا فِی التَّنَاصُفِ ۲۶۷]، لَایَجْرِی لِاحَدٍ إِلَّا جَرَی عَلَیْهِ، وَلَا یَجْرِی عَلَیْه إِلَّا جَرَی لَهُ».

حيث أشار عليه السلام فى الواقع إلى أمرين:

الأوّل: أنّ الجميع عارفون بالحقّ وكل يتحدّث عنه ويتشدق به لحفظ مصالحه، بينما تراه فى غاية التشدد حين العمل لأداء حقوق الآخرين، وكأنّه يرى الحق أحادى الجانب.

ومن هنا أشار الإمام عليه السلام فى الأمر الثانى إلى هذا الأمر الأساسى وهو ليس هنالك من حق أحادى الجانب فى أىمورد؛ فإن كان لأحد حق، كان عليه مثله؛ مثلًا، للأستاذ حق على تلميذه، كونه علمه ورباه، وللتلميذ قطعاً حق على أستاذه، فعليه أن لا يألو جهداً فى تعليمه وتربيته، كونه وضع فكره وعمره وشبابه تحت تصرفه، وإن كان للدائن حق على المدين فى ضرورة أداء الدين فى وقته، فإنّ للمدين حقّاً متبادلًا فى أن يمهل إن تعذر عليه التسديد فى الوقت المطلوب «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ»[٢٦٨].

وإن كان للرجال حقوق على النساء، فللنساء مثل ذلك على أزواجهنّ: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ»[٢٦٩].

بل للأبناء عليهما حقوق كثيرة، كما أنّ للأبناء حقوقاً على الآباء والامهات، ومن أراد الوقوف على سعة الحقوق المتبادلة للناس على بعضهم فليراجع رسالة الحقوق

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٧٩

للإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام ٢٧٠]، حتى الحيوان له حق على الإنسان إن كان مملوكه ٢٧١].

ثم أشار عليه السلام إلى حق اللَّه على العباد حتى أنّ هذا الحق ليس أحادياً، وإن كانت عبارة حق العباد على اللَّه ليست مناسبة من جوانب؛ إلّاأنّ هذا الحق يبدو بلباس التفضل: «وَلَوْ كَانَ لِاحَدٍ أَنْ يَجْرِىَ لَهُ وَلَا يَجرِىَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذلِكَ خَالِصاً للَّهسُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِى كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ».

فالكلام إشارة إلى أنّ قدرة اللَّه تقتضى من جانب أن لا يترك عباده ويلطف بهم من جميع الجهات وتقتضى عدالته من جانب آخر أن لا يصيب الإنسان أدنى ظلم، سواء فى عالم التشريع أم عالم التكوين، وعليه فهنالك فارق بين اللَّه وعباده؛ فلعل العباد يفرطون بحقوق الآخرين إثر عجزهم أو الحاجات التى تضطرهم لهجر العدالة، لكن كيف يرضى القادر المطلق والعادل على الاطلاق بضياع حقوق عباده؟! ومن هنا يمكن استثناء الحق المتبادل بشأن اللَّه واقتصار الحقّ عليه.

ثمّ واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا: «وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلًا مِنْهُ، وَتَوَسُّعاً بِما هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ».

وبعبارة أخرى أنّ اللَّه جعل لعباده حقّاً عليه إزاء حقّه عليهم، وإن كان هذا الحق تفضّل دون أن يكون لعباده دين عليه، كونهم لا يؤدون جزءاً من شكره مهما أطاعوه وعبدوه إزاء ما غمرهم به من نعم، ومن هنا لم يستثن حتى اللَّه تعالى من هذا الأمر؛ أى كما له تعالى حق على العباد فهم كذلك لهم حق عليه، وإن كان هذا الحق من باب التفضّل، لا الاستحقاق.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٨٠

تأمّل: الثواب استحقاق أم تفضّل؟

ورد هذا البحث لدى علماء الكلام منذ القدم، هل الثواب الإلهى استحقاق أم تفضّل؟ بمعنى إن أطاع العباد أوامر اللَّه فهل على اللَّه إثابتهم، وإلّا كان ذلك قبيحاً عليه؟ أم ليس للعباد أىشىء على اللَّه إن إمتثلوا أوامره وتركوا نواهيه، وإن أثابهم فمن باب اللطف والرحمة، وإلّا كان عين العدل؟

قال بعض المتكلمين الذين يميلون لمذهب الأشاعرة بالتفضّل بينما ذهب مذهب الاعتزال للقول بالاستحقاق.

يرى القائلون بالاستحقاق أنّ إلزام العباد بالطاعة يتضمن مشقّات، فإن كان الإلزام هدفاً فهو ظلم وقبيح ولا يصدر من الحكيم، وإن كان له هدف فليس ذلك الهدف سوى الثواب الجميل، وعليه إن لم يعط اللَّه الثواب استلزم القبح المحال على اللَّه، أمّا القائلون

بالتفضّل فيقولون: إنّ اللّه غمرنا بالنعم لو فنينا أعمارنا فى طاعته لم نؤد شكر جزء من نعمه، وعليه فلا نستحق منه شيئاً ليلزم بإعطائه.

إلّا أنّ المذهبين كأنّهما غفلًا نقطةً الالتفات إليها يكشف النقاب عن هذه المسألة ويجلى الحق، وهى أنّ استحقاق الثواب حين يقدم أحد خدمة لآخر فيتوقع عليها الأجر والثواب، بعبارة أخرى، قال المذهبان بالثواب أو ما يشبهه على طاعة أوامر اللّه؛ فالمذهب الأوّل يقول: إنّهم تلقوا أجرهم من قبل بصيغة نعم إلهية، والثانى يرى أنّهم لابدّ أن يحصلوا عليه لاحقاً.

والحال نعلم أنّ لجميع الأوامر والنواهى مصالح تعود لنفس المكلفين، فالصوم والصلاة والحج والجهاد سبب صفاء الروح وتكامل النفس والعزّة والرفعة وترك الذنب والغيبة والخمر والقمار ينقذهم من المفاسد والانحرافات، وعلى هذا الأساس فإنّ المكلفين إنّما يخدمون أنفسهم فى الطاعة وترك المعصية، فهل لهم أن يروا لأنفسهم أجراً على اللّه إزاء خدمتهم لأنفسهم؟!

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۸۱

يبدو الأمر أشبه بالطبيب الرؤوف بمريضه فينصحه مجاناً ويزوده بالدواء فيلتزم بها المريض ويشفى من مرضه، فلو ذهب هذا المريض إلى الطبيب وطالبه بالأجر على طاعته لأوامره، ألا يتعجب منه الجميع ويضحكون عليه؟

وجميع الأوامر والنواهى كذلك، فالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله طبيب دوار بطبه وكل ما ذكره لصالح المكلفين، وعليه فلا مجال لبحث قضية ثواب الناس إزاء الطاعة سواءً استحقاقاً أم تفضلًا.

نعم كتب اللّه على نفسه الثواب ووعد به بلطفه وكرمه وحثاً لعباده على طاعته التى توجب كما لهم واللّه لا يخلف وعده لاستحاله خلف الوعد على الحكيم القادر والعالم، قال تعالى: «كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ»[۲۷۲].

وقال أيضاً: «إِنَّ اللَّه لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ»[۲۷۳].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۸۳

القسم الثانى

اشارة

ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِى وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِى عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِى، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّه سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِالْفَتِهِمْ، وَعِزًّا لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِى حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِى إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِى بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِى بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الادْغَالُ فِى الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّه سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ.

الشرح والتفسير: حق الوالى والرعية

أشار الإمام عليه السلام فى المقطع السابق إلى حقّ اللّه على الناس وتطرق هنا إلى حقّ الناس على بعضهم وأهمها حقّ الوالى على الامّة وحقّ الامّة على الوالى فقال: «ثُمَ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۸۴

جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْض».

جدير ذكره أنّ الإمام عليه السلام اعتبر حقّ الناس على بعضهم فرعاً من حقّ اللّه على الناس وناشئ من حقوقه، وبعبارة أخرى فإنّ حقّ اللّه وحق الناس ليسا فى عرض بعضهما، بل فى طول بعضهما.

ثم قال: «فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ[۲۷۴] فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْض».

بعبارة أخرى لا حقّ أحادى الجانب من هذه الحقوق، بل هى ثنائية جميعاً كما ورد فى القسم السابق، فإن كان لأحد حقّ على الآخر كان هناك حق لذلك الآخر عليه، وعليه فهذه الحقوق متساوية ومتلازمة؛ ليس بمعنى إن لم يلتزم أحد بوظيفته كان على الآخر عدم الالتزام بها؛ مثلًا، لو لم يقم الولد بطاعة والده يتمرد الأب على تربيته وأداء نفقته، أو إن لم تعمل طائفة من الرعية بوظيفتها يقطع الوالى عنها الخدمات، بعبارة أخرى، أنّ هذه من قبيل اللازم والملزوم فى مقام الوجوب، لا فى مقام التحقق والعمل؛ أى كلاهما واجب، سواء عمل الطرف المقابل بوظيفته أم لا.

ولمزيد من الإيضاح إليك هذا المثل، إن أدّت الرعية ما عليها من ضرائب وخراج سوف لن يتقاعس الوالى عن وظيفته فى توفير الأمن لهم وتعليم وتربية أولادهم ومعالجة مرضاهم وجرحاهم، لأنّ كلًا من هاتين الوظيفتين مستقلة وليست مشروطة بالاخرى فى مقام العمل، وإن تشابكتا كوجوبين فى مقام التشريع.

وقال الإمام عليه السلام مواصلًا كلامه: «وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ[۲۷۵]، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّه سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۸۵

ثم خاض الإمام عليه السلام فى فلسفة هذين الحقّين فقال: «فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِالْفَتِهِمْ، وَعِزًّا لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ».

فرعاية هذه الحقوق لها فى الواقع آثار مادية مهمة ومعنوية فالعبارة «فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِالْفَتِهِمْ» إشارة لآثارها المادية والظاهرية والعبارة «عِزّاً لِدِينِهِم» لآثارها المعنوية والروحية، وإلى هذه الحقيقة أشارت العبارتان بعدها إلى صلاح الرعية والوالى وفسادهما تداخلًا مع بعضهما ولكل منها أثره على الآخر، فالوالى الفاسد يسوق الرعية إلى الفساد والرعية الصالحة تضطر الوالى لقبول الحق والعدل، وإن صلحا معاً توفرت أفضل الظروف لرقى المجتمع وتطوره.

ثم خاض فى الآثار السلبيّة لتقاعس الطرفين فى أداء الحقوق، بعبارة أوضح وأبلغ عدّد هذه الآثار الواحد تلو الآخر فقال: «فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا[۲۷۶] السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ».

فقد بيّن الإمام عليه السلام هنا سبعة آثار مهمّة لأداء الحقوق المتبادلة بين الوالى والرعية؛ أولها: العزّة والاقتدار، وثانيها: قيام مناهج الدين وضعف البدع، وثالثها: ارتفاع راية العدل فى البلاد الإسلاميّة، ورابعها: إحياء السنّة، وخامسها: كنتيجة لما سبق، صلاح الوسط الاجتماعى، وسادسها: الطمع فى بقاء الحكومة ودوامها، وسابعها: يأس الأعداء، وقد اتضح هذا الأمر على عهد النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حيث كان أعظم مؤد لحقوق الأمّة وكانت أغلبيتها الساحقة تؤدى حق الطاعة فبدت واضحة تلك الآثار السبعة.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۸۶

وأمّا فى عهد أمير المؤمنين عليه السلام وإن احييت السنن الإسلاميّة والعدل والقسط إلى حد معين، غير أنّ الانحرافات التى حدثت عقب وفاة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله طيلة ۳۵ سنة الواحد تلو الآخر والتى أدت فى الختام إلى الخروج على حكومة عثمان، وبالتالى قتله، جعلت من المتعذر إعادة المسيرة لما كانت عليه خلال المدّة القليلة لحكومة الإمام على عليه السلام وبقاء العناصر الخطيرة من الحكومات السابقة كمعاوية وبنى أمية وبنى مروان، الحقيقة التى يعترف بها كلّ من تمعن بهذه الحقيقة من التاريخ

الإسلامى دون تعصب وباستطاعة المسلمين اليوم الظفر بعزتهم واقتدارهم بالاستلهام من كلمات الإمام عليه السلام وانسجام الولاة والرعايا والحكام والشعوب.

ثم تناول الإمام عليه السلام الآثار السيئة لتقاعس الوالى والرعية عن حقوق بعضها البعض وقال: «وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ ۲۷۷] الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْادْغَالُ ۲۷۸] فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُ ۲۷۹] السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ».

فبيّن الإمام عليه السلام أيضاً سبع مفاسد لعدم الانسجام بين الحاكم والشعب والذى لمسناه كراراً فى حكومات الجور؛ اختلاف الكلمة، الظلم والجور، البدعة والخداع، ترك المنهاج الواضح، العمل بالأهواء والاستبداد، ثم تطرق اثر ذلك إلى النتيجة النهائية لهذه الأوضاع المؤسفة فقال: «فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ».

فهذه الأمور الخمسة نتيجة مباشرة وغير مباشرة لحكومات الجور، فالناس فى ظلّ هذه البيئة يعتادون على إبطال الحقوق ولا يكترثون لرواج الباطل فتصبح هذه

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۸۷

الأمور قضايا عادية لمسنا نماذجها طيلة التاريخ وفى عصرنا، فمن الطبيعى أن لا يشق طريقه صوت الأخيار والأطهار الذين يتبنّون الحق ويناهضون الباطل وينحّون من الميدان، وبالعكس تكون المناصب الحساسة بيد الأشرار والملوّثين المسايرين لذلك الجو، الأمر الذى حدث على عهد حكومة الخليفة الثالث؛ فنفى أبوذر وتسلّط مروان وواصل أمثال معاوية ذلك الطريق فقتل من على شاكلة عمار حتى بلغ الأمر يزيد وابن زياد فقتلا أطهر نسل النّبى صلى الله عليه و آله وصحبه.

ومن البديهى أن يمسك اللَّه لطفه فى هذه الظروف عن الرعية ووليها ويؤاخذهم بتبعات أعمالهم.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۸۹

القسم الثالث

اشارة

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذلِك، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِن اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللَّه حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللَّه سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ. وَلكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّه عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّه مِنْ حَقِّهِ. وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذلِك أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

الشرح والتفسير: ضرورة التعاون فى أداء الحقوق

دعا الإمام عليه السلام هنا الجميع بما فيهم الوالى والرعية لما فرغ من الوصية بشأن حق الوالى والرعية بالتعاون مع بعض، ثم أشار إلى ثلاثة أمور اجتماعية مهمّة فقال فى القسم الأوّل: «فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذلِك، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ».

ثم اتّجه صوب الأمور الثلاثة المهمّة فقال بادئ الأمر- بغية عدم اغترار الأفراد وأن لايظنّوا أنّهم أتوا بوظيفتهم بهذا الخصوص بأحسن

وجه ويتوقفوا بالنتيجة عن الحركة- «فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللَّه حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللَّه سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ. وَلكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّه عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ».

وهذا أصل كلّى أنّ الإنسان إن رضى تماماً عن عمله ولم ير فيه نقصاً وخللًا،

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٩٠

كفّ عن الحركة وتعثرت مسيرته نحو الكمال، والأمر كذلك فليس للسمو والتكامل وجلب رضى اللَّه من حدود ليقنع بها الإنسان، فلابدّ من الاعتراف بالتقصير دائماً وبذل الجهد على الدوام، وعليه فليس هنالك من يستغنى عن وعظ الآخرين، لأنّ النقص والتقصير يبدو أظهر للآخرين، بينما يحول حبّ الذات دون رؤيته.

ورد فى حيث مفصّل عن الزهرى، قال: «دخلت مع على بن الحسين عليهما السلام على عبدالملك بن مروان قال: فاستعظم عبدالملك ما رأى من أثر السجود بين عينى على بن الحسين عليه السلام فقال: ياأبا محمّد لقد بيّن عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من اللَّه الحسنى وأنت بضعة من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قريب النسب وكيد السبب ... وأقبل يثنى عليه ويطريه، قال: فقال على بن الحسين عليه السلام: كلّ ما ذكرته ووصفته من فضل اللَّه سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم ...؟ كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقف فى الصلاة حتى تورم قدماه، ويظمأ فى الصيام حتى يعصب فوه، فقيل له: يا رسول اللَّه! ألم يغفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول صلى الله عليه و آله: أفلا أكون عبداً شكوراً ..

واللَّه لو تقطّعت أعضائى وسالت مقلتاى على صدرى لن أقوم للَّه جلّ جلاله بشكر عشر العشر من نعمة واحدة من جميع نعمه التى لا يحصيها العادّون، ولا يبلغ حدّ نعمة منها فى جميع حمد الحامدين»[٢٨٠].

ثم قال فى بيان ذانك الأمرين: «وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّه مِنْ حَقِّهِ. وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ ٢٨١] الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذلِك أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ».

إشارة إلى ضرورة إدراك الجميع لهذه الحقيقة أن ليس أحد من الأقوياء ولا الضعفاء فى المجتمع غنى عن الآخر، فاللَّه لم يودع شخصاً كلّ شىء، فقد جعل فى

نفحات الولاية، ج٨، ص: ١٩١

كلّ رأس فكراً وفى كل بدن قوّة وقدرة؛ صغيراً كان أم كبيراً، وعليه فليس لمن كان مقتدراً من حيث الفكر والإدارة والقوة البدنية أن يرى نفسه غنيّاً عن عون أضعف أفراد المجتمع، كما لا ينبغى للأفراد الضعفاء والعاجزين ظاهرياً أن يتصوروا أنّهم ليس لهم دور فى إدارة شؤون المجتمع.

روى عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «غريبان: كَلِمَةُ حِكْمَةٍ مِنْ سَفيهٍ فَاقْبَلُوها وَكَلِمَةُ سَفَهٍ مِنْ حَكيم فَاغْفِرُوها فَإِنَّهُ لا حَكيمَ إِلّاذُو عَثْرَةٍ وَلا سَفيهَ إِلّاذُو تَجْرِبَةٍ»[٢٨٢].

والتاريخ يحتفظ فى ذاكرته بالعديد من مثل هذه الحوادث منها ماورد فى المعتصم:

لما خرج ملك الروم، وفعل فى بلاد الإسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فاستعظمه وكبر لديه، وبلغه أنّ امرأةً هاشميّة صاحت وهى اسيرة فى أيدى الروم: وامعتصماه، فأجبها وهو جالس على سريره: لبيك لبيك، ونهض من ساعته وصاح فى قصره:

النفير النفير، وبلغه أنّ عمورية عين النصرانية وأشرف عندهم من القسطنطنية، فتجهز بما لم يعهد من السلاح وحياض الأدم وغير ذلك، وفرّق عساكر ثلاث فرق، فخربوا البلاد الروم وقتلوا كثيراً وأحرقوا ووصلوا إلى فانورية، ثم اجتمعوا فى عمورية وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وكانت فى غاية الحصانة.

وقد ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى فى كتابه المسمى بالمسامرة فتح عمورية فقال: فتحها المعتصم فى رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وسبب فتحها أن رجلًا وقف على المعتصم فقال: يا أميرالمؤمنين كنت بعمورية وجارية من أحسن النساء أسيرة قد لطمها علج

على وجهها، فنادت: وامعتصماه، فقال العلج: وما يقدر عليه المعتصم يجيء على أبلق ينصرك! وزاد فى ضربها، فقال المعتصم: وفى

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۹۲

أىّ جهـة عموريـة، فقال له: الرجل هكذا، وأشار إلى جهتها، فردّ المعتصم وجهه إليها، وقال: لبيك أيتها الجارية، لبيك هذا المعتصم باللَّه أجابك، ثمّ تجهز إليها فى اثنى عشر ألف فرس أبلق وفى هذه التلبية يقول له فى قصيدة أبوتمام حبيب الطائى:

لَبيتُ صَوتاً رَطيباً قَد هَرقت لَه كأس الكَرى وَرضاب الحَردِ العرب

فلما حاصرها وطال مقامه عليها، جمع المنجّمين، فقالوا له: إنا نرى أنّك ماتفتحها إلّافى زمان نضج العنب والتين، فبعد عليه ذلك واغتمّ لذلك، فخرج ليلةً متجسّساً فى العسكر يسمع ما يقول الناس، فمرّ بخيمة حدّاد يضرب نعال الخيل، وبين يديه غلام أقرع قبيح الصورة بضرب نعال الخيل ويقول: فى رأس المعتصم، فقال له معلمه: اتركنا من هذا، مالك والمعتصم فقال: ما عنده تدبير، له كذا وكذا يوماً على هذه المدينة على قوّته ولايفتحها، لو أعطانى الأمر ما بتّ غداً إلا فيها، فتعجّب المعتصم ممّا سمع وانصرف إلى خيامه وترك بعض رجاله موكّلًا بالغلام، فلمّا أصبح جاءوا به فقال: ما حملك ياهذا على ما بلغنى عنك؟

فقال: الذى بلغك حقّ، ولكن ماوراء خبائك، وقد فتح اللَّه عموريـة فقال: قد ولّيتك، وخلع عليه وقدّمه على الحرب، فجمع الرماة، واختار منهم أهل الإصابة وجاء إلى بدن من أبدان الصور وفى البدن من أوّله إلى آخره خطّ أسود من خشب، عرضه ثلاثة أشبار أو أكثر، فحمى السهام بالنار وقال للرماة: من أخطأ منكم ذلك الخطّ الأسود ضربت عنقه، وإذا بذلك الخطّ خشب ساج، فعند ما حصلت فيه السهام المحميّة قامت النار فيه واحترق، فنزل البدن كما هو، وتحامى الرجال، ودخل البلد بالسيف، وذلك قبل الزمان الذى ذكره المنجّمون، وفى ذلك يقول أبوتمام حبيب الطائى فى قصيدته التى امتدح بها المعتصم عند فتح عمورية:

السَّيفُ أَصدقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِفِى حَدّهِ الحَدُّ بَينَ الجدِّ وَاللعبِ

بِيضُ الصَّفائِحِ لا سُودُ الصَّحائِفِ فِىمُتونهِنّ جِلاءُ الشكِّ والرّيبِ ۲۸۳]

تأمّل: الحكومات الشعبية

كثر الكلام فى عالمنا المعاصر عن الحكومات الجماهيرية؛ لكنها غالباً ما تنتهى إلى دكتاتوريات مرئية وغير مرئية تقتصر على حفظ مصالح الأقوياء والغاصبين، كونها تفتقر إلى العنصر المعنوى والورع السياسى.

وقلنا غير مرئية، كون الطغاة يستعينون بالوسائل الاجتماعية المتطورة وأبواق الدعاية فى غسل أدمغة الجماهير ويصادرون آراءَهم بوعودهم المعسولة، والنموذج الواضح فى عصرنا: الديمقراطية الأمريكية

أضف إلى ذلك فإنّ آراء هذه الحكومات فى أفضل صورة حكومة النصف زائد واحد ونتيجة ذلك الاصطفاف بين الطبقة الحاكمة والنصف ناقص واحد، وقد رأينا فى عصرنا مراراً الحكومات التى تتسلم الحكم من خلال آراء الشعب وحيث لم يعملوا لصالح الجبابرة فقد سعوا بشتى الوسائل لإسقاطهم، فنجحوا فى أغلب الحالات، وكلّ ذلك كونهم يفتقرون فى حكومتهم المادية للغاية للشرط الأساس المتمثل بالعنصر الروحى، وعدم شعورهم بالمسؤولية أمام اللَّه.

وما ورد فى كلام الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة يشير إلى سيادة الشعب بأحسن صورها، فقد تطرق بادئ الأمر إلى العنصر المعنوى للحكومة وذكّر الجميع أنّكم تغرقون بنعم اللَّه بحيث لا يسعكم شكر عشر أعشارها مهما اجتهدتم فى طاعته ثم يوصى الحكام أنّكم لا تستغنون عن مساعدة كلّ فرد فى المجتمع

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۹۴

مهما بلغتم من القوّة والعلم والتجربة والفطنة، فلابدّ لكم من إشراك الجميع والاستعانة بهم.

ثمّ ذكّر الجماهير بعدم اعتزال المساهمة فى إدارة شؤون المجتمع كيفما كانت أعمارهم ومستوى علومهم، فلابدّ من تضافر الجهود والتركيز على عنصر التقوى فى تشكيل الحكومة المرضية للّه‌والمجتمع ۲۸۴].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۹۵

القسم الرابع

اشارة

فَأجابَهُ عليه السلام رَجُلٌ مِنْ أصْحابِهِ بِكَلامٍ طَويلٍ، يُكْثِرُ فيهِ الثَّناءَ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطاعَتَهُ لَهُ؛ فَقالَ عليه السلام:

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّه سُبْحَانَهُ فِى نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذلِكَ كُلُّ مَاسِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّه عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّه عَلَى أَحَدٍ إِلَّا ازْدَادَ حَقُّ اللَّه عَلَيْهِ عِظَماً. وَ إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِى ظَنِّكُمْ أَنِّى أُحِبُّ الْاطْرَاءَ، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ؛ وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّه كَذلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً للَّه‌سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ. وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَىَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِاخْرَاجِى نَفْسِى إِلَى اللَّه سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِى حُقُوق لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَابُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا.

الشرح والتفسير: الشكر على الواجب

لما بلغ الإمام عليه السلام العبارة الأخيرة من القسم السابق «فَأَجابَهُ عليه السلام رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِهِ بِكَلامٍ طَويلٍ، يُكْثِرُ فيهِ الثَّناءَ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطاعَتَهُ لَهُ؛ فَقالَ عليه السلام:».

لم يذكر شرّاح نهج البلاغة من كان ذلك الشخص، إلّاأنّ المرحوم الكلينى ذكر فى «الكافى» كلاماً طويلًا بين أميرالمؤمنين عليه السلام وذلك الرجل، ثم قال: ولم يشاهد

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۹۶

أحد ذلك الرجل بعد ذلك الكلام ۲۸۵].

ومن هنا احتمل المرحوم الكلينى أنّ ذلك الرجل هو الخضر عليه السلام الذى كان يرد فى بعض المواقع الحساسة على الإمام عليه السلام فيؤدى وظيفته ثم يختفى عن العيون:

على كلّ حال حسب رواية «الكافى» فإن ذلك الرجل قال:

«أنت أميرنا ونحن رعيّتك، بك أخرجنا اللَّه عزّ وجلّ من الذلّ وإعزازك أطلق عباده من الغل، فاختر علينا وأمض اختيارك وائتمر فأمض ائتمارك فإنّك القائل المصدّق والحاكم الموفّق والملك المخوّل لا نستحلّ فى شىء معصيتك ولا نقيس علماً بعلمك، يعظم عندنا فى ذلك خطرك ويجلّ عنه فى أنفسنا فضلك».

فردّ عليه الإمام عليه السلام فأستانف مدحه وثناءه وتكررت هذه القضية مراراً ثم اختفى الرجل ۲۸۶].

على كلّ حال ما ورد فى «نهج البلاغة» أنّ الإمام عليه السلام أجابه: «إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّه سُبْحَانَهُ فِى نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذلِكَ كُلُّ مَاسِوَاهُ».

يبدو واضحاً تماماً هذا المعنى من خلال الالتفات إلى أنّ ذات اللَّه وجود مطلق من جهة ولا متناهى من حيث العلم والقدرة وكل ما سوى اللَّه، قطرة إزاء بحر عظيم متلاطم، كما ورد ذلك فى خطبة همام فى صفات المتقين: «عَظُمَ الْخالِقُ فى أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ ما دُونَهُ فى

أعْيُنِهِم». فمن تطلع لقرص الشمس كان ضوء الشمعة لا شيء بنظره.

ثم أضاف عليه السلام: «وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذلِك لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّه عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّه عَلَى أَحَد إِلّا ازْدَادَ حَقُّ اللَّه عَلَيْهِ عِظَماً». هذا الكلام فى الواقع جواب على مديح ذلك الرجل المحبّ للمولى عليه السلام، أىلا تظن أنّ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۹۷

كلامك يسوقنى للكبر والغرور، فأولًا: أنا عرفت اللَّه بعظمته وما سواه صغير حقير بنظرى. وثانياً: أنا مشمول بنعم جمّة وعلىَّ أن أخضع أكثر من الآخرين لولى نعمتى.

وقال مكملًا ومؤكداً هذا الكلام: «وَ إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ ۲۸۷] حَالاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِى ظَنِّكُمْ أَنِّى أُحِبُّ الْاطْرَاءَ[۲۸۸]، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ؛ وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّه كَذلِك».

صحيح أنّه طبق بعض الاحتمالات كان ذلك المادح هو الخضر عليه السلام ولم ينطق سوى بالحق وما أورده كان فى الإمام، بل أكثر من ذلك، إلّاأنّ الإمام أشار إلى أمر ضرورى وهو أننى لا استحسن حتى الثناء بالحق فلعله يخلق انطباعاً لدى السامع فيظن أنّه يحب هذا الكلام ويتصف بالكبر والفخر والعجب الذى يؤثر سلباً على علاقة الإمام بالامّة.

ثم قال الإمام عليه السلام: «وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذلِك لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً للَّهسُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ».

«وَرُبَّما اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَىَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِاخْرَاجِى نَفْسِى إِلَى اللَّه سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِى حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَابُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا».

ورد فى النسخة الموجودة فى المتن المذكور «وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ» إشارة إلى تقوى الإمام عليه السلام وخشيته فى أداء حقوق الناس، بينما ورد فى بعض نسخ «نهج البلاغة» ومتن «الكافى» «بقية» ومعنى ذلك، ما زالت لكم علىَّ بقية حقوق لابدّ أن أجدّ فى أدائها، فقد أبان الإمام عليه السلام فى هذه العبارة غاية رفعته، حيث بيّن عدم إكتراثه بالمدح والثناء من جانب ومنتهى خضوعه للَّهمن جانب آخر وبالتالى اعترافه بعدم أداء الحقوق بصورة كاملة، الأمر الذى قلّما نجده فى زعيم طيلة التاريخ.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۹۸

تأمّلان

۱. المدح والثناء

مدح الآخرين والثناء عليهم على نوعين؛ نوع ايجابى وبنّاء وسبب حركة الخدام ويأس الخونة ورقى المجتمع، والآخر مدعاة للخراب والتخلف وتقوية شوكة الظلمة، وللنوع الأوّل ثلاثة شروط: الأوّل، مدح من يستحق المدح، الثانى، عدم خروج المدح عن حده، والثالث، ألا يكون هدف المادح التقرب إلى الممدوح وتحقيق الاطماع.

قال النّبى صلى الله عليه و آله: «إذا مُدِحَ الْفاجِرُ اهْتَزَّ الْعَرْشُ وَغَضِبَ الرَّبُّ»[۲۸۹].

وورد فى حديث آخر: «الثَّناءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الْاسْتِحْقاقِ مَلَقٌ وَالتَّقْصيرُ عَنِ الْاسْتِحْقاقِ عَىٌّ أَوْ حَسَدٌ»[۲۹۰].

ولا ينبغى الغفلة عن هذا الأمر فى ضرورة الأخذ بنظر الاعتبار قابلية الممدوح؛ حذراً من أن يدعوه المدح للغرور ويحرفه عن الحق، كما ورد فى قصار كلمات الإمام على عليه السلام: «رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فيهِ»[۲۹۱].

لا شك فى أنّ كلّ هذه الأمور مع أخذها بنظر الاعتبار فإن المدح والثناء دلالة على التقدير ومعرفة الحق ومدعاة لتشجيع الأخيار والصالحين.

وتعقد اليوم العديد من التجمعات لتكريم المهرة من خدمة المجتمع والعلماء الأعلام وأصحاب الكفاءات العالية وتقدّم لهم الجوائز

تقديراً لجهودهم مثلًا، للكتاب جراء أفضل كتاب للسنة والعمال والفلاحين النموذجيين ورسائل السلام والصداقة فى العالم وتكريمهم وتقديرهم، والتى تلعب دوراً بناءاً إن لم تكتسب صبغة سياسية وتقدم الروابط على الضوابط وحفظ الشرط الثالث المذكور فى حسن نية المشرفين.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۱۹۹

إلّا أنّ النوع الثانى يناقضه تماماً؛ أى إذا مُدحَ الأشرار وغير المستحقين وأثنى عليهم أكثر من الحد وكانت دوافع ذلك العوامل السياسية والحبّ والبغض الشخصى تشجّع الطالحون ويئسَ الفضلاء والخيرون، فينفرد المتملقون فى الميدان والمجتمع ويتقوقع الصادقون المخلصون.

قال على عليه السلام: «إيّاك وَالْمَلَقُ فَإنَّ الْمَلَقَ لَيْسَ مِنْ خَلائِقِ الايمانِ»[۲۹۲].

وقال النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «أُحْثُوا فى وُجُوهِ الْمُدّاحينَ التُّراب»[۲۹۳].

والنقطة الأخيرة فى هذه الرسالة ونرى من الضرورى ذكرها أنّ للمدح أحياناً جانباً إيجابياً ويتصف بالشروط المذكورة، لكنه يخلق حالة شاذة لدى الرأى العام ويتهم الممدوح بحب المادح وهذا ما ينبغى أيضاً الابتعاد عنه، وأكثر ما ورد فى هذه الخطبة من هذا القبيل.

۲. ألسنة التملق

التملق كما قيل، المدح والثناء الذى يتجاوز الحدود والكلام الجُزاف فى فضائل الأفراد للتقرب منهم والاستفادة من منافعهم المادية، حتى ذكر الصفات الحقيقية لشخص دون الإشارة إلى نقاط ضعفه يعدّ نوعاً من التملق، وأبعد من ذلك ما يفعله بعض المتملقين ممّن جعل نقاط الضعف كنقاط القوّة والتملق عادة لأرباب القدرة والجاه والذى يعتبر من أعظم المخاطر التى تهدد الولاة والحكام والمدراء، لأن أول شرائط الإدارة المعرفة بالحقائق المتعلقة بحيز الإدارة والمتملقون يغطون الحقائق ويخفونها عن انظار المدراء والمسؤولين فيخلق ما لا يحصى من المفاسد.

والعجيب أنّ الزعماء الضالين غير المؤهلين غالباً ما يشجعون المتملقين ويمتعظون من قول الحق ويشعرون بالهدوء الكاذب من تملق المتملقين.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۰۰

وقد عدّ الإمام عليه السلام التملق من أسوأ الأمراض أو مرض لا علاج له «أدوى الداء الصلف»[۲۹۴] واحد معانى الصلف التملق والآخر مدح الذات.

وقال فى موضع آخر: «إنَّما يُحِبُّك مَنْ لا يَتَمَلَّقُك»[۲۹۵].

وقال: «لَيْسَ الْمَلَقُ مِنْ خُلُقِ الأَنْبياءِ»[۲۹۶].

ولا ينبغى أن ننسى أنّ التملق يتم تارة بصورة مباشرة وأخرى غير مباشرة أو عن طريق النثر أو الشعر أو العمل وكل آثاره السيئة متساوية.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۰۱

القسم الخامس

اشارة

فَلَا تُكَلِّمُونِى بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّى بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِى بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِىَ اسْتِثْقَالًا فِى حَقٍّ قِيلَ لِى، وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِى، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّى لَسْتُ فِى نَفْسِى بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِىءَ، وَلَا آمَنُ ذلِكَ مِنْ فِعْلِى، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِى مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّى، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ؛ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحَنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

الشرح والتفسير: لا تتملقوا أمامى

جانب مهم من هذه الخطبة- كما أشرنا- فى بيان حقوق الوالى والرعية وقد غير الإمام عليه السلام مسار الخطبة بعد أن أثنى عليه أحد الحاضرين إلى جانب خاص من حقوق الوالى والرعية وهو ترك المدح والثناء على الولاة والحكّام.

ثم خاض هنا آخر الخطبة فى آفة أخرى من آفات الحكّام والناس فى أنّ إرتباطهم ببعضهم علاقة تملّق وكتمان الحقائق المريرة لصعوبتها وترك النقد الصائب والبناء فقال: «فَلَا تُكَلِّمُونِى بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّى بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ[۲۹۷]، وَلَا تُخَالِطُونِى بِالْمُصَانَعَةِ».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۰۲

إشارة إلى أنّ العاديين من الأفراد حين يقفون بين يدى الجبابرة يخفون شخصيتهم الحقيقية ويتحفظون عن كلّ نقد وشكوى واعتراض حذراً من أن يغضبوا عليهم، ويسعون بالعكس إلى الأمن من شرّهم بالمدح والثناء والتملق، ومن هنا فلا تتضح لهم قط الحوادث الحقيقية فى المجتمع فيغطون فى وادى الضلالة والجهل.

يطمئن الإمام عليه السلام كلّ مخاطبيه بضرورة بثّ ما لديهم من شكوى ومشكلة فهم أحرار فى ما يقولون بشأن الحكومة والمجتمع.

نعم فهذه إحدى الفوارق البارزة بين حكام العدل والجور، ورد فى «العقد الفريد»: وقام رجل إلى هارون الرشيد، وهو يخطب بمكة، فقال: «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّه أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ»[۲۹۸]. فأمر به فضرب مائة سوط، فكان يئن الليل كله ويقول: الموت! الموت! فأخبر هارون أنه رجل صالح، فأرسل إليه واستحلّه فأحلّه ۲۹۹].

وجاء فى نفس هذا الكتاب أيضاً: جلس الوليد بن عبدالملك على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرت الشمس، فقام إليه رجل فقال: ...، إنّ الوقت لا ينتظرك، وإنّ الربّ لا يعذرك، قال: صدقت: ومن قال مثل مقالتك، فلا ينبغى له أن يقوم مثل مقامك، من هاهنا من أقرب الحرس يقوم إليه فيضرب عنقه ۳۰۰].

بينما رأينا مراراً فى سيرة أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ عدداً من المنافقين تفوهوا بأسوأ الكلمات بحضرته كالأشعث بن قيس وبعض الخوارج، فلم يتعرّض لهم قط.

ثم قال مواصلًا ذلك الكلام: «وَلَا تَظُنُّوا بِىَ اسْتِثْقَالًا فِى حَقٍّ قِيلَ لِى، وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِى، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ».

إشارة إلى أنّ الذين لا يطيقون سماع الانتقاد أعجز عن ممارسة الإصلاح، ومن هنا يوغلون كلّ يوم فى مزيد من الظلم والفساد، وشجع الإمام عليه السلام فى تأكيد هذا

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۰۳

الكلام جميع مخاطبيه ببيان الحق صراحة وذكر المشاكل الفردية والاجتماعية والتأكيد على العدالة الاجتماعية فقال: «فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّى لَسْتُ فِى نَفْسِى بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِىءَ، وَلَا آمَنُ ذلِكَ مِنْ فِعْلِى، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِى مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّى».

الجملة «فَإِنِّی لَسْتُ فی نَفْسِی بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِیءَ» كانت مبرّراً لبعض مخالفی عصمة الأئمّة وأكثروا الضجيج بشأنها، بينما العبارة «إِلَّا أَنْ يَكْفِیَ اللَّه مِنْ نَفْسِی» تفسرها بصراحة، فمفهوم العبارة الاولى أنّی كإنسان لا آمن الخطأ، ومفهوم العبارة الثانية لی وضع آخر فی ظل رعاية اللَّه، شبيه ما أورده القرآن بشأن النّبی يوسف عليه السلام: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ»[٣٠١].

إشارة إلى أنّ يوسف عليه السلام كإنسان يخشی عليه أن يتلوث بأهواء امرأة العزيز، إلّا أنّ مشاهدة برهان الربّ الذی يشير إلى مقام وعصمة يوسف ومعرفته الرفيعه باللَّه، حفظته من ذلك.

أضف إلى ذلك فإنّ الإمام عليه السلام فی مقام تربية وتعليم أصحابه فيرشدهم إلى احتمال الخطأ على أنفسهم مهما كانوا؛ لكنّه يضع نفسه فی زمرتهم تواضعاً، على كلّ حال لا ينبغی التذرع بهذه العبارة إزاء كلّ الأدلة على عصمة النّبی والإمام.

قال النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلّاوَلَهُ شَيْطانٌ. قيل: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: وَلا أَنَا إِلّاأَنَّ اللَّه تَعالى أعانَنی عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ»[٣٠٢].

والشاهد البليغ الآخر على ما قلنا ما أورده الإمام عليه السلام أواخر الخطبة ٩٧: «وَإِنِّی لَعَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّی وَمِنْهاجٍ مِنْ نَبِيّی وَإِنِّی لَعَلَى الطَّرِيقِ الْواضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً».

وعلى هذا الضوء فالإمام عليه السلام يؤيد أنّه سائر على الصواب دائماً بلطف اللَّه ولا سبيل للخطأ إليه.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٠٤

ثم قال فی إكمال وتأييد الكلام المذكور: «فَإِنَّما أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ؛ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحَنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى».

وكما ذكر فإنّ رواية فی «الكافی» حيث وردت هذه الخطبة أطول ممّا ورد فی «نهج البلاغة»، والسيد الرضی اقتطف فی الواقع جوانب من الخطبة.

ونقرأ فی رواية «الكافی» قسماً آخر من هذه الخطبة:

«يقال: لم ير الرجل بعد كلامه هذا لأميرالمؤمنين، فأجابه وقد عال الذی فی صدره فقال والبكاء يقطع منطقه وغصص الشجا تكسر صوته إعظاماً لخطر مرزئته ووحشة من كون فجيعته.

فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم شكا إليه هول ما أشفی عليه من الخطر العظيم والذل الطويل فی فساد زمانه وانقلاب جدّه وانقطاع ما كان من دولته ثم نصب المسألة إلى اللَّه عزّ وجلّ بالامتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجع وحسن الثناء، فقال: يا ربّانیّ العباد ويا سكن البلاد أين يقع قولنا من فضلك وأين يبلغ وصفنا من فعلك أنّی نبلغ حقيقة حسن ثنائك أو نحصی جميل بلائك فكيف وبك جرت نعم اللَّه علينا وعلى يدك اتّصلت أسباب الخير إلينا، ألم نكن لذلّ الذليل ملاذاً وللعصاة الكفّار إخواناً فبمن إلّابأهل بيتك وبك أخرجنا اللَّه عزّ وجلّ من فظاعة تلك الخطرات، أو بمن فرج عنّا غمرات الكربات ...»[٣٠٣].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٠٥

الخطبة ٢١٧

اشارة

فِی التَّظَلُّمِ وَالتَّشَكّی مِنْ قُرَيْش ٣٠٤]

نظرة إلى الخطبة

كما قيل فى سند الخطبة فإنّ هذه الخطبة والخطبة ١٧٢ والخطبة ٢۶ تشترك مع بعضها فى أقسام مختلفة وتبدو أنّها رسالة كتبها الإمام عليه السلام أواخر حكومته فى الردّ على طائفة من أصحابه، فقد أصرت طائفة على الإمام أن يبيّن رأيه فى الأحداث التى أعقبت عصر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وعصر الخلفاء.

فكتب الإمام عليه السلام بناءاً على إصرارهم هذه الرسالة وأمر بقراءتها على الناس حتى لا يتمكن المخالفون من تزييف الحقائق وتحريف التاريخ.

أشار الإمام عليه السلام إلى قضيتين أساسيتين فى هذه الخطبة:

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٠۶

الأولى: إنّه شكا قريشاً للّه‌أنّهم اتحدوا على هضمه حقّه وأنّهم قالوا له صراحة عليك أن تتنازل عن حقّك فى الخلافة!

الثانية: إنّ الإمام عليه السلام شرح علّة عدم قيامه لأخذ حقّه لأنّه لم يجد أعواناً على هذا الأمر وقد رأى الخطر محدقاً بأرواح أهل بيته.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٠٧

اللهمَّ إنّى أَسْتَعْدِيک عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِى وَأَكْفَؤُوا إِنَائِى، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِى حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِى، وَقَالُوا:

أَلَا إِنَّ فِى الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِى الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً. فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِى رَافِدٌ، وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِى؛ فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنْ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِى عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ.

قالَ الشَّرِيفُ رَضِىَ اللَّه عَنْهُ: وَقَدْ مَضى هذا الْكَلامُ فى أَثْناءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، إلّا أنّى ذَكَرْتُهُ هاهُنا لِاخْتِلافِ الرِّوايَتَيْنِ.

الشرح والتفسير: تحمل الصعاب

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة قائلًا: «اللهمَّ إنّى أَسْتَعْدِيک عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِى وَأَكْفَؤُوا[٣٠۵] إِنَائِى، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِى حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِى».

بالرغم من أنّ الإمام عليه السلام قال هذا الكلام أواخر عهد خلافته، لكن هنالك خلاف عند شراح «نهج البلاغة» والمؤرخين بشأن الزمان، فهل المراد قضية السقيفة والأحداث التى أعقبت وفاة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أم الشورى التى تألفت من ستة

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٠٨

أشخاص أم الزمان الذى نكث فيه العهد طلحة والزبير واشعلا فتنة حرب الجمل؟

ويبدو الاحتمال الأوّل هو الأقوى من بينها ثم الثانى، بينما يستبعد الاحتمال الثالث فتمرد طلحة والزبير لا يعدّ من اجتماع قريش على الإمام.

العبارة «أَسْتَعْدِيک» من «الإستعداء» بمعنى الاستعانة أو الشكوى لأحد.

العبارة «إِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِى» ربّما تشير إلى أنّ غاصبى الخلافة استندوا إلى القرابة من النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى حين كان الإمام أقرب إليه من غيره.

العبارة «أَكْفَؤُوا إِنَائِى» يمكن أن تكون إشارة إلى أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو الذى ملأ هذا الإناء وسلّمه إلى الإمام وعرّفهم به أنّه الأولى بالخلافة من الجميع كراراً؛ لكنهم قلبوا إناء ماء الحياة رأساً على عقب.

أمّا قوله إنّه أولى بهذا الحق منهم جميعاً فهذا ممّا ثبت بالدليل العقلى والنقلى لكل منصف؛ فليس هنالك من يمتلك شجاعته أو ورعه وتقواه وزهده.

نقل ابن أبى الحديد فى شرح الخطبة ١٧٢ حين ذكر هذه العبارة، عبارات شبيهة أخرى تدل جميعاً على أنّ عليّاً عليه السلام كان يرى الخلافة حقّ المسلّم وقد غصبه الآخرون، ثم قال: فسّرت الإماميّة والزيديّة هذه العبارات حسب ظاهرها ولم يروا غير على عليه السلام يليق بها، وأضاف قائلًا: رغم أنّ هذا هو الظاهر الذى ذهبوا إليه لكننا نعتبرها كالمتشابه من الآيات فلا نحملها على ظاهرها[٣٠٦].

هذا الكلام العجيب ناشىء عن نوع من التعصب والذهنية المريضة ومعنى ذلك أننا لا نقبل سوى مانرغب فيه، يقول جزءاً من المتشابهات، فى حين يرد المتشابه عندما يكون هنالك إبهام وإجمال فى الكلام، لا مثل هذا الكلام الواضح الصريح.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى منطق مخالفيه العجيب: «وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً».

حقّاً هذا منطق رهيب أن يعترف الإنسان ببعض الأمور أنّها حق لكن لابدّ من

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٠٩

التنازل عنها استجابة للقوّة والغطرسة فإمّا أن يصبر ويتحمل أو يموت كمداً من القهر، وهذا هو الشعار الذى يهتف به الاستكبار العالمى خفية أو علانية: «الْمُلْكُ لِمَنْ غَلَبَ» ولابدّ هنا من سؤال ابن أبى الحديد: هل هذه العبارة جزء من المتشابه وينبغى تأويلها وعدم حملها على الظاهر؟!

ثم قال الإمام عليه السلام مواصلًا كلامه: «فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ[٣٠٧]، وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي؛ فَضَنَنْتُ ٣٠٨] بِهِمْ عَنْ الْمَنِيَّةِ».

تشير هذه العبارة إلى أنّ الناس انساقت للحكومة آنذاك فهذا طمعاً وذاك خوفاً وثالث حقداً وبغضاً ورثه من المعارك الإسلاميّة السابقة، وأخيراً الغفلة الجهالة، كان من الطبيعى أن يتعذر على الإمام فى ظل تلك الشرائط أن ينهض ليشكل حكومة العدل الإسلامى وهى الامتداد لحكومة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

ومن هنا قال إثر ذلك: «فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ٣٠٩]، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا[٣١٠]، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ ٣١١]، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ[٣١٢] الشِّفَارِ[٣١٣]».

إشارة إلى أنّه لا ينبغى قط أن يفسّر سكوتى على تلك الاوضاع بالدليل على الرضى، بل إنى أتأوّه بشدّة من الانحرافات التى أعقبت وفاة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى الحكومة الإسلاميّة؛ لكن لم يكن أمامى سوى الصبر والسكوت.

وعقب اختتام الخطبة: «قَالَ الشَّرِيفُ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: وَقَدْ مَضى هذا الْكَلامُ فى أَثْناءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، إلّاأَنّى ذَكَرْتُهُ هاهُنا لِاخْتِلافِ الرِّوايَتَيْنِ».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢١١

الخطبة ٢١٨

اشارة

فى ذِكْرِ السّائِرِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ لِحَرْبِهِ عليه السلام ٣١٤]

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارات القصيرة إلى الجرائم المتعددة التى إرتكبها أصحاب الجمل الذين انطلقوا برفقة عائشة وطلحة والزبير فى طريقهم إلى البصرة ليتمردوا على الإمام عليه السلام، ويبثّوا التفرقة فى صفوف أهل البصرة الذين كانوا متحدين على بيعة الإمام وطاعته، فقد نهب أصحاب الجمل بيت مال المسلمين ونحّوا خزانه وقتلوا طائفة من شيعة الإمام وفئة ممن قاومتهم وإرتكبوا بعض الجنايات التى لايأتيها من كان له أدنى حظ من الإيمان.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢١٣

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِى وَخُزَّانِ بَيتِ مالِ المُسلِمِينَ الَّذِى فِى يَدَىَّ وَعَلَى أَهْلِ مِصْر، كُلُّهُمْ فِى طَاعَتِى وَعَلَى بَيْعَتِى؛ فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَىَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِى، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً؛ وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّه صَادِقِينَ.

الشرح والتفسير: جنايات أصحاب الجمل فى البصرة

كما ورد فى سند الخطبة فإنّ هذا الكلام فى الواقع جانب من رسالة طويلة كتبها الإمام عليه السلام لتسجل فى التاريخ وعدم نسيان الحوادث المريرة التى حدثت بعد النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الكلام القصير إلى الجنايات العظمى للناكثين الذين أثاروا فتنة حرب الجمل قال: «فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِى وَخُزَّانِ مالِ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِى فِى يَدَىَّ».

ثم أضاف قائلًا: «وَعَلَى أَهْلِ مِصْر، كُلُّهُمْ فِى طَاعَتِى وَعَلَى بَيْعَتِى؛ فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَىَّ جَمَاعَتَهُمْ».

وأشار إلى جريمتهم الكبرى الثالثة وقال: «وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِى، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً؛ وَطَائِفَةٌ عَضُّوا[٣١٥] عَلَى أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّه صَادِقِينَ».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢١٤

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة القصيرة إلى ثلاث من جرائمهم البشعة: نهب بيت المال، بث الفرقة والنفاق فى صفوف المسلمين وقتل عدد من الأبرياء من المسلمين الصالحين الصادقين.

ورد فى حوادث الجمل ٣١٦]، عندما أقبلت عائشة- إلى البصرة- على جَملِها فنادت بصوت مرتفع: أيّها الناس، أقلّوا الكلام واسكتوا، فأسكت الناس لها، فقالت: إنّ أميرالمؤمنين عثمان قد كان غيّر وبدّل، ثم لم يزل يغسِل ذلك بالتوبة .. ألا إنّ عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب، ولا يدخل فيهم من شرك فى دم عثمان.

قال (الراوى): فماج الناس واختلطوا، فمن قائل: القول ما قالت، ومن قائل يقول:

وما هى وهذ الأمر، إنّما هى امرأة مأمورة بلزوم بيتها، وارتفعت الأصوات وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال، وترامواا بالحصا.

ثمّ إن الناس تمايزوا وصاروا فريقين: فريق مع عثمان بن حنيف، وفريق مع عائشة وأصحابها[٣١٧].

هذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بشأن بثّ النفاق والفرقة بين المسلمين الذين كانوا متّحدين من قبل الفئة الباغية التى شقت عصا المسلمين وزرعت الفتنة بينهم إلى يوم القيامة.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢١٥

الخطبة ٢١٩

اشارة

لَمّا مَرَّ بِطَلْحَةَ بْنِ عَبْدِاللَّه وَعَبْدِالرَّحْمنِ بْنِ عَتّابِ بن أُسَيْد وَهُما قَتيلانِ يَوْمَ الْجَمَل ٣١٨]

نظرة إلى الخطبة

هذا الكلام القصير الذى اقتطفه المرحوم السيّد الرضى من كلام طويل يبيّن فى الواقع ثلاث نقاط: إحداها، إعرابه عن أسفه على قتل طلحة الذى ما كان ينبغى أن يسلك هذا الطريق الخاطئ وله تلك السوابق فى الإسلام فيقتل تلك القتلة الغريبة تحت السماء.

الأخرى، أنّ أمراء معركة الجمل الذين قتلوا خزّان بيت مال المسلمين فى البصرة وشيعة الإمام سينالون جزاءهم.

والثالثة، أنّ أولئك (وأمثالهم) لم يكونوا مؤهلين لما كان يدور فى أذهانهم.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢١٧

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهذَا الْمَكَانِ غَرِيباً! أَمَا وَاللَّه لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ! أَدْرَكْتُ وَتْرِى مِنْ بَنِى عَبْدِ مَنَاف، وَأَفْلَتَتْنِى أَعْيَانُ بَنِى جُمَحَ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ!

الشرح والتفسير: المشهد المروع بعد الجمل

كما قيل، فإنّ الإمام عليه السلام قال هذا الكلام لما مرّ بعد حرب الجمل بجسد طلحة بن عبداللَّه وعبدالرحمن بن عتّاب اللذين صرعا غريبين على التراب.

وطلحة بن عبداللَّه هو صاحب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله المعروف الذى بايع الإمام بعد مقتل عثمان ولكن حين لم تتحقق آماله فى الوصول إلى حكومة بعض الولايات الإسلاميّة، رفع لواء المعارضة واتحد مع الزبير وعائشة واشعل فتيل حرب الجمل واكتوى بنارها.

ولم يكن عبدالرحمن بن عتّاب من الصحابة؛ ولكنه يعتبر من التابعين، وكان أبوه عتاب ممن أسلم فى فتح مكة وولّاه النّبى صلى الله عليه و آله إمرة مكة، وكان لوالده آنذاك اثنتان وعشرون سنة وقال له النّبى لو كان هنالك من هو أفضل منك لذلك الأمر لولّيته، واستمر ذلك حتى عهد أبى بكر وتوفى مع أبى بكر فى نفس اليوم، لكن للأسف فإنّ ابنه عبدالرحمن انحرف عن الجادة وأصبح العوبة بيد طلحة والزبير ووسيلة لتحقيق أطماعهما حتى قتل فى حرب الجمل فكان جسده فى العراء قرب جسد طلحة.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢١٨

قيل: لما قتل عبدالرحمن بن عتّاب فى الجمل حمل يده المقطوعة عقاباً وألقى بها فى اليمامة وتعرّف الناس على خبره من خاتمه الذى خط عليه اسمه.

على كلّ حال، أعرب الإمام عليه السلام فى بداية الخطبة عن اسفه لقتل طلحة فقال:

«لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهذَا الْمَكَانِ غَرِيباً!».

التعبير (أبو محمد) دلالة على نوع من الاحترام والأسف على غربته لسوابق طلحة الحسنة فى الإسلام، حيث كان ممّن صحب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومن الأشداء فى الذبّ عن بيضة الإسلام؛ ولكن للاسف فإنّ حبّ الجاه والمقام والحسد دفعه لشن حرب دموية ضد خليفة المسلمين الذى نصب من جانب اللَّه والمبايع من قبل الامّة والتى خلفت أكثر من سبعين ألف قتيل.

ثم قال الإمام عليه السلام: «أَمَا وَاللَّه لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ!».

صحيح أنّ طلحة والزبير وأمثالهما يستحقون ذلك العقاب، لكن الإمام عليه السلام أعرب عن امتعاظه بكلّ حبّ ورأفة وعاطفته الخاصّة بالنظر لسوابقه فى الإسلام ليته لم يقتل فى هذا الطريق وتكون هذه العاقبة، فجميع الأنبياء والأوصياء وأولياء اللَّه يرجحون كفّ

الخاطئين وحتى المجرمين الطغاة عن مسيرتهم والالتحاق بصفوف المؤمنين والصالحين.

ثم قال عليه السلام: «أَدْرَكْتُ وَتْرِى ٣١٩] مِنْ بَنِى عَبْدِ مَنَاف، وَأَفْلَتَتْنِى ٣٢٠] أَعْيَانُ بَنِى جُمَحَ».

هنالك خلاف بين الشرّاح بشأن المراد من «بنى عبد مناف» من هم؛ قال البعض:

إنّ المراد بهم طلحة والزبير وعبدالرحمن الذين أشير إليهما آنفاً.

وأشكل ابن أبى الحديد على أنّ طلحة والزبير لم يكونا من بنى عبدمناف، واجيب أنّهما يتصلان بعبد مناف من جانب الام وإن لم يتصلا به من طرف الأب.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢١٩

واعترض المرحوم العلّامة التسترى فى شرحه لنهج البلاغة على هذا الكلام من جهتين: الاولى أنّ الانتساب إلى القبائل فى عرف العرب عن طريق الأب؛ وليس الام، والأخرى أنّ ام الزبير وإن انتهى نسبها لعبد مناف كونها بنت عبدالمطلب إلّاأنّ ام طلحة كانت من اليمن. ولم يذكر العلّامه التسترى بعد هذين الاعتراضين، من الأفراد المرادون ببنى عبد مناف.

وربّما كان فى أهل الجمل غير عبد الرحمن، بنو عبد مناف الذين إرتكبوا بعض الجرائم وقتلوا هناك؛ إلّاأنّ أسماءهم لم ترد فى التاريخ لعدم شهرتهم.

فبنو جمح طائفة من قريش كانت فى معسكر أهل الجمل؛ ولما رأوا المعركة ليست لصالحهم فروا ولم يقتل منهم سوى اثنان.

واختتم عليه السلام هذا الكلام قائلًا: «لَقَدْ أَتْلَعُوا[٣٢١] أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا[٣٢٢] دُونَهُ!».

هذا الكلام إشارة إلى طلحة والزبير وأمثالهما الذين يفتقرون لأهلية الخلافة بوجود الإمام عليه السلام بل ليس لهم أهليتها حتى مع عدم وجود الإمام عليه السلام، فحبّ الجاه والتعلق بالدنيا يحول دون أهلية زعامة الامّة الإسلاميّة.

تأمّلان

١. حبّ دنيا وعواقبه المشؤمة

كان طلحة والزبير من السابقين إلى الإسلام الذين قاتلوا ببسالة دفاعاً عن النّبى والإسلام، كما كانت لهما مكانتهما المميزة بعد النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى درجة أنّ عمر لم يتمكن من تجاوزهما فى الشورى التى شكّلها لانتخاب الخليفة من بعده؛ لكن حبّ الجاه والمقام والتعلق بالدنيا أخرجهما عن طريق الحق فغيرا مسارهما والتحقا

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٢٠

بصفوف المنافقين.

فمن جانب غارا على بيت مال المسلمين فى البصرة وقتلا خزان بيت المال واستغلاه لإثارة معركة الجمل.

ومن جانب، آخر أجّجا نيران فتنة الجمل التى راح ضحيتها مئات الآلاف من المسلمين وأسسا للحروب الأهلية.

ومن جانب ثالث، أخرجا زوج النّبى صلى الله عليه و آله من بيتها وجعلوها مطية لأهوائهم السياسية فانتهكا من خلال ذلك حرمة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

ومن جانب رابع، كلاهما قتل فى تلك المعركة ولم يحققا اطماعهما الشخصية، وبالطبع سيذوقا وبال أمرهما يوم القيامة بما سوّدا به صحيفة أعمالهما.

هذه كلّها نتائج حبّ الجاه وحبّ الدنيا، الأمر الذى عدّه جميع الأنبياء والأولياء مصدر جميع الذنوب فقد قال الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: «حُبُّ الدُّنْيا رَأْسُ كُلِّ خَطيئَة»[٣٢٣].

وقد بيّن الإمام عليه السلام هذه الحقيقة بوضوح بعبارات موجزة عقب الجمل طبق رواية المرحوم الشيخ المفيد، قال ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة فى قضية معركة الجمل: «مرّ الإمام عليه السلام بعد الجمل بطلحة قتيلًا فقال: أجلسوه، فأجلسوه، فقال: «لَقَدْ كانَ لَكَ قَدَمٌ لَوْ نَفَعَكَ وَلكِنَّ الشَّيْطانَ أَضَلَّكَ فَأَزَلَكَ فَعَجَّلَكَ إِلَى النّارِ»[٣٢٤].

٢. الكفاءة الشرط الاوّل لكل عمل

صرّح الإمام عليه السلام مختتماً خطبته المذكورة بأنّ طائفة اشرأبّت أعناقها لنيل الحكومة الإسلاميّة؛ وحيث لم تكن جديرة بها فقد كسرت رقبتها، إشارة إلى أنّ كلّ عمل ومشروع يتطلب كفاءة معينة ولا يكفى مجرّد الرغبة بالشىء بغية الوصول إليه

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٢١

ولا يمكن شغل مواقع العظماء بالمجان إلّاأنّ يعدّ الإنسان الأسباب العظيمة.

صحيح أنّ البعض استند إلى تلك المواقع دون إعداد تلك الأسباب؛ ولكنهم واجهوا الهزيمة والخسران فى خاتمة المطاف إثر سوء إدارتهم.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٢٣

الخطبة ٢٢٠

اشارة

فى وَصْفِ السّالِك الطَّريقَ إلَى اللَّه سُبْحانَهُ ٣٢٥]

نظرة إلى الخطبة

كما يتّضح من عنوان الخطبة خاض الإمام عليه السلام فى هذا الكلام الموجز البليغ، فى التعريف بالسالك إلى اللَّه والسائر على الطريق وعدّ سبب موفقيته إلى إحياء العقل وإماتة أهواء النفس وصرح أنّ بارقة من نور ألطاف الحق تقتدح فى قلبه فى ظلّ هذا العمل؛ الذى يضيىء المسير ويوصله إلى مقام النفس المطمئنة ورضى اللَّه.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٢٥

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الْاقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِى قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ.

الشرح والتفسير: سالك طريق الحق

طرح الإمام عليه السلام فى هذا الكلام العميق المعنى، دورة عرفانية إسلامية من خلال عبارات موجزة واستعرض شرائط السير والسلوك إلى اللَّه ونتائجه ومقاماته فقال:

«قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ ٣٢٦]، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ ٣٢٧]».

إحياء العقل إشارة إلى الانفتاح على الأدلة العقلية لتكامل الإيمان والحسن والقبح العقليين لتكامل الفضايل الأخلاقيّة، وهكذا فإنّ مفردة العقل هنا تشمل العقل النظرى والعقل العملى.

أمّا النفس فلا تعنى القضاء على الغرائز النفسانيّة، بل المراد تهذيبها بحيث لا يسعها القذف بالإنسان فى مصائد الشيطان وتصده عن سبيل اللّه.

المفردة «جَليل» فى العبارة «دَقَّ جَليلُهُ» إشارة إلى الأبدان السمينة والتى أصبحت بهذه الصورة إثر كثرة الأكل والافراط فى أكل الأطعمة الدسمة، ويخفف

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۲۶

الوزن بترك الشهوات.

والمفردة «غَليظ» فى «لَطُفَ غَليظُهُ» إشارة إلى أنّ الخلق الخشن والرذائل الأخلاقيّة تتلطف فى ظل الرياضة النفسانيّة.

ثم اتجه الإمام عليه السلام صوب آثار هذه الحركة العقلانيّة والرياضة الشرعيّة ليعدّ ثمارها الطيبة فى ثلاث فقال: «وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ».

وهذا هو نور المعرفة والمعنويّات التى تتجلى للإنسان إثر الرياضات العقلانيّة والنفسانيّة وتضيئ له الطريق كما يقول القرآن المجيد: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ»[۳۲۸].

فقد شبّه السائرين على الدرب بالسالكين لطريق صحراوى مظلم؛ ولكنهم يشملون بالعنايات الربّانية، يبرق لهم بريق من السماء فينير لهم الطريق ليبلج لهم عمق الصحراء. صرّح بعض العارفين المسلمين بثلاث مراحل لأنوار الهداية الربّانية التى تحصل إثر الرياضات النفسانيّة، المرحلة الاولى التى تسمى «اللوائح»؛ وهو نور يشرق فى باطنهم؛ ولكنه لا يدوم طويلًا. المرحلة الثانية، التى تسمى «اللوامع» التى لا تزول بسرعة؛ ولكنها تنطفئ بالتالى، والمرحلة الثالثة، «الطوالع» التى تدوم مدّة مديدة وتصون السالك إلى اللّه من الانحراف.

وقال فى القسم الثانى من تلك الآثار: «وَتَدَافَعَتْهُ ۳۲۹] الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الْاقَامَةِ».

على غرار ما ورد فى القرآن الكريم: «لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[۳۳۰].

نفحات الولاية ؛ ج۸ ؛ ص۲۲۶

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۲۷

وقال على لسان أهل الجنّة: «إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ* الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ»[۳۳۱].

ثم قال فى القسم الثالث من تلك الآثار: «وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِى قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ».

وكأنّه ماورد فى القرآن: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ* ارْجِعِى إِلَى رَبِّك رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً* فَادْخُلِى فِى عِبَادِى* وَادْخُلِى جَنَّتِى»[۳۳۲].

نعم! الإنسان فى مسير القرب إلى اللّه فى كلّ زمان يكون عرضة لوساوس شياطين الجنّ والإنس ويهزّه خوف الضلال حتى يبلغ ما يزيل عن سماء روحه غيوم وساوس النفس والشيطان، ويقدح فى كيانه بريق معرفة اللّه فيعيش السكينة التامة ويستحق الخطاب «فَادْخُلِى فِى عِبَادِى* وَادْخُلِى جَنَّتِى».

ثم اختتم هذا الكلام بالتأكيد على هذه الحقيقة: «بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ».

نعم! وهذا ما اشير له فى الآيات المذكورة: «ارْجِعِى إِلَى رَبِّك رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً».

تأمّل: مقامات السير والسلوك

إنّ رواج التعبير بالسير والسلوك فى تعبيرات أهل العرفان فى عصرنا والعصر القريب منه مقتبس فى الواقع من القرآن حين قال: «يَا

أَيُّهَا الْانسَانُ إِنَّک كَادِحٌ إِلَى رَبِّک كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ»[۳۳۳].

وآيات التوبة مثل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّه تَوْبَةً نَّصُوحاً»[۳۳۴]. (بالنظر إلى

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۲۸

أنّ التوبة فى الأصل تعنى العودة). والآية الشريفة «إِنَّا للَّهوَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»[۳۳۵].

الواقع أنّ روح الإنسان كالغواص الذى وطئ عالم المادة واقترن بالجسم المادّىليغوص فى أعماق بحار هذا العالم ويحمل معه الجواهر النفيسة هناك ويخرجها معه.

ويربط الغواصون أحياناً جسماً ثقيلًا بأرجلهم ليبلغ بهم أعماق البحارفان أتمّوا بحثهم طرحوا ذلك الجسم الثقيل ثم يعودون إلى سطح الماء، والسعيد من يعلم اين هذه الجواهر النفيسة.

الهدف من هذا السير والسلوك إلى اللَّه الذى يشرع بالتربية وتهذيب النفس والتوبة والإنابة والرياضات الشرعيّة، هو العبور من النفس الأمّارة بالسوء إلى النفس اللوامة ومن هناك إلى النفس المطمئنة والوصول إلى رفعة مقام راضية مرضية. العبور الذى ينتهى بالتالى بالمكاشفات وإزالة الحجب عن عين الإنسان، حيث قال النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله لذلك الشاب السعيد الذى رآه مواقيت الفجر فى صلوات الجماعة وبدت عليه آثار قيام الليل: «هذا عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّه قَلْبَهُ بِالْايمانِ»[۳۳۶].

هناك مقامات ومراحل متفاوتة لهذا السير والسلوك يراها العرفاء والسالكون ويعتقد البعض بأنّهم اقتبسوها من الآيات القرآنية وروايات المعصومين عليهم السلام.

فقد أوجز بعضهم النظام اليومى للسالكين إلى اللَّه فى أربعة أمور: المشارطة، المراقبة، المحاسبة والمعاقبة أو المؤاخذة.

وعلى هذا الضوء يشترط السالك على نفسه فى الصباح أن لا يتقدم خطوة فى غير رضى اللَّه؛ ثم يراقب أعماله طيلة النهار ويفرغ ليلًا للحساب فإن بدر منه خلاف عاقب نفسه بحرمانها من اللذائذ وماترغب فيه.

وورد اثنا عشر منزلًا ومقاماً لهذا النظام فى رسالة السير والسلوك للفقيه الكبير

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۲۹

المرحوم العلّامة بحر العلوم، ثم يرد الإنسان بعد طيها عالم الإخلاص ومصداقه «بَلْ أَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»[۳۳۷].

وقد ذكرت فى هذه الرسالة الآداب الخمسة والعشرون لبلوغ هذا المقام ۳۳۸].

المؤسف أنّ هذه المسألة استغلت كثيراً لاسيما فى عصرنا وقد تشبث بها الصوفيون أساس الانحرافات فى العقيدة والعمل ليجعلوه شماعة ويتصورون أنّهم سالكون إلى اللَّه، بينما هم غالباً مصداق «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْاخْسَرِينَ أَعْمَالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»[۳۳۹] ولكن هنالك بعض الأفراد الذين يتحركون على هدى الكتاب والسنّة ولا يحيدون عن مسير القرآن وقول المعصومين وهؤلاء هم السائرون والسالكون الحقيقيون.

وقد اعتبر أميرالمؤمنين على عليه السلام إمام العارفين فى كلامه الموجز كما بيناه أنّ أساس سلوك طريق الحق هو إحياء العقل وإماتة النفس وإصلاح الأخلاق، وبيّن الثمرات الثلاث المهمّة لهذا السلوك بصيغة غاية فى الروعة والجمال والبلاغة.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۳۱

الخطبة ۲۲۱

اشارة

قالَ بَعْدَ تِلاوَتِهِ: «أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ»[۳۴۰]

نظرة إلى الخطبة

يمكن تقسيم هذه الخطبة إلى أربعة أقسام وإن كانت واردة فى تفسير قوله تعالى: «أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ»[۳۴۱].

الحديث فى القسم الأوّل عن جهل المتبقين، بمصيرهم كيف لا يتعظون بمن يتوسدون التراب وبيّن فى القسم الثانى، كيفية أحوال الماضين وكيف رقدوا تحت التراب وتوسدوا القبور الباردة المظلمة، لا يخبر بهم أحد، خلت بيوتهم ونسيت حياتهم.

القسم الثالث، كأن الإمام يحدثهم ويردون عليه بلسان الحال بما يهز ويوقظ.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۳۲

وتحدث الإمام عليه السلام فى القسم الرابع عن أواخر أيّام العمر كيف ييأس الأطباء عن العلاج ولا ينفع الدواء ويقترب الإنسان كلّ آن من نهايته ويبتعد عن أهله وقرابته ويتوقف لسانه ويفقد سمعه ويستحوذ الموت على كيانه، والتمعن فى هذه الخطبة يؤثر فى الإنسان ويوقظه مهما كان قاسى القلب.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۳۳

القسم الأوّل

اشارة

يَا لَهُ مَراماً مَا أَبْعَدَهُ! وَزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ! وَخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ! لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَىَّ مُدَّكِر، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَان بَعِيد! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ! أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ وَلَانْ يَكُونُوا عِبَراً، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً؛ وَلَانْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ، أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِى غَمْرَةِ جَهَالَةٍ، وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ: ذَهَبُوا فِى الْأَرْضِ ضُلَّالًا، وَذَهَبْتُمْ فِى أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا، تَطَؤُونَ فِى هَامِهِمْ، وَتَسْتَنْبِتُونَ فِى أَجْسَادِهِمْ، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا؛ وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

الشرح والتفسير: التفاخر الفارغ بدل الاعتبار!

كما مضى فإنّ هذه الخطبة إحدى خطب أميرالمؤمنين على عليه السلام الجامعة الشاملة والمؤثرة.

وقد أشاد ابن أبى الحديد إشادة عجيبة بهذه الخطبة وعدّها فريدة من حيث الفصاحة والبلاغة وقال: ومن تأمّل هذا الفصل علم صدق معاوية فى على عليه السلام:

«وَاللَّه ما سَنَّ الْفَصاحَةَ لِقُرَيشٍ غَيْرُه».

ثم قال: وينبغى لو اجتمع فصحاء العرب فى مجلس وتلى عليهم، أن يسجدوا له

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۳۴

كما سجد الشعراء فى مواضع الشعر.

وأضاف: وإنّى لُأطيل التعجب من رجل يخطب فى الحرب بكلام يدل على أنّ طبعه مناسب لطباع الاسود، ثمّ يخطب فى ذلك

الموقف بعينه إذا أراد الموعظة بكلام يدل على أنّ طبعه مشاكِل لطباع الرهبان لابسى المسوح الذين لم يأكلوا لحماً ولم يريقوا دماً فيكون كالمسيح فى زهده. وأقسم لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرّة ما قرأتها قط إلّاوأحدثت عندى روعة وخوفاً وعظة وأثرت فى قلبى وجيباً وفى أعضائى رعدة وكم قال الواعظون والخطباء فى هذا المعنى وكم وقفت على ما قالوه وتكرر وقوفى عليه فلم أجد لشىء منه مثل تأثير هذا الكلام ۳۴۲].

واستناداً لما قيل يجدر بنا أن نتوقف عند شرحنا لهذه الخطبة على عمق كلام الإمام عليه السلام فنستفيد منها بما فيه الكفاية ونلمس آثارها فى أنفسنا وأرواحنا.

وكما ورد فى عنوان الخطبة فإنّ هذا الكلام فى الواقع تفسير لأول آيتين من سورة التكاثر «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ».

ونلقى بادئ الأمر نظرة إجمالية على تفسير الآيتين:

ذكر المفسّرون المعروفون تفسيرين لهما:

الف) المراد أنّ تكاثركم أنساكم اللّه والقيامة حتى خرجتم من الدنيا وحللتم القبور.

ب) المراد أنّ تكاثركم وتفاخركم أنساكم اللّه والقيامة حتى زرتم المقابر لإثبات أفضليتكم فعددتم قبور موتاكم فخراً على من سواكم.

طبعاً الأصح التفسير الثانى، لأنّه: أوّلا زيارة القبور مستبعدة جدّاً بمعنى الدفن فى القبور وثانياً، لو كان التفسير الأوّل صحيح فلابدّ من القول: «تزوروا القبور» أى يكون الفعل بصيغة المضارع لا الماضى، لأنّ المخاطبين أحياء.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۳۵

يدور كلام الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة حول المحور الثانى وهذا دليل واضح على ترجيح هذا التفسير.

فقال الإمام عليه السلام: «يَا لَهُ مَرَاماً[۳۴۳] مَا أَبْعَدَهُ! وَزَوْراً[۳۴۴] مَا أَغْفَلَهُ! وَخَطَراً[۳۴۵] مَا أَفْظَعَهُ![۳۴۶]».

نعم، فالعظام البالية تحت التراب والأجساد المتفسخة ليس فيها مايدعو للفخر، فما أحراهم بالاعتبار بدل هذا الافتخار وهم يرون بأم أعينهم أنّهم سيحملون ليوسدوا هذا التراب وينقطعوا عن الأهل والقرابة فيفيقون من هذا السبات العميق والنوم الوبيل. ومن هنا قال الإمام عليه السلام مواصلًا كلامه: «لَقَدِ اسْتَخْلَوْا[۳۴۷] مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِر، وَتَنَاوَشُوهُمْ ۳۴۸] مِنْ مَكَان بَعِيد!».

فسّر بعض الشرّاح العبارة «لَقَدِ اسْتَخْلَوْا»: «أنّهم سيذكروا من مات منذ مدّة وأصبح تراباً ففى التفسير الأوّل «استَخْلَوْا» وجدوهم خالين وفى التفسير الثانى بمعنى ذكر الأموات.

ثم وبّخهم توبيخاً شديداً وذمهم فقال: «أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ! أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ!».

ترى مامدى جهل الإنسان الذى يريد أن يفخر بتلك العظام النخرة ويجعل أمواته فى عداد الأحياء ويعدّهم من الأدلة على كثرته. ثم قال: «يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ ۳۴۹]، وَحَرَكَات سَكَنَتْ».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۳۶

وأضاف: «وَلَمَانْ يَكُونُوا عِبَراً، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً؛ وَلَمَانْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ۳۵۰] ذِلَّةٍ، أَحْجَى ۳۵۱] مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ!».

فقد أكد الإمام عليه السلام فى هذه العبارات على هذه النقطة أنّ نظرة هؤلاء للأموات مقلوبة تماماً وقد أخطأوا فى مسارهم حتى عاد القبيح لديهم حسناً، فعلى هؤلاء أن ينظروا إلى الأموات بعين الاعتبار؛ ويشاهدوا أوضاع أخيارهم تحت التراب ويتأملوا مصيرهم على ضوء قانون الموت الذى لا استثناء فيه قط.

ورد فى الخبر أنّه لما سار على عليه السلام بصحبه إلى صفين بلغ ساباط المدائن وأطرافه (الموضع الذى كان يوماً مركز أقوى الحكومات ولكن انتهى فيه كلّ شىء).

فالتفت أحد أصحابه إلى آثار كسرى فأنشد قائلًا:

جَرَتِ الرِّياحُ عَلى مَكانِ دِيارِهِمْفَكأنَّهُمْ كانُوا عَلى ميعادِ

ولم يكتف الإمام عليه السلام بهذا المقدار فقال هلّا قرأت هذه الآيات: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ* كَذلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ ۳۵۲]»[۳۵۳].

وخاض الإمام عليه السلام مواصلًا كلامه فى بيان هذا الموضوع، لم هذا الفخر على الآخرين بهذه الأجساد الميتة الخاوية بدل الاعتبار «لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ».

ثم قال: «وَ لَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ ۳۵۴] الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ: ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالًا[۳۵۵]، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا، تَطَؤُونَ فِي

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۳۷

هَامِهِمْ ۳۵۶]، وَتَسْتَنْبِتُونَ ۳۵۷] فِي أَجْسَادِهِمْ، وَتَرْتَعُونَ ۳۵۸] فِيمَا لَفَظُوا[۳۵۹]، وَتَسْكُنُونَ فِيما خَرَّبُوا؛ وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكِ ۳۶۰] وَنَوَائِحُ ۳۶۱] عَلَيْكُمْ».

العبارة «ضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ» إشارة إلى غرقهم فى بحر الجهل و «ضرب» تعطى معنى الغرق بقرينة آخر هذه العبارة.

والجملة «تَطَؤُونَ فِي هَامِهِمْ» إشارة إلى أنّ أجسام الناس حين تتعفن وتصبح تراباً فإنّ ذلك التراب ينتقل إلى سطح الأرض بفعل بعض العوامل كالرياح والأمطار والسيول وتقلب التربة بواسطة الإنسان وهذا الإنسان الغافل يمر عليها ولا يدرى ماذا يفعل، وذكر «الهام» (أعلى الرأس) كون أهم شيء فى جسم الإنسان جمجمته وإلّا فإنّ الجسد بأكمله أصبح تراباً يطأه الآخرون.

الجملة «تَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ» إشارة إلى أنّ المزارعين يلقون بذورهم على الأرض الممزوجة بتراب أجساد الماضين ومع ذلك هم غافلون.

الجملة «تَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا» تعنى أحياناً ما ذكر وأخرى أنّه تتناثر من أجسادهم قطع والمزارعون يلقون عليها بذورهم وينتفعون بثمارها.

الجملة «تَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا» ربّما هى إشارة إلى أنّهم عاشوا مدّة فى تلك البيوت فلما انتهوا ووسدوا التراب حللتم فى مساكنهم وذهب بعض الشراح إلى أنّ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۳۸

العبارة «خربوا» تعنى الخلو من السكنة، وقيل المراد منه أنّها خربة لتركها الذكر والعبادة على غرار العمران فى الآية الشريفة «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّه»[۳۶۲] الذى فسّر بذكر اللَّه والعبادة.

نعم إنّ هؤلاء لم يؤدوا حق المساكن وخربوها عملياً بالغرور والغفلة ونسيان ذكر اللَّه وإن كانت فى الظاهر عامرة وورثوها للغفلة وارتحلوا.

الجملة «وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكِ» إشارة لطيفة إلى هذه النقطة أنّكم تبكون وتتأوّهون على الأموات؛ ولكن الدهر يبكيكم وينوح عليكم على مدى غفلتكم وجهلكم بمصيركم وتنسون أنّكم ملتحقون بهم عما قريب.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۳۹

القسم الثانى

اشارة

أولئِكَمْ سَلَفُ غَايَتِكَمْ، وَفُرَاطُ مَنَاهِلِكَمْ، الَّذينَ كانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ، مُلُوكاً وَسُوَقاً. سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ؛ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ، وَضِمَاراً لَايُوجَدُونَ؛ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ، وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ. غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وَآلَافاً فَافْتَرَقُوا، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَات. جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ، وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ. بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْاخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً.

أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً، شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا.

الشرح والتفسير: العالم العجيب بعد الموت

بعد أن وبّخ الإمام عليه السلام بشدّة أولئك الذين يزورون قبور موتاهم ويفخرون

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٤٠

بالأجساد البالية لأخيارهم، خاض فى هذه النقطة أنّ مصيرهم من شأنه أن يكون عبرة ودرساً وموعظة قيمة لمن يخلفهم فقال؛ «أولئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ ٣٦٣]، وَفُرَاطُ[٣٦٤] مَنَاهِلِكُمْ ٣٦٥]، الَّذينَ كانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ ٣٦٦] الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ ٣٦٧] الْفَخْرِ، مُلُوكاً وَسُوَقاً[٣٦٨]».

التعبير «سَلَفُ غَايَتِكُمْ» إشارة إلى أنّ هؤلاء بلغوا آخر نقطة فى حياتهم التى هى الموت الذى سبقوكم إليه وعلى الخلف أن يعتبر بمصير سلفه.

العبارة «فُرَاطُ مَنَاهِلِكُمْ» إشارة إلى أنّ الناس كأنّهم فى قافلة ينطلقون إلى الموت فهنالك طائفة تتقدم القافلة وأخرى تسير خلفها.

التعبير «مَقَاوِمُ الْعِزِّ» إشارة إلى أنّ ذوى القدرة ينبغى عليهم أن يطؤوا هذا الطريق كالآخرين.

وشبّه الناس فى العبارة «وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ» بالذين يشتركون فى سلسلة من المسابقات العظيمة والواسعة لكسب مزيد من الفخر فقد قال الإمام عليه السلام: كلّ أولئك سيبلغون فى الختام منزلًا اسمه القبر.

ثم قال بكلمة واحدة: «مُلُوكاً وَسُوَقاً» الكل يذهبون الملوك والرعايا.

وقال لمزيد من الايضاح: «سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ».

ورغم أنّ البرزخ يطلق عادة الذى يتوسط الدنيا والآخرة كما ورد فى القرآن

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٤١

المجيد: «وَمِنْ وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»[٣٦٩] ولكن البرزخ هنا يعنى القبر بقرينة العبارات التى أعقبتها كما ورد فى الحديث المروى عن الإمام الصادق عليه السلام: «الْبَرْزَخُ الْقَبْرُ»[٣٧٠] طبعاً أحياناً القبر بمعناه المادى من قبيل ما ورد فى هذه الخطبة وأحياناً أخرى بمعناه غير المادى من قبيل ماورد فى الحديث المشهور: «الْقَبْرُ إمّا رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الْجَنَّةِ اوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرانِ»[٣٧١].

ثم قال موضحاً أكثر: «فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ ٣٧٢] قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ، وَضِمَاراً[٣٧٣] لَايُوجَدُونَ؛ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَحْفِلُونَ ٣٧٤] بِالرَّوَاجِفِ ٣٧٥]، وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ ٣٧٦]. غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وَآلَافاً[٣٧٧] فَافْتَرَقُوا».

ما ورد فى هذه العبارات الملهبة إشارة بالظاهر لجسم الأموات، وإن كانت لأرواحهم فى العالم الآخر احساس وخوف ورعب وهمّ وحزن.

نعم ففی لحظة یغمض الإنسان- الیقظ والضاحک أو المهموم المحزون النشط أو الکسل- عینیه عن الدنیا وتنتهی عنده جمیع ظواهر الحیاة حتی یتحول إلی حجرة خالیة من الروح.

ثم أشار الإمام علیه السلام إلی نقطة أخری فقال: «وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِیَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِیَارُهُمْ، وَلٰکِنَّهُمْ سُقُوا کَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۲۴۲

خَرَساً، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً، وَبِالْحَرَکَاتِ سُکُوناً، فَکَأَنَّهُمْ فِی ارْتِجَالِ ۳۷۸] الصِّفَةِ صَرْعَی ۳۷۹] سُبَات ۳۸۰]».

یالها من عبارات بلیغة وموقظة وکلمات مؤثرة وعمیقة! نعم! فقد نسوا حتی کأنّهم ابتعدوا عنّا قروناً وانطفأت مساکنهم وکأنّهم غادروها منذ سنین مدیدة فی حین ربّما تجرعوا کأس المنون فی لحظة وانتهی کلّ شیء.

وأضاف فی عبارات أخری عمیقة المعنی وموقظة: «جِیرَانٌ لَا یَتَأَنَّسُونَ، وَأَحِبَّاءُ لَا یَتَزَاوَرُونَ. بَلِیَتْ بَیْنَهُمْ عُرَا[۳۸۱] التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْاخَاءِ، فَکُلُّهُمْ وَحِیدٌ وَهُمْ جَمِیعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ، لَا یَتَعَارَفُونَ لِلَیْلٍ صَبَاحاً، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً. أَیُّ الْجَدِیدَیْنِ ظَعَنُوا فِیهِ کَانَ عَلَیْهِمْ سَرْمَداً».

نعم کلّ شی لهؤلاء یختلف عن الأحیاء؛ بیوت قبورهم الواحد یلاصق الآخر دون أن یخبر أحدهم بالآخر أو یزوره؛ إنّهم مجتمعون مع بعضهم فی الداخل مع ذلک کأنّهم مقاطعون لأحدهم الآخر؛ إن غادروا الدنیا لیلًا فسوف لن یروا طلوع الشمس قط وإن غادروها نهاراً لم یروا ظلمة اللیل أبداً وفی هذا أنشد الشاعر:

لابُدَّ مِنْ یَوْم بِلا لَیْلَةٍأوْ لَیْلَةٍ تَأتی بِلا یَوْم

ثم أشار الإمام علیه السلام إلی جانب آخر من أحوال الموتی وأرواحهم عند مشاهدة العذاب الإلهی والثواب العظیم فقال: «شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ ۳۸۲] مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آیاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَکِلْتَا الْغَایَتَیْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَی مَبَاءَةٍ[۳۸۳]، فَاتَتْ مَبَالِغَ

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۲۴۳

الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. فَلَوْ کَانُوا یَنْطِقُونَ بِهَا لَعَیُّوا[۳۸۴] بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَایَنُوا».

الواقع أن ما بیّنه الإمام علیه السلام هنا ماجاء صراحة فی الخطبة ۱۱۴ من «نهج البلاغة»: «کُلُّ شَیْءٍ مِنَ الدُّنْیا سَماعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عَیانِهِ وَکُلُّ شَیْءٍ مِنَ الآخِرَةِ عَیانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَماعِهِ».

ودلیل ذلک واضح، فعالم الآخرة غایة فی السعة والکبر وإذا ما قورن بالدنیا کان کالدنیا بالنسبة لعالم الجنین فی رحم امّه.

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۲۴۵

القسم الثالث

اشارة

وَلَئِنْ عَمِیَتْ آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِیهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَکَلَّمُوا مِنْ غَیْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ، فَقَالُوا: کَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ الأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَی، وَتَکَاءَدَنَا ضِیقُ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَکَّمَتْ عَلَیْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَکَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِی مَسَاکِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا؛ وَلَمْ نَجِدْ مِنْ کَرْب فَرَجاً، وَلَا مِنْ ضِیقٍ مُتَّسَعاً! فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِکَ، أَوْ کُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَکَ، وَقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَکَّتْ، وَاکْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الأَلْسِنَةُ فِی أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِی صُدُورِهِمْ بَعْدَ یَقَظَتِهَا، وَعَاثَ فِی کُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِیدُ بِلیً سَمَّجَهَا وَسَهَّلَ طُرُقَ الْافَةِ إِلَیْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَیْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ، لَرَأَیْتَ أَشْجَانَ قُلُوب، وَأَقْذَاءَ عُیُونٍ،

لَهُمْ فِی کُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِی.

الشرح والتفسير: أحوال الأموات!

شرح الإمام عليه السلام فی هذا المقطع من الخطبة، وضع الأموات ومتوسدی القبور ببيان بليغ ومؤثر فقال: «وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ».

ففی الواقع أشار الإمام عليه السلام فی هذه العبارة إلی أمرين: أنّ الاستخبار عنهم ليس

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٤٦

بالطرق العادية (كالبصر والسمع)، بل بطرق أعمق وأقوی من خلال بصيرة القلب وسمع العقل، كما أنّ تكلّمهم ليس بلسان القال، بل بلسان الحال الأعمق آثاراً، فلسان القال قد يشوبه الكذب الذی لا مجال له للسان الحال.

ولنری الآن ما يقولون بهذا اللسان؟ يشير الإمام عليه السلام إلی طبيعة كلامهم: «فَقَالُوا:

كَلَحَتِ ٣٨٥] الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ[٣٨٦]، وَخَوَتِ ٣٨٧] الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ ٣٨٨] الْبِلَی، وَتَكَاءَدَنَا[٣٨٩] ضِيقُ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ ٣٩٠] عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ ٣٩١]».

نعم! يتحدثون أحياناً عن مصير أبدانهم وأخری عن مواضعهم. الأبدان الذابلة بداية، الوجوه العابسة، ومن ثم تحلّلها، وبالتالی تفسّخها واستحالتها إلی تراب، القبور الضيقة والمظلمة والباردة الساكنة وقد سيطرت عليهم أجواء الرعب فسادهم الصمت التام.

ثم قال: «فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِی مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا؛ وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً!».

نعم! فالوجوه النظرة الجميلة والمعروفة والمساكن الواسعة والفارهة التی قلبت رأساً علی عقب بحلول الموت، فتبدلت تلك المنازل الجميلة الفارهة إلی قبور مقفرة مظلمة، وتلك الوجوه الناعمة لم تفقد نضارتها وحيويتها فحسب؛ بل تحولت إلی أشباح موحشة.

ومن هنا قال النّبی الأكرم صلی الله عليه و آله فی كلمة موجزة موقظة: «ما رَأَيْتُ مَنْظَراً إِلّاوَالْقَبْرُ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٤٧

أَفْظَعُ مِنْهُ»[٣٩٢].

ثم سعی الإمام عليه السلام ليكشف لمخاطبيه أوضاعهم فی القبور بعبارات حيّة فقال:

«فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدِ ارْتَسَخَتْ ٣٩٣] أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِ ٣٩٤] فَاسْتَكَّتْ ٣٩٥]، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِی أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا[٣٩٦]، وَهَمَدَتِ ٣٩٧] الْقُلُوبُ فِی صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا، وَعَاثَ ٣٩٨] فِی كُلِ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلیً ٣٩٩] سَمَّجَهَا[٤٠٠] وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ ٤٠١] قُلُوبٍ، وَأَقْذَاءَ[٤٠٢] عُيُونٍ».

صحيح بقبض الروح يتوقف كلّ شی؛ لكنه مادام سالماً فإنّ له القابلية لاستعادة نشاطه لو فرض عودة الروح إليه؛ ولكن يفقد كلّ شیء بعد تعفّنه وتلاشيه، ولذلك صرّح الإمام عليه السلام: توقف الحشرات أسماعهم عن العمل والتراب أبصارهم وألسنتهم عن النظر والنطق.

ثم أكمل كلامه بعبارة بصيغة خلاصة فقال: «لَهُمْ فِی كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ[٤٠٣] لَا تَنْجَلِی».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٤٨

إشارة إلی أنّ مصيبتهم الكبری أنّ هذه الأهوال لا تزول عنهم، بل تتشدد عليهم كلّ يوم؛ وتعاستهم أن ليس أمامهم من مستقبل واضح، وكلما تقادم عليهم الزمان كلّما تآكلت أجسامهم أكثر وبليت عظامهم.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٤٩

القسم الرابع

اشارة

فَكَمْ أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ! يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ! فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ، إِذْ وَطِيءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ فَخَالَطَهُ بَتٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيٌّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ، فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَرَ حَرَارَةً، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلَا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ؛ حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ: فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُوَ لِمَا بِهِ، وَ مُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ. فَبَيْنَا هُوَ كَذلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ. فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٥٠

الشرح والتفسير: عقبات الموت لاتستوعب فى الالفاظ

أشار الإمام عليه السلام هذا المتكلم البليغ الفصيح الفريد، فى آخر مقطع من هذه الخطبة إلى جوانب أخرى من قضية الموت ونهاية الحياة وعقباته ليوجزها فى أربع مراحل فقال أوّلًا: «فَكَمْ أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ[٤٠٤] جَسَدٍ، وَأَنِيقِ ٤٠٥] لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَ ٤٠٦] تَرَفٍ، وَرَبِيبَ ٤٠٧] شَرَفٍ! يَتَعَلَّلُ ٤٠٨] بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ[٤٠٩] إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًّا[٤١٠] بِغَضَارَةِ[٤١١] عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً[٤١٢] بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ!».

وهذا الكلام إشارة دقيقة لمن اعتادوا الحياة الهانئة المرفّهة والعيش الرغيد والنعمة الوافرة، الذين يسعون حين نزول المصائب الخروج من ذلك عن طريق أنواع اللعب وقد نسوا كلّ ما من شأنه إيقاظهم وهدايتهم وهذا بحد ذاته مصيبة عظمى فى أن يلوذ الإنسان بعوامل السكر والجهل والغفلة؛ لكن الأحداث المريرة لاتنساهم، وبالتالى فإنّ الأرض سوف تبتلعهم.

نعم، «فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ ٤١٣]؛ إِذْ وَطِيءَ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٥١

الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ ٤١٤] وَنَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ ٤١٥] مِنْ كَثَبٍ ٤١٦] فَخَالَطَهُ بَتٌّ ٤١٧] لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيُ ٤١٨] هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ».

إشارة إلى أنّ هؤلاء الجهال مهما سعوا للتناسى إزاء المصائب والضحك على الدوام على الدنيا فإنّ الدنيا هى الأخرى تضحك عليهم؛ ولكن سرعان ما يباغتهم الموت فتفنى قواهم وطاقاتهم الواحدة تلو الأخرى، فالعين تعشو وتضعف، والأذن تثقلّ والعظام

تنحف والأعصاب تنهك وتعجز، وتهجم عليهم أنواع الأمراض فيدق العالم فى آذانهم أجراس الموت.

فقد أشار الإمام عليه السلام هنا فى الواقع إلى انحلال قوى الإنسان أوّلًا، وظهور الأمراض إثر ذلك والتى تعدّ الخطوة الاولى نحو الموت.

ثم اتّجه صوب الخطوة الثانية فى رجوعه دائماً إلى الأطباء وتناول أنواع الدواء وانعدام تأثيرها فقال: «فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ[٤١٩]، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ[٤٢٠] حَرَارَةً، وَ لَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلَا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ ٤٢١] لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٥٢

نعم! فإن حلّ الأجل زالت اسباب الصحة والسلامة ولم يعد هنالك من أثر للدواء، وعادة ماتكون نتيجته معكوسة فيعيى الأطباء وليس للمريض من سبيل سوى السير إلى الموت.

ما ورد هنا فى عبارات الإمام الدقيقة إشارة للتقسيمات التى كانت متداولة فى الطب القديم حيث كان الأطباء آنذاك يعتقدون بأربعة أنواع من الأمزجة: المزاج الحار، المزاج البارد، المزاج الرطب، والجاف، وهنالك أربعة أمزجة مركبة من زاوية أخرى: المزاج الحار والرطب (الذى يسمى الدموى) والمزاج الحار والجاف (الصفراوى) والمزاج البارد والرطب (البلغمى) والمزاج البارد والجاف (السوداوى).

طبعاً هذه الأمزجة إن كانت فى حد الاعتدال لاتقدح بالصحة، ولأصحابها جميعاً باختلافهم الكثير حياة طيبة؛ ولكن إن غلبت إحدى هذه الأمزجة (الحرارة، البرودة، الرطوبة والجفاف) فلا مناص من التعامل بالعوامل المخالفة لإعادته إلى اعتدال المزاج؛ فالحرارة تسكن بالبرودة والبرودة تحرك بعوامل الحرارة والرطوبة توازن بالجفاف والجفاف يعدل بالرطوبة.

كل هذا التأثير حين لا يختل الأمر وإلّا فليس هنالك أدنى تأثير.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى المرحلة الثالثة وهى مرحلة اليأس من عودة السلامة وانتظار نهاية العمر عن قريب: «حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُه ٤٢٢]، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ٤٢٣]، وَتَعَايَا[٤٢٤] أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ».

وكأنّ الإمام عليه السلام كان حاضراً عند هؤلاء المرضى واسرهم فهو يتابع عن كثب حالاتهم فالطبيب يظهر عجزه والممرض يبدى تعبه واسرته لا تدرى ما تقول للناس، إذا قالت: صحته أحسن، فذلك غير صحيح، وإذا قالت: أسوأ، فهذا متعب فلا مناص لها من الصمت وتجيب بنظرات العيون المليئة باليأس.

ثم قال عليه السلام: «وَ تَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَ ٤٢٥] خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ: فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُوَ لِمَا بِهِ،

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٥٣

وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى ٤٢٦] الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ».

وأخيراً بيّن الإمام عليه السلام رابع وآخر مرحلة حياة هذا المريض. حين يكون على اعتاب الموت والتأهب لسفر الآخرة ومغادرة هذا العالم فقال: «فَبَيْنَا هُوَ كَذلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ».

ثم قال مواصلًا كلامه: «فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَ ٤٢٧] عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ!».

نعم! وفى هذه الحالة حيث يعلم بحلول أجله ونهاية عمره يغط فى التفكير فى الأموال التى أخفاها أو الديون على الآخرين ويريد إبلاغها الورثة أو يريد أن يحدّث أهله عن قضايا الدفن وموضع القبر فلا يسعه الكلام.

أشار ابن أبى الحديد هنا إلى قصة فيها عبرة حيث أنّه شهدها آنذاك وهى أنّ أحدهم حضرته الوفاة فأراد الوصيّة فانعقد لسانه فأشار

إلى القلم والدواة ليكتب فاضطربت يده فكتب كلاماً غير مفهوم حتى توفى ۴۲۸].

واختتم الإمام عليه السلام خطبته العظيمة الموقظة بهذه العبارة فقال: «وَ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ ۴۲۹] هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا».

نقل المرحوم العلّامة التسترى فى شرحه لنهج البلاغة حديثاً عن كتاب «الكافى» عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنّ فِتيةً مِنْ أولادِ مُلوكِ بَنى إسرائيل كَانُوا مُتعبِّدينَ وَكانتْ العِبادةُ فِى أولادِ بنى‌اسرائيل، وإنّهم خَرجُوا يَسيرونَ فِى البِلادِ لِيعتَبِروا فَمرّوا بِقَبرٍ عَلى ظَهرِ الطّريقِ قَد سفى عِليهِ السّافى، لَيس يُبيّن مِنهُ إلّا

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۵۴

رَسمهُ، فَقالُوا: لَو دَعونا اللَّهَ السّاعة فَينشُر لَنا صاحِبَ هذا القَبرِ، فَسألناهُ كَيفَ وَجد طَعمَ الموتِ، فَدعوا اللَّهَ ... فَخرجَ مِن ذَلكَ القَبرِ رَجلٌ أبيضُ الرأسِ واللّحيةِ يَنفُضُ رَأسهُ مِنَ التُرابِ فَزعاً شاخِصاً بَصرهُ إلى السّماءِ، فَقالَ لَهم: ما يُوقفُكُم عَلى قَبرى؟

فَقالُوا: دَعوناكَ لِنسألكَ كَيف وَجدتَ طَعم الموتِ، فَقالَ: لَهُم لَقد سَكنتُ فِى قَبرى تِسعة وَتسعينَ سنَة ما ذَهبَ عَنّى ألمُ الموتِ وَكربُهُ وَلا خَرج مِرارةُ طعمِ الموتِ مِن حَلقِى ...»[۴۳۰].

تأمّل: ممرّ يرده الجميع

قيل وقلنا كراراً إنّ الإنسان إن شكّ فى كلّ شىء ليس له أن يشك فى أنّه سيغادر يوماً هذه الدنيا ويشرب راغباً أو مرغماً كأس المنون. كما أنّ كلّ جنين مهما كان شكله وصورته لابدّ أن يمر يوماً برحم الام ويطأ هذه الدنيا، وكل فاكهة لابدّ يوماً أن تسقط من الشجرة وتقطف. والإنسان شاء أم أبى لابدّ أن يشهد الموت.

فإن كان الأمر كذلك فلماذا لا يرغب البعض بسماع اسم الموت؟ لم يسعون لنسيان هذه الحقيقة التى لاتنساهم؟!

والأهم من كلّ ذلك مقدّمات الموت ونتائجه؛ فالحالات العجيبة التى رسمها المولى أميرالمؤمنين على عليه السلام فى هذه الخطبة بتلك الدقّة كصورة حيّة، وصدى الموت الذى اسمعه كل إنسان مستعد لمغادرة هذه الدنيا ولاسيما من حوله، حيث يبدو أنّ الهدف الأصلى للإمام هو إيقاظ الغافلين وهزّ الثملين من الغرور والأنانية والعجب والأهواء، والحق والإنصاف أنّ الإمام عليه السلام أعطى الكلام حقّه بهذا الخصوص وقال كلّ ماينبغى أن يقال بحيث لا يقرأه غافل أو جاهل إلّاأيقظه وبلغ منه تأثيره.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۵۵

قال الإمام عليه السلام فى حديث آخر: «ما رَأَيْتُ إيماناً مَعَ يَقينٍ أَشْبَهُ مِنْهُ بِشَكٍّ عَلى هذَا الإِنْسانِ، إِنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ يُوَدِّعُ إِلَى الْقُبُورِ وَيُشَيِّعُ، وَإِلى غُرُورِ الدُّنْيا يَرْجِعُ وَعَنِ الشَّهْوَةِ وَالذُّنُوبِ لا يُقْلِعُ»[۴۳۱].

بالمقابل نعرف أفراداً هبوا للقاء الموت وابتسموا للأجل ولم يكن لسكرات الموت عندهم من معنى وكأنّهم كمن يتطلع لعزيز فكانت هذه حالتهم أواخر عمرهم. والنموذج الواضح لذلك شخص الإمام عليه السلام الذى قال فى كلامه المعروف فى «نهج البلاغة»: «لَابْنُ أَبِى‌طَالِب آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ امِّهِ»[۴۳۲].

جدير ذكره أنّه ورد فى الأحاديث الإسلاميّة أن موت المؤمن الصالح يختلف عن موت الآخرين. قال رجل للإمام الصادق عليه السلام: «صِفْ لَنَا الْمَوْتَ» قال: «لِلْمُؤْمِنِ كَأَطْيَبِ طِيبٍ يَشُمُّهُ فَيَنْعَسُ لِطِيبِهِ وَيَنْقَطِعُ التَّعَبُ وَالأَلَمُ عَنْهُ وَلِلْكَافِرِ كَلَسْعِ الأَفَاعَى وَلَدْغِ الْعَقَارِبِ وَأَشَدُّ»[۴۳۳].

لا شك فى أنّ عدم تعلق المؤمن بزخارف الدنيا، وبالعكس تهافت الملحدين عليها هو الذى يؤدى إلى الاختلاف المذكور وإن كان هنالك تأثير فى هذا الأمر لالطاف اللّه ومشاهدات المؤمن بالنسبة للنعم التى تنتظره وبالعكس مشاهدات الكافر والعذاب الذى ينتظره.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۵۷

الخطبة ٢٢٢

اشارة

قالَهُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ: «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۴۳۴]* رِجَالٌ لَّاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّه ۴۳۵]»[۴۳۶].

نظرة إلى الخطبة

هنالك عدّة أقسام مهمّة فى هذه الخطبة:

القسم الأوّل: بيّن الإمام عليه السلام أهميّة ذكر اللَّه فى كلّ شىء وخاض فى آثارها على روح للإنسان ونفسه ليشرحها بعبارات مؤثرة.

وأشار فى القسم الثانى إلى حملة الأذكار فى كلّ عصر ومصر ومواعظه فى كيفية انقاذ عباد اللَّه من الانحراف ويضيىء طرقهم بمصابيح نوره البينات.

وجرى الكلام فى القسم الثالث عن صفاتهم وتوليهم عن زخارف الدنيا

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٥٨

واجتناب المعصية ومناصرة العدل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وشرح فى القسم الرابع أحوالهم فى القيامة عند نشر صحف الأعمال وحشر العباد للحساب والحديث عن حسن عاقبتهم والنتائج الباهرة لأعمالهم الصالحة.

وأمر فى القسم الخامس مخاطبيه بحساب أنفسهم وإصدار الحكم على أعمالهم.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٥٩

القسم الأوّل

اشارة

إِنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَ تُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ للَّهعَزَّتْ آلَاؤُهُ فِى الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِى أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِى فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِى ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّه، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِى الْفَلَوَاتِ.

مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذلِك مَصَابِيحَ تِلْك الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْك الشُّبُهَاتِ.

الشرح والتفسير: أدلة السائرين على الطريق

لابدّ بادئ الأمر من معرفة تفسير آية سورة النور ليتضح الكلام العميق للإمام عليه السلام فى شرحه للموضوع.

تحدث القرآن المجيد فى الآية ۳۵ من سورة النور: «اللَّه نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...» عن نور اللَّه وشرحه بمثال لطيف يتضمن العديد من الأمور التعليمية ثم قال فى الآيات التالية: «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ»[۴۳۷].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۶۰

من الواضح أنّ هؤلاء الرجال بالدرجة الاولى هم الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام ومن بعدهم المخلصين السائرين على نهجهم.

ونخوض بعد هذه الإشارة الاجمالية فى شرح الخطبة، قال الإمام عليه السلام فى مستهل هذه الخطبة: «إِنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ[۴۳۸] جِلَاءً[۴۳۹] لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ[۴۴۰]، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ[۴۴۱]، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ».

نعم! هنالك آثار عجيبة للذكر إن اقترن بالفكر. فإذا ذكر الإنسان اسم اللَّه بعظمة وعدد صفاته الجماليّة والجلاليّة من علم وقدرة وسمع وبصر ومقام الرحمانيّة والرحيميّة ومراقبته بالنسبة لعباده، زالت عن بصيرته حجب الغفلة ورأى الحق واضحاً، وتخمد لجاجة الأهواء والشهوات فيسمع باذن روحه خطاب أولياء اللَّه والدعاة إلى مرضاته ونتيجة ذلك الانقياد التام لأوامر اللَّه.

ذهب بعض الشراح أو احتملوا أنّ المراد من الذكرفى العبارة، القرآن المجيد بقرينة ما أورده القرآن بشأنه فقال: «وَهذَا ذِكْرٌ مُبَارَك أَنزَلْنَاهُ»[۴۴۲] ولكن الحق أنّ للذكر مفهوم عام، أحد مصاديقه البارزة الآيات الشريفه للقرآن.

ثم قال الإمام عليه السلام: «وَ مَا بَرِحَ [۴۴۳] اللَّه عَزَّتْ آلَاؤُهُ فِى الْبُرْهَةِ[۴۴۴] بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِى

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۶۱

أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِى فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِى ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّه، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِى الْفَلَوَاتِ ۴۴۵]».

ربّما هذا التعبير إشارة لأوصياء الأنبياء المتواجدين طيلة الفترات الزمنية ويستلهمون الحقائق الربانية عن طريق الإلهامات القلبيّة ويوصلونها إلى العباد.

كما يمكن أن تكون إشارة إلى الصالحين والمخلصين والعارفين والبصيرين غير الأنبياء والأوصياء الذين يعيشون بين الناس فى كلّ زمان؛ فهؤلاء أيضاً يقفون على الصراط المستقيم بالإلهام الغيبى والتأييد الربّانى ويسعون لهداية الآخرين، ولعلها تشمل الفريقين.

والتعبير ب «أَدلّة» جمع دليل إشارة إلى ما كان سائداً فى الأسفار فى الأزمنة الماضية، فلم تكن الطرق مشخصة آنذاك كما هى عليه اليوم، فيمر بها المسافر ويصل المقصد، ومن هنا فإنّ القوافل تحمل معها عارفين بالطريق حتى لايضلوا الطريق ويطلق عليهم «الأدلة».

فهؤلاء الأولياء فى الحياة الدنيا كأدلة الطريق الذين يهدون قافلة البشريّة من الضلال وينقذونهم من الهلكة.

ثم قال عليه السلام: «مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ».

نعم! فهؤلاء يراقبون بنى جنسهم على الدوام؛ فيشجعون السائرين على الدرب ويشدون عزائمهم ويحذرون المنحرفين ويذمونهم ويصرخون بهم حتى لا يواصلوا طريق الانحراف فيهلكوا.

ثم قال فى استنتاج لما ورد فى العبارات السابقة: «وَكَانُوا كَذلِك مَصَابِيحَ تِلك الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْك الشُّبُهَاتِ».

نعم! فهنالك الظلمات المعتمة فى مسيرة الحياة الدنيا والطرق المضلة وكلاهما خطر على السالكين، ووجود أولئك الأولياء مصابيح للدجى والأدلة على ذلك الطريق الخطير.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۶۲

تأمّلان

۱. ما المراد من أيّام اللَّه؟

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة إلى أنّ أولياء اللَّه يذكّرون الناس بأيّام اللَّه. طبعاً كلّ الأيّام هى أيّام اللَّه وكل موضع بيته وفى نفس الوقت ليس له يوم ولا بيت فهو اسمى من الزمان والمكان؛ ولكن كما سميت الكعبة كونها اعظم مركز للعبادة «بيت اللَّه»، فإنّ هناك بعض الأيّام الخاصّة التى تلألأت لما تحمله من حوادث مهمّة.

قال البعض: «أيّام اللَّه» إشارة إلى غلبة الأنبياء لجيوش الشرك والكفر. وقال البعض الآخر: أيّام العبادة كأيّام الشهر المبارك وأيّام الحج، ما ورد فى تاريخ بنى إسرائيل وموسى أنّه أمر أن يذكر بنى إسرائيل بأيّام اللَّه فى إشارة إلى يوم النصر على فرعون والنجاة من البحر وما شابه ذلك، ولكن جاء فى حديث الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال فى تفسير «أيّام اللَّه»: «يُرِيدُ بِأَيّامِ اللَّه سُنَنَهُ وَأفْعالَهُ فى عِبادِهِ مِنْ إنْعام وَانْتِقام»[۴۴۶].

وطبق هذه الرواية فإنّ كلّ يوم يلمس فيه العبد نعمة من نعم اللَّه أو ينتصف فيه من الأعداء إنّما يعتبر من أيّام اللَّه.

على كلّ حال فإنّ ذكر ايام اللَّه عامل تكامل الإيمان وآثاره حسن الشكر والتوجه إلى اللَّه.

حتى أيّام البلاء الربّانى عدّت فى الرواية من أيّام اللَّه كما ورد عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «أَيّامُ اللَّه نَعْماؤُهُ وَبَلاؤُه وَمَثُلاتُهُ سُبْحانَهُ»[۴۴۷]. لا شك فى أنّ لمفردة أيّام اللَّه فى هذه الخطبة مفهوم عام يشمل كلّ ما ذكر سابقاً.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۶۳

۲. الإلهامات الغيبية

العبارة «عِبادٌ ناجاهُمْ فى فِكْرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فى ذاتِ عُقُولِهِمْ ...» أشار فيها الإمام عليه السلام إلى رجال ألقى اللَّه فى قلوبهم نور الهدى عن طريق النجوى الفكرية والإلهامات القلبيّة وطرح عنهم حجب الجهل والظلمة فسعوا بما يتلقّون من هدى لهداية الخلق وإرشاد ضالى سبيل الإيمان والتقى.

فهل هؤلاء هم الأوصياء والأئمّة المعصومون عليهم السلام الذين يتلقون الحقائق من عالم الغيب عن طريق الإلهام فى فترات بعثة الأنبياء، أم يشمل الصالحين من الأفراد الذين بلغوا قمة الورع والتقوى؟

أى أنّ قلوبهم مرتبطة بعالم الغيب كما هو به مضمون «إِنْ تَتَّقُوا اللَّه يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً»[۴۴۸]. ومضمون «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»[۴۴۹].

واللَّه لا يتركهم لوحدهم فى الشدّة كأُم موسى عليه السلام: «وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ...»[۴۵۰] حيث ألهمها مسير ولدها، فكيف يمكن أن يحرم من هذا الفيض سائر الصالحين، ومن هنا يعتقد بعض الأعلام بأنّ كلّ عمل مهم يصدر من تقى، أو اكتشاف يتوصل إليه عالم، إنّما يتمّ فى ظل هداية اللَّه التكوينيّة والإلهاميّة.

فروح القدس الذى يعين بعض الأفراد مثل حسان بن ثابت والكميت حين إنشادهم لتلك الأشعار الرفيعة وينطق الشعر على ألسنتهم ۴۵۱] فلِمَ لا يمدّ سائر العشاق.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۶۵

القسم الثانى

اشارة

وَإِنّ لِلـذِّكْرِ لِاهْلًا أَخَـذُوهُ مِنْ الـدُّنْيَا بَـدَلًا، فَلَم تَشْـغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّه فِى أَسْـمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذلِك، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِى طَولِ الْاقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَـفُوا غِطَاءَ ذلِك لِاهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ.

الشرح والتفسير: أولياء اللّه وأهل الذكر

لما فرغ الإمام عليه السلام من بيان آثار ذكراللّه فى جلاء القلوب وسعة معطياته على روح الإنسان، خاض فى شرح أهل الذكر بالحق، وتطرق إلى صفاتهم الواحدة تلو الأخرى فقال «وَ إِنّ لِلذِّكْرِ لِاهْلًا أَخَذُوهُ مِنْ الدُّنْيَا بَدَلًا».

إشارة إلى أنّ ذكر اللّه يعصم من الغرور بالماديات الزائلة للدنيا التى عبرت عن حبّها الأحاديث الإسلاميّة أنّها «رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»[٤٥٢] ومصدر جميع المعاصى.

طبعاً هـذا لا يعنى أنّ هؤلاء كالرهبان الملازمين للـدير أو المقاطعين للـدنيا الـذين يولون أدبارهم للحياة الاجتماعيـة (بقرينـة العبارات القادمة) بل المراد أنّ هؤلاء لا تأسرهم مُغريات الدنيا.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٦٦

أمّا ما المراد ب «الذكر» و «الأهل»؟ هنالك تفسيران رئيسيان: أحدهما خاص والآخر عام؛ التفسير الخاص: أنّ المراد من الذكر، النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أو القرآن وأهل الذكر «أهل‌البيت» والأئمّة المعصومون عليهم السلام والصفات التى وردت بعد هذه العبارة فى أهل الذكر تنطبق عليهم بصورة تامة.

ومفهومه العام يشمل جميع العلماء الأتقياء والمؤمنين الكمل، والصفات الواردة بعدها تنطبق عليهم.

وليس هنالك مانع من الجمع بين المعنيين؛ فمفهوم الجملة عام وأهل البيت من مصاديقها البارزة وأنصع نماذجها.

ثم بين الإمام عليه السلام فى مواصلته لكلامه آثار ذكر اللّه لدى هؤلاء ضمن خمس صفات فقال: «فَلَم تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ».

لا أنّهم لم يكن لـديهم بيع وتجارة ولم يمارسوا الأنشطة الاقتصاديـة والاجتماعيـة، بل كانوا يخطون خطوات مؤثرة فى هـذا المجال؛ ولكن هذه الأنشطة الاقتصادية تجعلهم يغفلون عن ذكر اللّه ويتهالكون فى الاقبال على الدنيا.

أمّا ما الفرق بين التجارة والبيع؟ يقال أحياناً النسبة بينهم العموم والخصوص المطلق وذكر البيع بعد التجارة من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لأنّ البيع أحد أنواع الفعاليات الاقتصادية.

كما يحتمل أن تكون التجارة إشارة إلى الفعاليات الاقتصادية المستمرة ويشمل البيع الفعاليات المحدودة والزمانية؛ أى أنّ أهل الذكر لا يفقدون هذا ولا ذاك وفى نفس الوقت يتجلى فيها ذكر اللّه بصورة دائمة.

ثم أشار إلى باقى صفاتهم فقال: «يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ [٤٥٣] بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّه فِى أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٦٧

الجملة «يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ» إشارة إلى أنّ ذكر اللّه وآثاره المباركة ليست مرتبطة بيوم أوبضعة ايام من عمرهم، بل يشمل أيّام حياتهم منذ الشباب حتى الكهولة والشيخوخة.

وتشير العبارات بعدها إلى أنّهم لا يتخلون قط كالمتقوقعين عن المسؤوليّات الاجتماعيـة؛ بل نشطون للغايـة فى ميدان إرشاد الجاهل وتنبيه الغافل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبالنظر إلى أنّ العبارة وردت بصيغة الفعل المضارع والفعل المضارع يدل على الاستمرار، فهى إشارة إلى أنّ أعمالهم الصالحة هذه دائمية.

جدير ذكره أنّ الإمام بيّن هنا أنّهم يأمرون بالمعروف ويأتمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون عنه، كما قال الإمام عليه السلام فى الخطبة ١٧٥: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى، وَاللَّه، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا!».

ثم خاض الإمام عليه السلام فى مزيد من الشرح بخصوص أحوال أولياء اللَّه وأهل الذكر فقال: «فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذلِك».

نعم! فهؤلاء يرون هذا العالم بأعينهم الباصرة النافذة عالم ما بعد الموت والقيامة والبرزخ ويشاهدون مصير الأخيار والأشرار.

ثم قال فى ايضاح ذلك الكلام: «فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِى طُولِ الْاقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا[۴۵۴]».

ثمّ بيّن نتيجة هذه المكاشفة الروحية: «فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذلِك لِاهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ».

لم يعجز أهل الدنيا العاديون عن إدراك أحوال البرزخ والآخرة بينما يشاهدهما

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢۶٨

أولياء اللَّه أهل الذكر بل يرون فيها أنفسهم؟

لأنّ أرواح أهل الدنيا معلقة بالدنيا فألقت حجاباً بينهم وبين العوالم الأخرى؛ أمّا أهل الذكر الأطهار المتحررون من تلك التعلّقات والذين جلوا أرواحهم بدوام التفكير والعبادة، أزيلت عن أعينهم تلك الحجب فانعكست فيها صور حقائق عالم البرزخ والقيامة.

هؤلاء حملة الرسائل الإلهيّة من ذلك العالم إلى هذا العالم، الرسائل التى تؤدى إلى يقظة الغافلين وإبصار المكفوفين.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢۶٩

القسم الثالث

اشارة

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِك فِى مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الْاسْتِقْلَالِ بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجاً، وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً، يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَام نَدَم وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدىً، وَمَصَابِيحَ دُجىً، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِى مَقْعَدِ اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِىَ سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ. يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ. لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَى اللَّه مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ.

فَحَاسِبْ نَفْسَك لِنَفْسِك، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُك.

الشرح والتفسير: مصير السائرين على الصراط

رسم الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة صورة دقيقة لحال أهل الذكر وأولياء اللَّه، كيف يحاسبون أنفسهم ويتلافون ما بدر منهم فقال: «فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ ۴۵۵] لِعَقْلِك فِى

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٧٠

مَقَاوِمِهِمْ ۴۵۶] الْمَحْمودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ ۴۵۷] أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ

أَمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ۴۵۸] ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الْاسْتِقْلَالِ بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجاً[۴۵۹]، وَتَجَاوَبُوا[۴۶۰] نَحِيباً[۴۶۱]، يَعِجُّونَ ۴۶۲] إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ».

ولما فرغ الإمام عليه السلام من ذكر حالات أولياء اللّه كيف يراقبون أنفسهم ويحاسبون أعمالهم وما يبدون من ردود أفعال إزاء ما يبدر منهم من تقصير ويتأوّهون إلى اللّه خلص إلى نتيجة ذلك فقال: «لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدىً، وَمَصَابِيحَ دُجىً ۴۶۳]، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقْعَدِ اطَّلَعَ اللَّه عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ».

هذا القسم من كلام الإمام فى الواقع جواب شرط للجملة السابقة: «فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ ...». ذكر الإمام عليه السلام هنا خمس صفات أو نتيجة مهمّة لمراقباتهم تفيد الهدى وكشف الدجى. إشارة إلى أنّهم ليسوا كالزهاد المعتزلين قط الذين لا يرون إلّا أنفسهم، بل هم منقذو الغرقى الذين يسعون لإنقاذ الغرقى فى بحر المعاصى، وأنّهم على درجة من العلو والرفعة من حيث المقام والمكانة بحيث تحفهم الملائكة وتقوم

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۷۱

على خدمتهم كما ورد فى القرآن: «الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّه ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ»[۴۶۴].

وقد عمهم الأمن والسكينة بمضمون «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ»[۴۶۵]. وتنتظرهم بمضمون «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ»[۴۶۶] مقامات لا توصف من الفضل والرحمة الإلهيّة.

حقاً حين يقرأ الإنسان هذه الكلمات العميقة المعنى كيف يبلغ أولياء اللّه فى ظل العبودية مقاماً لا يرى سوى اللّه يستغرق فى التفكير فى عظم الاستعداد الذى يملكه ولو عرف قدره وفجر استعداده.

ثم خاض فى جانب آخر من أحوال أهل الذكر فى إرتباطهم باللّه وعبادته فى الخلوات فقال عليه السلام: «يَتَنَسَّمُونَ ۴۶۷] بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَى ۴۶۸] قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ».

إشارة إلى أنّهم كلما جدّوا فى الطاعة والعبودية شعروا بالتقصير أزاء عظمة اللّه، ومن هنا يتجهون إليه على الدوام ويلتمسون السكينة عن طريق العفو، ومن جانب آخر فإنّهم لايعوّلون قط على أعمالهم، بل يتكلون على فضل اللّه فيثقل الهم قلوبهم ويكشف ذلك الهم عيونهم الباكية.

ثم قال عليه السلام: «لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللَّه مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ ۴۶۹]، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ».

إشارة إلى أنّهم لا يتعلقون بأعمالهم وكل أملهم بكرم اللّه.

يقرعون كلّ باب ويأتون بكلّ عمل يعتقدون بأنّه سبب لمرضاة اللّه واستنزال

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۷۲

رحمته.

إنّهم يعيشون فى الواقع بين الخوف والرجاء دائماً وهو أفضل حالات المؤمن، الخوف من التقصير والأمل بفضل اللّه.

وفى الختام تغير لحن كلام الإمام عليه السلام عن شرح حالات أهل الذكر ليتطرق إلى موعظة عامة فقال: «فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ».

إشارة إلى أنّه ينبغى عليك أن تحاسب نفسك هنا قبل أن تحاسب فى البرزخ والقيامة من جانب الملائكة فإن بدر منك خطأ تلافيته وإن كان لك عمل صالح حمدت اللّه عليه؛ وليس لك أن تدقق فى أعمال الآخرين الصغيرة والكبيرة فإنّ لهم حسيباً غيرك.

فهنالك فى الواقع رسالتان فى العبارة الأخيرة؛ إحداهما، رسالة الحديث المعروف «حاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحاسَبُوا»[۴۷۰].

والأخرى، رسالة الآية الشريفة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ امَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ»[۴۷۱].

تأمّل: ذكر اللّه والذاكرون

كل ما ورد فى هذه الخطبة الغراء والعظيمة المضمون كان شرحاً لعبارة من آية فى القرآن الكريم وهى أنّ أولياء اللّه لايغفلون قط عن ذكر اللّه لمتاع الدنيا، فنور اللّه يسطع فى بيوتهم وهم كالنجوم التى تهدى الخلق فى ظلمات البر والبحر.

بغض النظر عن أنّ للذكر ثلاث مراحل: الذكر القلبى، واللسانى والذكر بالعمل، فهنالك مصاديق متفاوتة لكل مرحلة كالنور الذى يشمل نور الشمس ونور الشمعة.

ويكون أحياناً هذا الذكر محدوداً بحيث لايضيئ اكثر من الوسط، وأخرى على

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۷۳

درجة من العمق والسعة بحيث يضيئ العالم.

وأولى القرآن أهمّيّة فائقة للذكر والذاكرين. فقد خاطب اللّه تعالى موسى عليه السلام:

«أَقِمِ الصَّلوةَ لِذِكْرِى»[۴۷۲].

وقال أيضاً: «إِنَّ الصَّلوةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّه أَكْبَرُ»[۴۷۳].

وقال بخصوص الخمر: إنّه نهى عن الخمر كونه يصدّ عن ذكر اللّه: «وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّه»[۴۷۴].

كما يقول إن نفوذ الشيطان يبدأ حين يغفل الإنسان ذكر اللّه: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ»[۴۷۵].

وأوجز تعالى كلّ عظمة القرآن فى عبارة فقال: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ»[۴۷۶].

وقال تعالى: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»[۴۷۷].

وأخيراً وصف ذكر اللّه أنّه وسيلة لاطمئنان القلوب: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»[۴۷۸].

ورغم أنّ للذكر معانى مختلفة فى هذه الآيات؛ لكنها تشترك جميعاً فى أمر هو أنّه يسوق الإنسان إلى اللّه، يجرى من القلب على اللسان ويتسع من اللسان لجميع أعمال الإنسان. وكأنّ جميع الأعضاء تذكر اللّه بصوت بليغ فى كلّ الأعمال.

كما وردت الأهمّيّة الفائقة للذكر والذاكرين فى الروايات:

منها ماروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما مِنْ شَىْءٍ إِلّاوَلَهُ حَدٌّ يَنْتَهى إِلَيْهِ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۷۴

إِلّا الذِّكْرَ فَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ يَنْتَهى إِلَيْهِ»[۴۷۹].

كما ورد عنه عليه السلام أيضاً: «مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أَظَلَّهُ اللَّه فى جَنَّتِهِ»[۴۸۰].

ويستفاد من بعض الروايات أنّ ذكر اللّه يدفع أنواع البلاء. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الصَّواعِقَ لا تُصيبُ ذاكِراً»[۴۸۱].

بل أبعد من ذلك أنّه عليه السلام قال: «ما مِنْ طَيْرٍ يُصادُ إِلّابِتَرْكِ التَّسْبيحِ وَما مِنْ مالٍ يُصابُ إِلّابِتَرْكِ الزَّكاةِ»[۴۸۲].

زبدة الكلام أنّ الآيات والروايات فى ذكر اللّه وأهمّيته وآثاره على الحياة المادية والمعنوية والدنيا والآخرة كثيرة، وما ورد سابقاً هو جانب من ذلك.

ونختتم هذا الكلام بروايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام التى بيّنها فى تتمّة حديث، عدم محدودية الذكر فقال: «كانَ أبى كَثيرَ الذِّكْرِ لَقَدْ كُنْتُ أَمْشى مَعَهُ وَإِنَّهُ لَيَذْكُرُ اللَّه وَآكُلُ مَعَهُ الطَّعامَ وَ إِنَّهُ لَيَذْكُرُ اللَّه وَلَقَدْ كانَ يُحدِّثُ الْقَومَ وَما يَشْغُلُهُ ذلِكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّه ...»[۴۸۳].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۷۵

الخطبة ٢٢٣

اشارة

قالَهُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ:

«يَا أَيُّهَا الْانسَانُ مَا غَرَّك بِرَبِّك الْكَرِيمِ ۴۸۴]»[۴۸۵]

نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة الواردة فى تفسير الآية الشريفة: «يَا أَيُّهَا الْانسَانُ مَا غَرَّك بِرَبِّك الْكَرِيمِ» من عدة أقسام:

القسم الأوّل: تساءل الإمام ووبّخ صحبه ومخاطبيه من أجل إيقاظهم وبثّ الوعى بين صفوفهم فإلى متى هم نائمون ولم لا يفيقون من هذا السبات؟ لمَ لا- يرحمون أنفسهم وينقذونها ممّا تغط به فى مستنقع الذنوب والمعاصى ويطببون جروحهم وآلام قلوبهم التى أفرزتها الآثام.

ودعا فى القسم الثانى هذا الإنسان الهارب لمحاكمة نفسه. فيذكرها بنعم اللّه فلو

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۷۶

تفرغ لمحاكتها لأدان نفسه قطعاً.

وتحدث فى القسم الثالث عن تقلب أوضاع الدنيا والاعتبار بحياة الماضين ومماتهم. وحذّر فى آخر قسم ببضع عبارات موجزة فناء الدنيا وقيام القيامة وحضور محكمة العدل الإلهى وغياب الأعذار هناك.

ثم جعل كلّ هذه التذكيرات والتحذيرات وسيلة لخرق حجاب الغرور الذى أشار إليه فى الآية المذكورة.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۷۷

القسم الأوّل

اشارة

أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا الْانْسَانُ، مَا جَرَّأَك عَلَى ذَنْبِك، وَمَا غَرَّك بِرَبِّك، وَمَا أَنَّسَك بِهَلَكَةِ نَفْسِك؟ أَمَا مِنْ دَائِك بُلُولٌ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِك يَقَظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِك مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِك؟ فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِىَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلِى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِى رَحْمَةً لَهُ! فَمَا صَبَّرَك عَلَى دَائِك، وَجَلَّدَك عَلَى مُصَابِك، وَعَزَّاك عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِك وَهِىَ أَعَزُّ الأَنْفُسِ عَلَيْك! وَكَيْفَ لَا يُوقِظُك خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ! فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِى قَلْبِك بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِى نَاظِرِك بِيَقَظَةٍ، وَكُنْ لِلَّه مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آنِساً.

الشرح والتفسير: الرحمة بالنفس؟

قال الإمام عليه السلام فى مستهل الخطبة على ضوء الآية المذكورة «أَدْحَضُ ۴۸۶] مَسْؤُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ ۴۸۷] جَهَالَةً بِنَفْسِهِ».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع إلى هذه النقطة وهى أنّ اللَّه يصرّح فى هذه الآية:

لقد أفاض اللَّه عليك كلّ هذا الكرم بالنعم المادية والمعنوية من رأسك إلى أخمص قدمك ومازلت مغروراً وعاصياً ومتمرداً؟! فليس لديك أدنى حجة وليس لديك من

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۷۸

عذر وعملك يدل على أنّك لم تعرف نفسك.

ومن هنا يتضح خطأ من ذهب إلى أنّ صفة الكريم فى الآية لتلقين المخاطب بأن يقول فى الجواب: «غرّنى كرمك»، بل يريد أن يقول بالعكس رغم كلّ هذا الكرم واللطف مع كلّ هذا العصيان المخجل الذى يفتقر إلى العذر والحجّة، لذلك ورد فى الحديث النبوى أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله لما تلا الآية قال: «غرّهُ جَهلُهُ»[۴۸۸].

ثم خاض الإمام عليه السلام فى شرح هذا الكلام ليسلط بهذه العبارات سوط ملامته وتوبيخه على جسد أرواحهم الهامدة علّهم يفيقون ويعودوا عن غيهم فقال: «يَا أَيُّهَا الْانْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِك، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّك، وَمَا أَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِك؟».

إشارة إلى أنّ غريزة حبّ الذات فى الإنسان أقوى الغرائز؛ فالإنسان بصورة طبيعية يحب نفسه أكثر من أى شخص آخر وإذا رأينا شخصاً يطعن صدره وعضده لذهلنا وتساءلنا مع أنفسنا: هل أصيب بالجنون، أو يرغب شخص عاقل بهلاك نفسه؟ فإن لم تكن للإنسان أدنى رغبة بهلاك نفسه فلم يتقبل الغرور والذنب والمعصية التى تؤدى إلى هلاكه؟!

ثم قال عليه السلام: «أَمَا مِنْ دَائِك بُلُولٌ ۴۸۹]، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِك يَقَظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِك مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِك؟».

ثم أوضح هذه الحقيقة بذكر مثال فقال: «فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ ۴۹۰] مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلِى بِأَلَمٍ يُمِضُّ ۴۹۱] جَسَدَهُ فَتَبْكِى رَحْمَةً لَهُ! فَمَا صَبَّرَك عَلَى دَائِك، وَجَلَّدَك ۴۹۲] عَلَى مُصَابِك، وَعَزَّاك عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِك وَهِيَ أَعَزُّ الأَنْفُسِ عَلَيْك!».

إشارة إلى ما نراه من تناقض فى فعل الآخرين وازدواج فى أحكامهم فهم يبدون

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۷۹

أشد ردود الأفعال إزاء انزعاج الآخرين وسقم المرضى وأحياناً تسيل الدموع من أعينهم فى حين مرضهم أشد ومصيبتهم أعظم ولا يبدون أى رد فعل.

أراد الإمام عليه السلام بهذا البيان المنطقى البليغ أن يوقظ هؤلاء الغافلين الجهّال والساذجين ويلفت انتباههم إلى ما ينتظرهم من مصير خطير لعلهم يتوبون وينيبون إلى اللَّه.

ثم قال عليه السلام: «وَكَيْفَ لَا يُوقِظُك خَوْفُ بَيَاتِ ۴۹۳] نِقْمَةٍ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ ۴۹۴] بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ ۴۹۵]! فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِى قَلْبِك بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى ۴۹۶] الْغَفْلَةِ فِى نَاظِرِك بِيَقَظَةٍ».

هنالك أمران ضروريان للخلاص من الخطر: اليقظة والحذر من جهة والإرادة والعزم الراسخ من جهة أخرى وقد أشار الإمام إلى هذين الأمرين بهذه العبارة الموجزة فحذّر الجهال بأن يفيقوا من سبات الغفلة ويعقدوا العزم مادامت الفرصة سانحة على خلاص أنفسهم من مخالب المعاصى التى تؤجج نيران الغضب الربانى.

التعبير ب «بَيَاتِ نِقْمَةٍ» كون ضحايا البلاء النازل ليلًا أكثر؛ من قبيل الزلازل والسيول والعواصف التى تحدث ليلًا ويغط الناس فى النوم ولا يملكون من وسيلة للدفاع عن أنفسهم.

قال تعالى فى القرآن المجيد: «أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ* أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ»[۴۹۷].

وقال فى ختام هذه الفقرة: «وَكُنْ للَّه‌مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آنِساً».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٨١

القسم الثانى

اشارة

وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيك عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْك، يَدْعُوك إِلَى عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُك بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ! وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَك عَلَى مَعْصِيَتِهِ! وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ. فَلَمْ يَمْنَعْك فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْك سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرِفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَك، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْك، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْك! فَمَا ظَنُّك بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ! وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ، لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِك بِذَمِيمِ الأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِيءِ الأَعْمَالِ.

الشرح والتفسير: رحمة اللَّه ومعصية العبد؟!

دعا الإمام عليه السلام الناس فى هذا الجانب من الخطبة إلى الحكم على أنفسهم وعدد أدلة إدانته، ومن ذلك أنّه يحث الخطى دائماً فى طريق العصيان من جهة ومن جهة أخرى يمطره اللَّه بوابل فضله ورحمته فقال: «وَتَمَثَّلْ ۴۹۸] فِي حَالِ تَوَلِّيك عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْك، يَدْعُوك إِلَى عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُك ۴۹۹] بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ».

حقّاً إنّه لمن المؤسف والمخجل أن يكون مولى الإنسان كريماً يغذيه بأنواع النعم لكنه يتولى عنه دائماً؛ الأمر الذى لا يقبله أى وجدان.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٨٢

وهذا ما نقرأه فى دعاء الافتتاح فى شهر رمضان المبارك: «يا رَبِّ، انَّك تَدْعُونى فَاوَلّى عَنْك، وَتَتَحَبَّبُ الَىَّ فَاتَبَغَّضُ الَيْك، وَتَتَوَدَّدُ الَىَّ فَلا اقْبَلُ مِنْك، كَانَّ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْك، فَلَمْ يَمْنَعْك ذلِك مِنَ الرَّحْمَةِ لى وَالْاحْسانِ الَىَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَىَّ بِجُودِك وَكَرَمِك».

ثم قال: «فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ! وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَك عَلَى مَعْصِيَتِهِ! وَأَنْتَ فِي كَنَفِ ۵۰۰] سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ!».

إشارة إلى أنّه ليس من العجب أن يعتمد الأفراد الأقوياء أُسلوب العنف. والعجب أن يسلك الفرد الضعيف والذليل العاجز هذا الطريق؛ إلّاأنّ اللَّه بكلّ تلك القدرة العظيمة هو منتهى الحب والرأفة بينما يبدى هذا الإنسان بكلّ هذا الضعف والعجز كلّ هذه الجرأة على المعصية فى حين لا يمسك عنه فضله ورحمته وهذا عجيب حقّاً!

ثم قال عليه السلام: «فَلَمْ يَمْنَعْك فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِك عَنْك سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرِفَ عَيْنٍ ۵۰۱] فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَك، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْك، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْك! فَمَا ظَنُّك بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ!».

إشارة إلى أنّ الإنسان لا يخلو من ثلاث حالات: إما مشمول بنعمة لابدّ أن يؤدى شكرها، أو ارتكب معصية ستراها اللَّه وعليه أن يمتن لذلك الستر ويستغفر أو دفع عنه بلاءً وينبغى له أن يعرف قيمة هذه النعمة، هذا بينما مَن يسير فى طريق العصيان لا يكترث لأوامر اللَّه ونواهيه، فما عساه أن فكر بأنّ اللَّه الرحيم والغاية فى الكرم كيف سيجازيهم إن أطاعوه، وهذه هى مسألة «وجوب شكر المنعم» التى يمكنها أن تكون دافعاً لمعرفة اللَّه كما يقول علماء العقائد.

آنذاك نظر الإمام إلى هذه المسألة من زاوية أخرى فخاض فى بيان آخر لإيقاظ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٨٣

مخاطبيه فقال عليه السلام: «وَأيْمُ اللَّه ٥٠٢] لَوْ أَنَّ هذِهِ الصِّفَةَ كانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ، لَكُنْتَ أَوَّلَ حاكِمٍ عَلَى نَفْسِك بِذَمِيمِ الأَخْلَاقِ، وَمَساوِيءِ الأَعْمَالِ».

ذهب بعض شرّاح «نهج البلاغة» إلى أنّ العبارة السابقة بصيغة صغرى وكبرى من الشكل الأوّل من القياسات المنطقية؛ ولكن الظاهر أنّ سياق العبارة ناظر لقياس الأولويّة؛ أى أنّ فردين متشاكلين لا يخشيان بعضهما عادة، مع ذلك إن كان أحدهما يحسن دائماً والآخر يسيئ فإنّ وجدان الفرد الثانى يدينه ويتهمه بسوء الخلق. فإن كانت هذه المسألة بين أحد غاية فى العظمة وآخر غاية فى الصغر بحيث ليست هنالك من حاجة وخوف وخشية فى لطفه ورحمته من جهة ومن جهة أخرى كله حاجة وخشية من العقاب على المعاصى، قطعاً على ذلك الفرد الصغير فى ظل تلك الظروف أن يلوم نفسه لِمَ الفعل المخجل إزاء كلّ هذا الكرم.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٨٥

القسم الثالث

اشارة

وَ حَقّاً أَقُولُ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ، وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُك مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِك، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِك، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَك، أَوْ تَغُرَّك. وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَك مُتَّهَمٌ، صَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ، وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِك، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِك، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْك، وَ الشَّحِيحِ بِك! وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا! وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

الشرح والتفسير: الدنيا أعظم واعظ

لما كان أغلب المتهافتين على الدنيا يحملون الدنيا مسؤولية معاصيهم لإبراء أنفسهم ويعدون زخارف الدنيا ونعمها المادية سبب اثامهم فإنّ الإمام ردّ عليهم فى هذا الجانب من الخطبة فقال: «وَحَقّاً أَقُولُ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ».

ثم خاض فى بيان دليل ذلك الكلام فقال: «وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ ٥٠٣]، وَآذَنَتْكَ ٥٠٤] عَلَى سَوَاءٍ».

إشارة إلى أنّ الدنيا ليست غرّارة فحسب، بل تقع فيها أحداث موقظة، والإمام

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٨٦

خاض فى العبارات الآتية فى شرحها قائلًا: «وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُك مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِك، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِك، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَك، أَوْ تَغُرَّك. وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَك مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ».

إشارة إلى أنّ الدنيا عندما تصيبك بأنواع البلاء والمصائب والأحداث الأليمة وتغير القدرة، وهى صادقة ولا يصح وصفها بالخداع كما صدق من أخبرك من أولياء اللَّه والصالحين عن غدر الدنيا وتقلب أحوالها وإن لم يكن كلامهم موافقاً لهوى نفسك؛ فلم تقبل لسان حال الدنيا ولا لسان حال أولياء اللَّه واتهمت الجميع بالكذب، وعليه فهذا أنت من غرّ نفسه.

كما يحتمل أن يكون تفسير العبارة الأخيرة، أنّالناصح هو الحوادث الأليمة وأخبار الصدق علامات غدر الدنيا التى يراها الإنسان بعينه ويسمعها بأذنه؛ ولكنّها حيث لا تتفق وأهوائه فإنّه يكذبها جميعاً ويقول هى مجرّد حادثة صدفة فزالت ولن تتكرر.

ثم وضح أكثر هذه الحقيقة وجعلها معلومة للجميع فقال: «وَ لَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ[٥٠٥]، وَالرُّبُوعِ ٥٠٦] الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِك، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِك، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْك، وَالشَّحِيحِ ٥٠٧] بِك!».

ثم قال فی آخر عبارة: «وَ لَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ یَرْضَ بِهَا دَاراً، وَمَحَلَّ مَنْ لَمْ یُوَطِّنْهَا مَحَلًّا! وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْیَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْیَوْمَ».

إشارة إلی أنّ الأفراد المؤمنین والیقظین یسعهم أن یجعلوا من هذه الدنیا المليئة بالشر والمفعمة بالغرور والخداع وسیلة لسعادتهم الأبدیّة وسلّماً لبلوغ المقامات

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۲۸۷

الرفیعة، بحیث تکون نظرتهم إلی الدنیا بخلاف نظرة المتعلقین بها فهی نظرة إلی الممر أو السلم؛ فأولئک الذین یهربون من زخارفها وینتفعون بطیباتها للقرب من اللّه، ومن هنا یتضح الفارق بین الدنیا الممدوحة والمذمومة کما سیرد فی مبحث التاملات.

تأمّل: الدنیا الممدوحة والمذمومة

وصف الإمام علیه السلام الدنیا فی العبارات السابقة بالواعظ الحریص والمخبر الصادق والوفی والتی أفصحت عن تقلبها من خلال تقلباتها السریعة وأحداثها وآفاتها المختلفة وحذّر الجمیع من التعلّق بها وإنّما علیهم التزود منها.

نفحات الولایة ؛ ج۸ ؛ ص۲۸۷

لأکثر صراحة من ذلک ما ورد فی قصار کلماته بشأن الدنیا حیث قال:

«مَسْجِدُ أحِبّاءِ اللّه» «وَمَتْجَرُ أولِیاءِ اللّه»، «وَمَهْبِطُ وَحْیِ اللّه»، «وَمُصَلّی مَلائِکَةِ اللّه»، «دارُ عافِیَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْها ... وَدارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِها»[۵۰۸].

هذا فی الوقت الذی ذُمّت الدنیا بشدّة فی خطب متعددة من «نهج البلاغة» والعدید من الروایات: «دارٌ بِالْبَلاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ»[۵۰۹]، «مَثَلُ الدُّنْیا کَمَثَلِ الْحَیَّةِ لَیِّنٌ مَسُّها وَالسَّمُّ النّاقِعُ فی جَوْفِها»[۵۱۰].

ثم حذر فی عبارة أخری من الدنیا فقال: «تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ»[۵۱۱].

وطلاق الدنیا ثلاثاً من جانب الإمام علیه السلام لمساوئها وقبائحها، معروف اشیر له فی قصار الکلمات ضمن عبارات موقظة[۵۱۲].

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۲۸۸

وأبعد من ذلک آیات القرآن المجید التی ذمّت الدنیا بشدّة ومنها ما ورد فی سورة الزخرف: «وَلَوْلَا أَنْ یَکُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ یَکْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُیُوتِهِمْ سُقُفاً مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَیْهَا یَظْهَرُونَ* وَلِبُیُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَیْهَا یَتَّکِئُونَ»[۵۱۳].

وإن رتبنا هذه الآیات والروایات مع بعضها لورد هذا السؤال: إن کانت الدنیا بکلّ هذا الحسن، فلِمَ کانت سیئة لهذا الحدّ، وإن کانت سیئة فلم هذا الحسن؟

یکمن الجواب فی عبارة: أنّ الاختلاف نتیجة لاختلاف الرؤی.

والذین یکتفون بالنظر الظاهری وأصحاب الدنیا من ذوی النظرة الضیقة والسطحیة لا یرون سوی زخارف الدنیا وزینتها وملذاتها فیتعلقون بها، والدنیا خطیرة للغایة علی هذه الفئة، ولما کانت هذه الفئة تشکل الأکثریة، کانت هنالک الکثیر من الآیات والروایات التی تذم الدنیا ولذلک یهتف القرآن: «فَلَا تَغُرَّنَّکُمُ الْحَیَاةُ الدُّنْیَا وَلَا یَغُرَّنَّکُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ»[۵۱۴] الجدیر بالذکر أنّ الدنیا الغرور فی هذه الآیة عدت فی مصاف الشیطان المکار (لأنّ المراد من الغرور فی هذه الآیة هو الشیطان).

أمّا أهل البصائر والمؤمنون الصلحاء والعقلاء الذین ینظرون ببصرهم الحاد إلی باطن الدنیا ویرون بأُفقهم البعید بدایتها ونهایتها وتتجسد لهم عاقبة الأسلاف وتاریخهم ویضعون مصیر الفراعنة والعمالقة والأباطرة نصب أعینهم یسمعون بآذان أرواحهم رسائل الوعظ الدنیوی المشفق ویعتبرون بتلک الدروس؛ فیستبدلون الدنیا بجامعةٍ لکسب المعارف الربانیة ومتاجر للتزود وحمل المتاع ومعبد رائع للعروج إلی ساحة القرب الربوبی.

وزبدة الكلام فإنّ الدنيا حسب قول أميرالمؤمنين على عليه السلام فى إحدى الخطب:

«مَنْ أَبْصَرَ بِها بَصَّرَتْهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْها أَعْمَتْهُ»[۵۱۵].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۸۹

***

القسم الرابع

اشارة

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ فِى عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذ خَرْقُ بَصَرٍ فِى الْهَوَاءِ، وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِى الأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ، وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ!

فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ؛ وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاءِ؛ وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

الشرح والتفسير: الاستعداد لسفر الآخرة

أشار الإمام عليه السلام فى آخر جانب من هذه الخطبة بالالتفات إلى الإشارة فى العبارة السابقة إلى عالم الآخرة إلى محكمة العدل الربّانية فى عالم الآخرة فذكر بعض الأمور الدقيقة وقال: «إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ[۵۱۶]، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا[۵۱۷] الْقِيَامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِ مَنْسَكٍ ۵۱۸] أَهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ[۵۱۹] فِى عَدْلِهِ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۹۰

وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذ خَرْقُ بَصَرٍ فِى الْهَوَاءِ، وَلَا هَمْسُ ۵۲۰] قَدَمٍ فِى الأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ».

وكلام الإمام يؤكد على أمرين: الأوّل أنّ كلّ طائفة تلحق ذلك اليوم بإمامها ومعبودها ومطاعها وما كان فى هذه الدنيا سيتجسم هناك قطعاً حتى ورد عن الإمام الرضا أنّه قال: «فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا أَحَبَّ حَجَراً لَحَشَرَهُ اللَّه مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[۵۲۱] ومن قبل صرّح القرآن قائلًا: «احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ* مِنْ دُونِ اللَّه فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ»[۵۲۲].

والآخر: أنّ حساب اللَّه ذلك اليوم على درجة من الدقة والعدل المطلق بحيث لا يغادر ذرة من ذنب أو خطوة من باطل على الأرض فالويل للآثمين والظلمة والمذنبين!

طرح هنا بعض شرّاح «نهج البلاغة» سؤالًا: إنّ لحقَ ذلك اليوم كلّ عابد بمعبوده ومطيع بمن أطاع، فلابدّ أن تلحق النصارى بالمسيح، والغلاة بأميرالمؤمنين وعبدة الملائكة بهم، وفى ذلك سرورهم طبعاً؟

أجاب القرآن المجيد عن هذا السؤال فقال: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّه فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِى لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً».

وقال إثر ذلك: «فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلَا نَصْراً»[۵۲۳].

نعم! لعلهم يلحقون لولا أن تبرأ أئمتهم منهم؛ وعليه واستناداً لهذه البراءة فسوف

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۹۱

لن يلتقوا بهم قط.

ثم حذّر أولئك الذين يبرّئون أنفسهم فى هذه الدنيا بالأدلة الواهيّة والأعذار التافهة أنّ الأمر ليس كذلك فى الآخرة فقال: «فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ[۵۲۴]، وَعَلَائِقِ ۵۲۵] عُذْر مُنْقَطِعَةٌ!».

إشارة إلى أنّه يتضح ويظهر كلّ شىء فى ذلك اليوم وليس هنالك من قيمة للأعذار الواهية فى ظل تلك الأجواء.

قال القرآن المجيد بشأن المكذبين بآيات اللّه: «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ»[۵۲۶].

ثم أشار فى ختام الخطبة- بعنوان استنتاج عملى واضح- إلى سبيل الخلاص ضمن خمس عبارات موجزة وعميقة المعنى فقال: «فَتَحَرَّ[۵۲۷] مِنْ أَمْرِك مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُك، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُك».

وقال فى السبيل الثانى: «وَخُذْ مَا يَبْقَى لَك مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ».

المراد من «مَا يَبْقَى لَكَ» النعم الأبدية يوم القيامة اى الأعمال الصالحة، والمراد من «مَا لَا تَبْقَى لَهُ» نعم الدنيا التى يتركها الإنسان ويمضى.

وقال فى الثالث: «وَ تَيَسَّرْ لِسَفَرِك».

والذى قال فيه اللّه: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى»[۵۲۸].

وقال فى الرابع: «وَشِمْ ۵۲۹] بَرْقَ النَّجَاءِ».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۹۲

وقال أخيراً: «وَارْحَلْ مَطَايَا[۵۳۰] التَّشْمِيرِ[۵۳۱]».

وخلاصة الكلام فإن الإمام أبان سبيل النجاة من مخالب أخطار الدنيا والآخرة فى هذا السفر المنتظر وذكر المواعظ بشأن زاد السفر ومتاعه والالتفات إلى علائم الدليل ومن ثم إعداد أعذار التقصير وأسباب الزلل والخطأ، فمثل هذا المسافر لايضل الهدف ولا يتوقف حين يبلغ: «بلى يا زُهْرى لَيْسَ ما ظَنَنْتَ وَلكِنَّهُ الْمَوْتُ وَلَهُ كُنْتُ اسْتَعِدُّ وَإِنَّمَا الْاسْتَعْدادُ لِلْمَوْتِ تَجَنُّبُ الْحَرامِ وَبَذْلُ النَدى وَالْخَيْرِ»[۵۳۲].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۲۹۳

الخطبة ۲۲۴

اشارة

يَتَبَرَّأُ مِنَ الظُّلْمِ ۵۳۳]

نظرة إلى الخطبة

قال بعض الشرّاح أنّ الإمام عليّاً عليه السلام قال هذا الكلام لما اعترض عليه بعض أصحابه قائلين: إنّ معاوية جمع الناس حوله بما يبذل لهم من بيت المال فلو فعلتَ لرضىَ الناس ولتولّوك، فغضب الإمام وصرّح بأننى ... هذا الكلام الذى يتألف فى الواقع من ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: الذى استهله ببحث كلى جامع وقارع فى البراءة من الظلم والجور وقال لست مستعداً لأدنى ظلم وجور وإغضاب اللّه وإسخاطه.

وخاض فى القسم الثانى فى بيان أحد المصاديق الواضحة لذلك المطلب وبين فقر عقيل وما كان يطلب بغير حق من بيت المال وكيف أجابه بالحديدة المحماة.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٩٤

وذكر فى القسم الثالث مصداقاً حيّاً آخر عن براءته من الظلم والجور فتطرق إلى قصة الأشعث بن قيس المنافق والحلوى الملفوفة.

واختتم الكلام بعبارات بليغة وفريدة فى إعلان براءته من الظلم والجور وهضم حقوق الآخرين.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٩٥

القسم الأوّل

اشارة

وَاللَّهِ لَئِنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّه وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا؟!

الشرح والتفسير: إرتكاب الظلم

كما اشير فإنّ بعض أصحاب الإمام عليه السلام قالوا للإمام: إنّك عمد العدالة وتساوى بين الصغير والكبير إلّاأنّ جماعة نقموا عدالتك بينما يغدق عليهم معاوية الأموال والهدايا حتى التحق به جماعة كثيرة فهلا قرّبتهم بالأموال. فأجابهم الإمام عليه السلام بكلام بعضه هذه الخطبة موضوع البحث ٥٣٤].

يستفاد من هذا الكلام مدى نقمة الإمام عليه السلام من هذا الانحراف الفكرى الذى أصاب جماعة من خاصته، لذلك سعى لإزالة هذه الثقافة الجاهلية الفاشلة من أفكارهم التى يتبناها اليوم بعض الساسة المحترفين بايضاحات قاطعة وذكر الشواهد وأمثال ذلك ويستبدلها بثقافة القرآن والنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله التى تنشد بسط العدل والقسط تجاه الجميع فقال: «وَ اللَّه لَئِنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ ٥٣٥] السَّعْدَانِ ٥٣٦] مُسَهَّداً[٥٣٧]،

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٩٦

أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً[٥٣٨]، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّه وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ ٥٣٩]».

أسوأ العذاب بالنسبة للإنسان أن ينام على أشواك السعدان (الأشواك الثلاثية أطرافه على الأرض وطرفه الحاد إلى الأعلى) ويقيدون يده ورجله فى النهار ويجر فى السوق والشارع.

وقد أقسم الإمام عليه السلام باللَّه بكلّ حزم فقال: تحمل هذا العذاب أهون علىَّ من أن ألقى اللَّه وأنا ظالم لبعض العباد وغاصب لشىء من حطام هذه الدنيا الزائلة فذلك العذاب ابدى وعذاب هذه الدنيا عابر مهما كان، فكيف تتوقعون أن أسلك طريق معاوية الذى لا يقيم وزناً لحساب الآخرة. فأترك الشريعة وألجأ إلى الشرك والجاهلية.

ثم قال عليه السلام: «وَ كَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا[٥٤٠]، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى ٥٤١] حُلُولُهَا؟!».

إشارة إلى أنّ أى عقل لا يقبل بهذا المنطق فى أن يضحى الإنسان بالسعادة الأبدية من أجل السعادة العاجلة وأولئك الذين لهم هذه الممارسات كمعاوية وبطانته على خطأ عظيم.

وهكذا يريق الإمام عليه السلام الماء الطاهر فى يد من اقترح عليه الظلم واعتقد بأنّ الغاية تبرر الوسيلة فقد يئس أولئك الذين يظنون أنّهم قادرون على تغيير نهجه العادل الشاق للغاية.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٩٧

لاينبغى أن ننسى أنّ عهد خلافة الإمام الظاهرية وبمنتهى الأسف، إنّما ابتدأت حين اعتاد المسلمون بكرم عثمان على طريقة حاتم الطائى من بيت المال والتمييز البغيض والذى أدى بالتالى إلى الخروج عليه وسار معاوية على نهجه، غير أنّ الإمام عليه السلام كان يسعى لإعادة الامّة إلى عصر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

ورغم عدم تحقيق هذا المشروع، النتيجة التامة؛ لكنّه انطوى على فائدة مهمّة حفظت الرسالة الإسلاميّة الأصيلة وفضحت المنحرفين.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٢٩٩

القسم الثانى

اشارة

وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِى مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّما سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعَاوَدَنِى مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَىَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِى، فَظَنَّ أَنِّى أَبِيعُهُ دِينِى، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِى، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِى دَنَف مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، يَا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِى إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظىً؟!

الشرح والتفسير: قصة الحديدة المحماة

كان للإمام عليه السلام فى القسم السابق بحث كلّى بشأن اجتناب الظلم والجور التى تشير إلى ذروة السلامة من الظلم والجور، وقد ركز هنا على مصداقين واضحين كشاهدى صدق على ماذكر. فبيّن أوّلًا قصة عقيل والحديدة المحماة فشرح نموذجاً من عدله الذى ليس له مثيل ربّما فى تاريخ العالم فقال: «وَاللَّه لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ ٥٤٢] حَتَّى اسْتَمَاحَنِى ٥٤٣] مِنْ بُرِّكُمْ ٥٤٤] صَاعاً[٥٤٥]».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٠٠

ظاهراً، مراد عقيل «صاع» كحصة يومية منظمة لتؤمن بصورة كاملة هذه المادة الغذائية وإلّا لو كان صاعاً ليوم فإنّه لا يحل مشكلته وليس له قيمة أن يأتى عقيل من ذلك البعد لأخيه.

كما تجدر الاشارة إلى أنّ عقيلًا طلب طلباً آخر بأداء دين ثقيل عليه لكن الإمام اقتصر على الإشارة إلى الطلب الأوّل. ثم قال: «وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ ٥٤٦] الشُّعُورِ، غُبْرَ[٥٤٧] الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّما سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ ٥٤٨]».

وأضاف عليه السلام: «وَ عَاوَدَنِى مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَىَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ ٥٤٩] إِلَيْهِ سَمْعِى، فَظَنَّ أَنِّى أَبِيعُهُ دِينِى، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِى».

شرح الإمام عليه السلام هنا جميع العوامل التى يراها اهل الدنيا تقتضى التمييزبالنسبة لأخيه.

فمن جانب لم يطلب كثيراً.

ومن جانب آخر كان أولاده فقراء ومعدمين.

وأخيراً كان يكثر من تكرار طلبه.

ولكن مع كلّ ذلك كان على الإمام أن يميز بين عقيل والآخرين من المحتاجين ويعطى لأخيه من بيت المال العائد لعامة المسلمين

ويضفى عليه ميزة خاصّة.

قطعاً هذا العمل لا ينسجم مع العدالة الإسلاميّة وسمّو روح الإمام عليه السلام، لذلك وبغية كفّ عقيل عن التكرار ليقنع بحقّه من بيت المال عامله بما يثبت له عملياً عاقبة الظلم فقال: «فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۰۱

عقيل ظاهراً كان مكفوفاً آنذاك ومدّ يده علّه يحصل على درهم أو دينار ولم يكن يعلم ما الذى ينتظره فلما شعر بالحرارة تقترب من يده: «فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِى دَنَف ۵۵۰] مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيْسَمِهَا[۵۵۱]».

ثم قال الإمام عليه السلام مواصلًا كلامه: «فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْك الثَّوَاكِلُ ۵۵۲]، يَا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا[۵۵۳] لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَا سَجَرَهَا[۵۵۴] جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُ ۵۵۵] مِنَ الأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظِىً؟![۵۵۶]».

«ثواكل» جمع «ثاكلة» الام التى مات ولدها وإن اطلق على كلّ ام فى عزاء.

التعبير باللعب إشارة إلى أنّ نار الدنيا مهما كانت محرقة إلّاأنّها ليست أكثر من لعبة إزاء نار الآخرة فالنار الحقيقية هناك، لذلك عبّر الإمام عليه السلام عن الاولى ب «أذى» والثانية «لظى».

يستفاد ضمنياً من تعبيرات الإمام عليه السلام خلافاً لما يظنه بعض الجهّال، فإنّ الإمام عليه السلام لم يضع قط حديدة محماة فى يد عقيل، بل قربها من يده وحيث كان أعمى خاف وصرخ.

انتشرت هذه القصّة فى جميع الأوساط حتى وصلت إلى معاوية حسب بعض الروايات فأيقظت العديد من الغافلين وأفادت نهاية الكرم العثمانى من بيت المال على القرابة والأفراد المقربين. فإذا كانت هذه معاملة الإمام لأخيه إزاء طلب صغير على خلاف العدالة فما بال الآخرين، فما عليهم سوى عدم التفكير بأى امتياز.

وتطلق هذه المفردة أحياناً على جهنم كما ورد فى الآية ۱۵ من سورة المعارج:

«كَلَّا انَّهَا لَظَى».

بعبارة اخرى أنّ ذلك لم يكن درساً لعقيل فحسب، بل لعامة الناس فى العالم

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۰۲

الإسلامى فأفاد مساواة الجميع أمام العدالة، وليس لأحد طلب المزيد وإن كان أقرب المقرّبين إلى رئيس الدولة. الطريف ما ورد فى ذيل بعض الروايات أنّ عقيلًا قال للإمام عليه السلام إذا كان الأمر كذلك فسأذهب إلى مَن يكثر من البذل والعطاء. ومراده (معاوية) فردّ عليه عليه السلام: «راشِداً مَهْدِيّاً»[۵۵۷].

ولنترك الكلام لعقيل يتحدّث عن قصة الحديده المُحماة: ثم تلا الآية: «إِذِ الأَغْلَالُ فِى أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ»[۵۵۸].

فقال معاوية: «هَيْهاتَ هَيْهاتَ عَقِمَتِ النِساءُ أنْ يَلِدْنَ مِثْلَهُ»[۵۵۹].

وقد روى المرحوم العلّامة المجلسى فى «بحارالأنوار» قصّة مكملة لما سبق ۵۶۰].

على كلّ حال تشير القرائن إلى أنّ هدف الإمام عليه السلام لم يكن مجرّد بيان قضية شخصية وتحذير عقيل، بل كان الهدف انتشار هذه القضية فى كلّ مكان وكان كذلك وأن يفكر أصحاب الامتيازات أنّ تكليفهم أصبح واضحاً بعد أن تصرف الإمام مع عقيل بهذه الطريقة فلا يفكرون قط فى تلك الامتيازات، وبعبارة أخرى كان الهدف وضع حد لثقافة عهد عثمان فى بيت المال وإعادة ثقافة العهد النبوى.

تأمّلان

۱. نظرة إلى شخصية عقيل

هو عقيل بن أبى طالب وأخو أميرالمؤمنين على عليه السلام لُامّه وأبيه وكان بنو أبى طالب أربعة وهو أسن من الإمام بعشرين سنة ويكنى أبا يزيد.

وكان أبو طالب يحبّه كثيراً فلذلك قال له النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «يا أبا يَزيد إنّى أُحِبّك حُبَّيْنِ؛ حُبّاً لِقَرابَتِك مِنّى وَحُبّاً لِما كُنْتُ أعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمّى إيّاك».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۰۳

وورد فى بعض الروايات أنّ النّبى صلى الله عليه و آله قال لعلى عليه السلام: «إِنَّ وَلَدَهُ لَمَقْتُولٌ فى مَحَبَّةِ وَلَدِك فَتَدْمَعُ عَلَيْهِ عُيُونُ الْمُؤمِنينَ وَتُصَلّى عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ثُمَّ بَكى حَتّى جَرَتْ دُمُوعُهُ عَلى صَدْرِه».

شهد عقيل كعمّه العباس بن عبدالمطلب معركة بدر الكبرى مع المشركين مجبراً فاسر وعاد إلى مكة بفدية وأسلم بعد صلح الحديبية وهاجر ووصل إلى النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ۵۶۱].

۲. التسوية بين المسلمين فى بيت‌المال

لا شك فى أنّ لبيت المال مصادر مختلفة؛ وأحد تلك المصادر، الزكاة، ونعلم أنّ المساواة ليست شرطاً فى الزكاة، بل تصرف الزكاة على أساس الحاجة كما لا ضرورة لأن ننتظر محتاجاً آخر بحضور محتاج معين، بل لنا أن نعطى المحتاج الحاضر بما فيه الكفاية.

المصدر الآخر: الخمس الذى كان يؤخذ فى صدر الإسلام غالباً من غنائم الحرب، والخمس بيد الحاكم الإسلامى ليصل المحتاجين حسبما ورد فى الفقه والروايات ولا يشترط فيه المساواة أيضاً.

الثالث: الغنائم الحربية التى توزع على المقاتلين بالسوية؛ لكن للمشاة سهم وللفرسان سهمان حيث كانوا آنذاك هم الذين يشترون الفرس، طبعاً كان النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أحياناً يستجيز أصحابه فى دفع شىء من الغنائم إلى أفراد معينين لجلبهم إلى الإسلام.

المصدر الرابع والخامس والسادس، المداخل الخيرية وخمس غير الغنائم والأنفال التى لا يشترط فى توزيعها المساواة أيضاً، ولا مجال لشرحها هنا.

المصدر السابع الذى كان أهم من الكل آنذاك والذى يشكل عمدة بيت المال

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۰۴

وهو دخل أراضى الخراج؛ أى مبالغ الاستئجار أو خراج الأراضى للمناطق المفتوحة والتى توضع فى خزانة الدولة الإسلاميّة، فتلك الأراضى ملك لعامة المسلمين وليس الجيل القائم آنذاك، بل جميع الأجيال، وبالطبع فإنّ دخلها يعود إلى الجميع. بالضبط كالملك المشاع الذى يتساوى فيه الجميع، ومن الطبيعى أن ليس للدولة الإسلاميّة أن تميز بين المسلمين فى هذا الدخل. وإن لم يلتزم اغلب الخلفاء بهذا الحكم وبل يتصرفون فى تلك الاموال حسب مايشاؤون.

وماورد فى قصّة عقيل فى هذه الخطبة يتعلق بهذا الأمر الذى يشكل أهم قسم فى بيت المال ولعل عقيلًا أعتقد أنّ تلك الأموال بيد الحاكم الإسلامى يتصرف بها كما يشاء ولاسيما أنّه شاهد ما كان يفعله الخليفة الثالث بتلك الأموال.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۰۵

القسم الثالث

اشارة

وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِك طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْقَيْئِها، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذَلِك مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاك، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ. فَقُلْتُ: هَبِلَتْك الْهَبُولُ! أَعَنْ دِينِ اللَّه أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُوجِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ؟

وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّه فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَاهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضِمُهَا. مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى! نَعُوذُ بِاللَّه مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ. وَبِه نَسْتَعِينُ.

الشرح والتفسير: قصة المنافق الأشعث بن قيس

بيّن الإمام عليه السلام فى القسم السابق كما رأينا القصة التاريخيّة لأخيه عقيل والحديدة المحماة ليأس أصحاب الامتيازات الطامعين فى بيت المال، القصة التى تتجلى فيها ثقافة العدالة الإسلاميّة وتقديم الضابطة على الرابطة، ثم أشار هنا إلى مصداق آخر من هذا القبيل فذكر قضية المنافق الأشعث بن قيس وقال: «وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِك طَارِقٌ ۵۶۲] طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا[۵۶۳]، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْقَيْئِها».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۰۶

المعروف أنّ ذلك الطارق كان الأشعث بن قيس رأس النفاق فى الكوفة شبيه عبداللّه بن أُبيّ رأس النفاق على عهد النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى المدينة.

أمّا قول الإمام عليه السلام: «مَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْقَيْئِها» حيث كان هدف الأشعث أن يستعطف قلب الإمام لتحقيق غرض دنيوى. (يقال أحياناً إنّه تنازع مع أحد المسلمين باطلًا على مياه وملك، ورفع الأمر إلى على عليه السلام، لعل هذا الرجل الأعمى البصيرة أراد من خلال ذلك أن يستميل الإمام ويشترى رأيه؛ ولكن الإمام عليه السلام رأى بعينه الملكوتية باطن تلك الحلوى الذى كان كسم الحيّة، لأنّها كانت بمثابة رشوة).

المفردة «مَلْفُوفَة» رغم أنّها من مادة «لفّ» لتشير هنا إلى طرف القماش الذى يلف به؛ ولكن حيث قال الإمام عليه السلام كانت تلك الملفوفة فى وعاء وعطف عليها مفردة معجونة فيحتمل أن تكون الملفوفة نوعاً من الحلوى التى كانت معروفة ومرغوبة فى الكوفة[۵۶۴].

احتمل بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ المفردة «قيء» بمعنى سمّ الحيّة لاقيئها، لأنّها تطرحه من فمها كقيئها وهذا ما يقتضيه المقام والشائع لدينا فى الاستعمال بشأن الطعام. «فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذَلِك مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاك، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ».

طبعاً الزكاة محرمة على جميع بنى هاشم والصدقة التى تشير إلى الإنفاق المستحب وهى ليست حرام حسب المشهور ولعل حرمتها كانت مختصة بأهل البيت عليهم السلام، واحتمل البعض أنّها إشارة إلى الكفارات والصدقات الواجبة غير الزكاة، هذا أيضاً حرام على بنى هاشم.

أمّا «صلة» فربّما تعنى الرشوة التى يعبر عنها فى مباحث رشوة القاضى ب «صِلَة

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۰۷

القُضاة» ومن هنا يقال لها «صلة» التى يجعلها الراشى وسيلة للوصول إلى هدفه غير المشروع.

وقيل «صلة» تعنى «هدية» أو جائزة ومنه فى جائزة الشاعر، يقال «صلة شاعر» وعليه فالعبارة: «لَا ذَا وَلَا ذَاك، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ» إشارة إلى نفى الزكاة والصدقة وإثبات كونها هدية.

كما احتمل أن تكون العبارة «لا ذا ولا ذاك» نفى للجميع؛ أىليست رشوة ولا زكاة ولا صدقة، بل هدية.

ثم وجّه الإمام عليه السلام أشدّ ضربات التوبيخ والتقريع للمنافق الأشعث بن قيس، وقال: «فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ![۵۶۵] أَعَنْ دِينِ اللَّه أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟».

إشارة إلى أنّك كأغلب الشياطين تلبس طلبتك المنكرة لباس الشرعيّة لتحقق غرضك فتسمى الرشوة هدية وتظن أنّك تغرّ بهذا الظاهر من ترى عينه أعماق الوجود. ثم قال: «أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ؟».

إشارة إلى أنّ عاقلًا لا يتصور أنّ أحداً يمكنه خداع شخص كعلى عليه السلام بهدية تفوح من باطنها رائحة الرشوة فإن جرب ذلك أحدهم فهو مجنون أو مختبط فى عقله لمرض.

«مختبط» من مادة «خبط» بمعنى فقدان التوازن ويستعمل تارة فى التوازن الظاهرى وأخرى فى التوازن الفكرى، والمعنى الثانى هو المراد هنا والعبارة «ذُو جِنّة» إمّا إشارة إلى وساوس الشيطان التى تعدّ من الجنون ويختل إثرها عقل الإنسان، أو إشارة إلى المعروف بين الناس حيث البعض ممن أصابه الجن.

المفردة «تَهْجُر» من مادة «هَجْر» هذيان القول، وعليه فالفرق واضح بين هذه المفردات الثلاث؛ فالمختبط المختل العقل الذى يفقد توازنه العقلى، وذو جنة، الذى يعانى من نوع من الجنون لعامل باطنى، وتهجر تقال للمجنون ذاتاً ويصاب بالهذيان

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۰۸

اثر شدّة المرض.

طبعاً حين تكون هذه المفردات مع بعضها تفيد المعنى المذكور بينما إن أتت كلّ مفردة لوحدها أفادت معانٍ أُخرى.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى قضية بمنتهى الأهمّية بشأن عدالته لعلها لم تسمع من غيره طيلة التاريخ ليفهمه مدى الخطأ الذى إرتكبه ولم يعرفه وهى تحذير إلى جميع الزعامات وحكّام المجتمعات الإنسانية فقال: «وَاللَّه لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ[۵۶۶] بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّه فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ ۵۶۷] شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ».

ثم تطرق عليه السلام إلى دليل ذلك فقال: «وَ إِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَاهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضِمُهَا[۵۶۸]».

وأكد عليه السلام ذلك بالقول: «مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى!».

حيث صرّح الإمام عليه السلام فى هذه العبارات الصريحة والبليغة، لو أعطيت أعظم الرشاوى المتصورة فى العالم بما فيها ما على الأرض والقصور والثروات والأموال، لُامارس أدنى ظلم وهو سلب غطاء حبّة شعير (لا حبة شعير) من فم نملة والتى تبدو أصغر المخلوقات، لما فعلت.

ما أكثر الأفراد الذين تستميلهم المبالغ البسيطة والمتوسطة فى الرشوة أما إذا كان امتيازاً هاماً يعادل جميع حياته فذلك ما يهزّه من الأعماق.

وهل هنالك من يسعه الزعم أنّه لن يمارس أدنى خلاف ولو أعطى أعظم امتياز

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۰۹

ولا يهتز لذلك؟ الإمام يقول أنا ذلك الشخص ويقسم عليه صراحة.

ويمكن توجيه الدليل الذى ذكره الإمام عليه السلام على هذا الأمر، فالامتيازات المادية إنّما تحظى بأهمّية من الدنيا كبيرة وعظيمة لديه أمّا من كان فى قمة معرفة اللَّه وكل ما سواه لا شىء بالنسبة له والدنيا عنده كورقة نبات فى فم جرادة، فليس هنالك من داعٍ لأن يعصى اللَّه ويرتكب الظلم.

فالإمام على عليه السلام كان ينظر إلى باطن الدنيا ببصيرته؛ حيث كان يرى كلّ تلك الملذات والنعم المادية آيلة إلى الفناء والزوال وليس هنالك مايستحق التعلق به أو يفكر بالتعلق به.

ومن هنا إن أردنا أن نقطع دابر الرشوة والظلم والجور والتعدى على حقوق الآخرين لابدّ أن نجتهد من أجل رفع مستوى معرفة الإنسان باللّه والدنيا.

يفهم ضمنياً من هذه العبارات بالدلالة الالتزامية أنّ الظلم والجور والحكم بغير الحق لمن أسوأ المعاصى لاينبغى إرتكابها حتى لو حصل على الدنيا برمتها.

ثم اختتم الإمام عليه السلام بعبارة موجزة وموقظة فى الواقع ناظرة لكل مضمون الخطبة فقال: «نَعُوذُ بِاللَّه مِنْ سُبَاتِ ۵۶۹] الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ. وَبِه نَسْتَعِينُ».

إشارة إلى أنّ العقل إن كان يقظاً واقترن بلطف اللّه لما قارف الإنسان الكبيرة وقلّما يرتكب الصغيرة.

ونختتم هذا الكلام بنقل روايتين: قال الحافظ أبونعيم الاصفهانى أحد علماء العامّة فى كتابه المشهور «حلية الأولياء»: «إنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله قال لعلىّ عليه السلام:

«يا عَلىّ! إنّ اللّه قَدْ زَيَّنَك بِزِينَةٍ لَمْ يُزيِّنِ الْعِبادَ بِزِينَةٍ أحَبَّ إلَى اللّه مِنْها هِى زِينَةُ الْابْرارِ عِنْدَاللّه تَعالى وَالزُّهْدُ فِى الدُّنْيا فَجَعَلَك لا تَرْزَءُ مِنَ الدُّنْيا شَيْئاً وَلا تَرْزَءُ مِنْك

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۱۰

الدُّنْيا شَيْئاً»[۵۷۰].

وورد فى رواية أُخرى أنّ امرأة شجاعة من شيعة على عليه السلام تدعى «دارميّة الحجونيّة» أُحضرت عند معاوية فسألها:

هل رأيت عليّاً؟

قالت: أى واللّه رأيته.

قال: كيف رأيتيه؟

قالت: «رَأَيْتُهُ لَمْ يَفْتِنْهُ الْمُلْكُ الَّذى فَتَنَك وَلَمْ تَشْغَلْهُ النِّعْمَةُ الَّتى شَغَلَتْك»[۵۷۱].

تأمّل: من هو الأشعث بن قيس؟

ذكرنا فى الجزء الأوّل عند تفسير الخطبة التاسعة عشرة أنّ «الأشعث» كان من المنافقين ثمّ أسلم ظاهراً على عهد النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ثم إرتدّ بعد وفاته واسر فندم عند أبى بكر فعفا عنه، ووقف إلى جانب أعداء أميرالمؤمنين على عليه السلام مثل عمرو بن العاص، لبثّ الفرقة والنفاق فى صفوف أصحاب الإمام ليكون مصدراً لكثير من المفاسد والاضطرابات، وكان صاحب نفوذ فى قبيلته فكان يستعين بهم لتحقيق مآربه، حتى قال بعض المحقّقين: إنّ أغلب مشاكل عصر خلافة أميرالمؤمنين على عليه السلام كانت من هذا المنافق اللدود.

للمزيد يراجع الجزء الأوّل صفحة ۶۴۴ فصاعداً.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۱۱

الخطبة ۲۲۵

اشارة

يَلْتَجِئ إلَى اللّه أنْ يُغْنِيَهُ ۵۷۲]

نظرة إلى الخطبة (الدعاء)

الهدف الأصلى للإمام عليه السلام فى هذا الدعاء كما يتضح من العنوان، طلب الغنى وعدم الحاجة إلى غيره، فالحاجة إلى الآخرين مدعاة أحياناً لمدح الآخرين، بينما لا يستحقون ذلك المدح، أو ذم المانعين ولعلهم لا يستحقون ذلك الذم، والأسوأ من ذلك مد اليد إلى شرار الخلق، فالدعاء فى الواقع تعليم لجميع الناس ولاسيما الأتباع، وإلّا فالإمام عليه السلام أسمى مقاماً من أن يتجه صوب الأشرار أو يمدحهم.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۱۳

اللهمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالْاقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِك، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِك، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذلِك كُلِّهِ وَلِيُّ الْاعْطَاءِ وَالْمَنْعِ؛ «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

الشرح والتفسير: الغنى عن شرار الخلق!

ذكر الإمام عليه السلام فى هذا الدعاء القصير مطالب عميقة ضمن ثمان عبارات فهو دعاء ودرس فى الأخلاق، فبيّن فى البداية أصل الدعاء بعبارتين فقال: «اللهمَّ صُنْ ۵۷۳] وَجْهِي ۵۷۴] بِالْيَسَارِ[۵۷۵]، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِيَ ۵۷۶] بِالْاقْتَارِ[۵۷۷]».

ليس المراد من «اليسار» الغنى بالمعنى السائد فى العرف، بل المراد الغنى عن الآخرين المقترن بالكفاف والعفاف، وإلّا فالغنى بالمعنى المذكور يؤدى أحياناً إلى إراقة ماء الوجه، وهنالك تفسيران للعبارة «وَلَا تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالْاقْتَارِ» بالنظر إلى أنّ «ولا تبذل» من مادة «بذل» و «بذل» له معنيان: أحدهما العطاء والفقدان، والآخر القدم والضياع: التفسير الأوّل اللّهم لا تتوفانى على الفقر، والآخر لا تبتذل شخصيتى بالفقر.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۱۴

ثم خاض فى أربع عبارات فى آثار الفقر والحاجة إلى الآخرين فقال:

«فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِك، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِك، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي».

وقال عليه السلام فى الختام: «وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذلِك كُلِّهِ وَلِيُّ الْاعْطَاءِ وَالْمَنْعِ؛ «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارات الموجزة فى أربعة آثار سيئة للفقر التى تتمّ فى مرحلتين فقال أوّلًا: أدنى ما يترتب على ذلك أن أمد يد الحاجة إلى المحتاجين إليك والأسوأ من ذلك أن تقضى الحاجة من قبل السيئين، وحقاً أليمة للغاية هى الحياة فى ظلّ تلك الشرائط بالنسبة للأفراد المؤمنين ذوى الشخصية.

فى المرحلة الثانية: أى بعد الطلب فإن أجاب الطرف المقابل اضطر الإنسان إلى مدحه وإن تحفّظ عن الاجابة انطلق لسانى بذمّه ولعل لديه حاجاته الكبيرة، ولكن حيث «صاحِبُ الْحاجَةِ لا يَرى إِلّاحاجَتَهُ»[۵۷۸]، فبمجرّد أنّه لم يستجب لى اتّهمته بالبخل، والحال ما أحرانى أن اتّجه إلى اللَّه فهو ولى المنع والعطاء وهو القادر على كلّ شىء!

من البديهى أنّ روح الإمام عليه السلام السامية لا تقبل هذه الأمور قط وإن أصابته الحاجة، فالإمام يريد بيان الآثار الطبيعية للفقر والتى تبدو على أغلب الناس ليجدوا ويواجهوا الفقر ولا يمدوا أيديهم إلى الآخرين أبداً.

تأمّل: الآثار السيئة للفقر

رغم ما ورد فى عدّة روايات فى مدح الفقر، كحديث النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «الْفَقْرُ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۱۵

فَخْرى وَبِهِ أَفْتَخِرُ». وروايـة الإمام الصادق عليه السـلام: إنّ اللّه أوحى إلى موسـى عليه السـلام: «إذا رَأَيْتَ الفَقْرَ مُقبِلًا فَقُلْ مَرْحباً بِشِعارِ الصّالِحينَ وَاذا رَأَيْتَ الْغِنى مُقْبِلًا فَقُلْ: ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عُقُوبَتُهُ»[۵۷۹]. وسائر الروايات، ولكن من الواضـح أنّ الفقر بمعنى العوز ولاسـيما الـذى يحصـل بفعل الكسل والتقصـير وضـعف الإدارة فانه ليس مـدعاة للفخر ولا شـعار الصالحين، بل مـدعاة للـذل والهوان والتلوث بأنواع المعاصى.

المـدعاة إلى الفخر، الفقر إلى اللّه، فالكـل محتـاج إلى اللّه: «يَـا أَيُّهَـا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللّه وَاللّه هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيـدُ»[۵۸۰] والذى يشبه ما ورد فى حديث أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «كَفى بى عِزّاً أنْ أكُونَ لَكَ عَبْداً وَكَفى بى فَخْراً أنْ تَكُونَ لى رَبّاً»[۵۸۱].

أو أنّ المراد بالفقر، الحياة البسيطة الخالية من التكلف والتعقيد إزاء الثراء الذى يؤدى إلى السكر والغرور والتطاول.

والعبارة «شعار الصالحين» عن الفقر، والتعبير ب «العقاب المعجل» عن الغنى، شهادة واضحة على هذا المعنى، لأنّ شعار الصالحين قطعاً مايوجب الصلاح والفلاح؛ كالزهد وبساطة العيش وعقوبة المعصية ترتبط بالأمر الملوث بالذنب.

كما يحتمل أن تكون بعض الروايات التى أثنت على الفقر تشـير إلى الفقر المفروض الـذى يطال الإنسان إثر القيام بالوظيفـة، مثلًا، فى بداية الدعوة النبوية اضـطر العديد من المسـلمين إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ولم يتمكنوا من حمل ممتلكاتهم معهم فعانوا هناك من فقر شديـد أو المسـلمون الـذين حاصـرهم خصوم الدعوة اقتصادياً فأصـبحوا فقراء، الفقر الذى أصابهم بسـبب الإيمان باللّه وطاعة أوامره وكان النّبى صلى الله عليه و آله يواسيهم ويبيّن لهم أنّ الفقر مدعاة للفخر وشعار الصالحين.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۱۶

كمـا عـانى خواص أهـل‌البيت عليهم السـلام فى العصور اللاحقـة بمضـمون المثـل المعروف «الْبَلاءُ لِلْوِلاءِ» من هـذا الفقر المفروض واسـتمر ذلك حتى عصـرنا الحاضـر، وهـذا الفقر ليس بعيداً عن العيب فحسب، بل هو فخر، والعيب أن يتخلى الإنسان عن الوظيفة من أجل الدنيا والاستسلام للعدو.

وإلى ذلك أشار الحديث الشريف «مَنْ أَحَبَّنا أهْلَ الْبَيْتِ فَلْيُعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْباباً»[۵۸۲].

وعليه فالفقر الحاصل من الكسل والهروب من العمل أو سوء الإدارة ليس مطلوباً للإنسان قطّ.

ويشـير كلام الإمام عليه السـلام فى هذا الدعاء إلى أنّ سلسـلة من الرذائل الأخلاقيّة التى يفرزها الفقر بمعنى العوز والحاجة، فالتواضع للأشرار ومدح وذم من لا يستحق، لمن تلك الرذائل الأخلاقيّة التى تنشأ من الفقر بمعنى العوز.

الجملة «لا تَبْذُلْ جاهى بِالْاقْتارِ» دليل على أنّ الفقر الفردى يزيل ماء وجه الإنسان، والفقر الاجتماعى يزيل ماء وجه المجتمع وهذا ما لا ينسجم أبداً والعزة الناشئة من الإيمان: «وَلِلّه الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ»[۵۸۳].

قـال أميرالمؤمنين على عليه السـلام: «يـا بُنَىَّ الْفَقيرُ حَقيرٌ لايُسْـمَعُ كَلامُهُ وَلا يُعْرَفُ مَقامُهُ لَوْ كانَ الْفَقيرُ صادِقاً يُسَمُّونَهُ كاذِباً وَلَوْ كانَ زاهِداً يُسَمُّونَهُ جاهِلًا».

ثم أضاف عليه السـلام: «يا بُنَىَّ مَنِ ابْتُلِىَ بِالْفَقرِ ابْتُلِىَ بِأَرْبَعِ خِصالٍ: بِالضَّعْفِ فى يَقينِهِ وَالنُّقْصانِ فى عَقلِهِ وَالرِّقَّةِ فى دينِهِ وَقِلَّةِ الْحَياءِ فى وَجْهِهِ، فَنَعُوذُ بِاللّه مِنَ الْفَقْرِ»[۵۸۴].

وإننا لنرى اليوم بام أعيننا أنّ الفقر مصدر ما لا يحصـى من المفاسد كالابتلاء بالمخدرات والفحشاء والخيانة والسـرقة وخدمة الأجانب وما شابه ذلك، ومن هنا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «غِنىً يَحْجُزُكَ عَنِ الظُّلمِ خَيرٌ مِنْ فَقْرٍ يَحْمِلُكَ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۱۷

عَلَى الْإِثْمِ»[۵۸۵].

ولذلك قال النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «الْفَقْرُ سَوادُ الْوَجهِ فِى الدّارَينِ»[۵۸۶].

وقال صلى الله عليه و آله أيضاً: «كادَ الْفَقْرُ أنْ يَكُونَ كُفراً»[۵۸۷].

ومن الطبيعى أن تكون تلك العيوب التى اشير إليها أعظم خطورة إن عمّ الفقر المجتمع، وإننا نرى اليوم المجتمعات الإسلاميّة الفقيرة كيف هوت فى مخالب الأجانب وأعداء الإسلام بما يدعو الإنسان إلى مزيد من الأسى والأسف.

ونختتم هذا البحث بدعاء عن الإمام السجاد عليه السلام ضمن أحد أدعيته العميقة المعانى إذ تضرع: «اللّهمَّ إنّى أسئَلُك خَيْرَ الْمَعيشَةِ مَعيشَةً أقْوى بِها عَلى طاعَتِك وَأبْلُغُ بِها جَميعَ حاجاتى وَأَتَوَسَّلُ بِها إلَيك فى الْحَياةِ الدُّنْيا وَفى الآخِرَةِ مِنْ غَيْرِ أنْ تُتْرِفَنى فيها فَأطْغى أوْ تَقْتُرَها عَلىّ فَأَشْقى»[۵۸۸].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۱۹

الخطبة ۲۲۶

اشارة

فى التَّنْفيرِ مِنَ الدُّنْيا[۵۸۹]

نظرة إلى الخطبة

تتكون هذه الخطبة فى الواقع من ثلاثة أقسام وكل قسم فى مطلب مكمل لمطلب آخر: خاض الإمام عليه السلام فى القسم الأوّل فى التعريف بالدنيا أنّها دار متقلبة مليئة بالأحداث الأليمة دائمة التغير وأهلها عرضة لسهام البلاء.

وحذر فى القسم الثانى من أن قبلكم كثير ممن عمّر الدنيا وكانوا أكثر منكم إمكانات وأقوى لكنهم رحلوا جميعاً وحلّوا مساكن من التراب والطين والحجر بدل تلك القصور، هى قبورهم.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۲۰

وقال فى القسم الثالث: إنّكم سائرون على طريقهم وملاقون مصيرهم. وسيحل اليوم الذى تنتهى فيه حياتكم وتضم القبور أجسادكم وستبعثون من تلك القبور وتظهر لكم أعمالكم التى أسلفتم وعليكم تبعتها.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۲۱

القسم الأوّل

اشارة

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا.

أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

الشرح والتفسير: تقلب احوال الدنيا

تناول الإمام عليه السلام كما قيل فى هذا الجانب من الخطبة تقلّب الدنيا وغدرها فقال:

«دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ[۵۹۰] مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا[۵۹۱]».

والبلاء الذى يصيب الحياة فى هذه الدنيا كثير ومتنوع من قبيل الأمراض البدنيّة والنفسيّة والأحداث الاجتماعية الأليمة والعواصف والزلازل والسيول والغارات والحروب وما يؤدى إلى جرح الإنسان أو موته وفقدان الأعزّة وأمثال ذلك.

والعبارة: «دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ» إشارة بليغة لكل ما ذكر، غدر الدنيا وربّما يشير إلى أهلها الغدرة غالباً فإن أقبلت الدنيا على أحد أحيوه وإن ولّت ولّوا كأنّهم لم يعرفوه. أو إشارة إلى غدر النعم الدنيوية بينما ترى الإنسان سالماً معافى ويظن أن وضعه سيستمر كذلك وإذا بحادث بسيط يقضى على سلامته، أو تراه جمع أموالًا وثروة طائلة فتفاجأ بحدث أفلسه. وتقلّب الدنيا المبين فى العبارة «لَا تَدُومُ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۲۲

أَحْوَالُهَا» نتيجة لتلك الحوادث المتنوعة والبلايا التى تصيب الإنسان من كلّ جانب، وعدم أمن سكنتها فى العبارة «وَ لَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا» بسبب تلك الحوادث المريرة وتقلبات الدنيا.

ثم أكّد عليه السلام ذلك بعبارة موقظة فقال: «أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ ۵۹۲] مُتَصَرِّفَةٌ[۵۹۳]، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، الْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ».

وتاريخ البشريّة برمته شاهد حى على هذا الكلام العميق المعنى وأبعد من ذلك آيات القرآن التى تكشف الستار عن قصص الماضين، والصورة ذات العبرة التى رسمها القران أواخر سورة القصص عن حياة الثرىّ المعروف من بنى إسرائيل قارون الذى ظهر يوماً بين بنى إسرائيل بزينته وخدمه وحشمه ويستعرض قوّته وثراءه أمام الجميع حتى انبرى البعض منهم ممن غرّته زخارف الدنيا ليقولوا: «يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ» ولم يطلع الغد حتى ابتلعته الأرض بالزلزلة والخسف بكلّ ما يملك فأخذت أصحاب الدنيا الرهبة ليقولوا «لَوْلَا أَنْ مَّنَّ اللَّه عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا».

ولا تبدو هذه الحوداث قليلة فى عصرنا، بل اتسعت للغاية وانتشرت لنرى كلّ يوم تلك المشاهد باعيننا.

ثم شبّه الإمام عليه السلام فى ختام هذا المقطع حوادث الدنيا وسكنتها تشبيهاً رائعاً فقال: «وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ[۵۹۴]، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا[۵۹۵]».

نعم فالناس فى هذا العالم أهداف فاقدة للدفاع أمام سهام البلاء المصوبة نحوها من اليمين والشمال والأعلى والأسفل؛ السهام التى قلّما تخطئ وتصيب كبد الهدف فتقضى عليه، وهل من أمن فى الميدان الذى أحاط به الرماة ويستهدفون الإنسان

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۲۳

كلّ حين؟! أليست الحياة مذمومة قبيحة فى هذا الوسط؟ لعل ذلك الميدان مليئ بالجواهر والألبسة الفاخرة والأطعمة المتنوعة، لكن هل يسع هذه الأمور إسعاد الإنسان فى ذلك الوسط؟! كلا. هنالك قصة معروفة من شأنها تجسيد غدر الدنيا.

تأمّل: دار محفوفة بالبلاء

هذا العالم موضع المشاكل والمصائب والآلام والمحن. وإننا نعلم إجمالًا بهذا الموضوع، لكننا غالباً نتأمل فى شرحه وتفصيله.

والآفات التى تهدد سلامة الإنسان أكثر من أن تحصى. تتألف بنية الإنسان من أعضاء مختلفة لكل منها عدّة شرائط للقيام بوظيفته، وأدنى تغير فى تلك الشرائط بالنسبة للقلب والكليتين والعروق والأعصاب والعضلات والعظام يخلق أزمة.

يعتقد بعض الأطباء بأنّ كبد الإنسان يدفع ثلاثمائة نوع من السموم ولو اختل قليلًا لما وسعه دفع بعضها وهذه أولى الأزمات، وهكذا العين والأذن والأنف واللسان وأمثالها ولو تجاوزنا الآفات الباطنية فإنّ الآفات الظاهرية كثيرة للغاية ومتنوعة بحيث إنّ موت الإنسان كامن فى عوامل حياته؛ فالمطر مصدر الحياة لو زاد عن حدّه لكون سيولًا عظيمة تأتى على كل شىء، والرياح المهمّة للحياة لو ازدادت سرعتها لأصبحت عاصفة تجتث الأشجار وتقذف بسقوف المنازل بعيداً، والشمس الذى تفيض بأشعتها الحياة لو تركزت هذه الأشعة لأصيب الإنسان بضربة الشمس وهدده خطر الموت، والأرض التى يسكنها الإنسان ومنها جميع البركات لو طغت وحدثت

الزلازل لأحالت مدناً عمرت بالبناء لسنوات إلى ركام من التراب خلال لحظة.

وآفات النباتات وطغيان البحار وهجوم الأمراض المعدية من الأرض والهواء والماء والطعام كلّ منها من شأنه تهديد حياة الإنسان، وإذا صدرت الأوامر لأسراب

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۲۴

الجراد بالهجوم وتقدمت بجيشها الجرار من كلّ مكان لأبادت أوراق الأشجار والسيقان والمحاصيل دون أن يسع أحد مواجهتها ولو بأقوى الوسائل المتطورة.

هذا ما يتعلق بالحوادث الطبيعية أمّا الآفات الاجتماعية فليست بأقل منها خطراً، فهنالك الحروب الدموية كالبراكين التى تحدث كلّ يوم فى منطقة من العالم والتى تهدد على الدوام حياة الإنسان، التنافس المحموم للاستيلاء على المناصب السياسية والقضايا الاقتصادية تمزق كلّ يوم أنف جماعة فى التراب أو تقضى على حياتها الاختلافات الاسرية التى تؤدى إلى الطلاق وتصدع كيان الاسرة وعقوق الأبناء وخيانة الشركاء وأصحاب السوء وضربات المنافقين كلّ منها عامل يهدد حياة الإنسان واستقراره.

وعليه فلابدّ أن نقبل بكلّ كياننا على كلام «دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ».

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۲۵

القسم الثانى

اشارة

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّه أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَعْمَرَ دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً؛ أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُم هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً. فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِالْمُشَيَّدَةِ، وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورَ وَالاَجْحَارَ الْمُسَنَّدَةَ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ، الَّتى قَدْ بُنِىَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا؛ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْاَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ، عَلَى ما بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ، وَدُنُوِّ الدَّارِ.

وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى.

الشرح والتفسير: جيران متباعدون

أخذ الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة يد مخاطبيه ليحملهم إلى أعماق تاريخ الماضين ليريهم مصيرهم بعد ذلك العمر الطويل وتلك القوّة والاقتدار ويضع أمسهم مع يومهم فيلهم مخاطبيه وجميع عباد اللَّه من كلّ ملّة ونحلة أعظم وأعمق درس وعبرة فقال: «وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّه أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ».

ثم خاض عليه السلام فى شرح هذا المجمل فقال: «مِمَّنْ كانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَعْمَرَ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۲۶

دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً؛ أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُم هَامِدَةً[۵۹۶]، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً[۵۹۷]».

وقد قدّم القرآن فى مختلف السور نماذج واضحة لهؤلاء الأقوام، ومن ذلك قوم عاد وثمود كنموذج واضح فقال فى سورة والفجر

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ* إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ* الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ* وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ* وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ* الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ»[۵۹۸].

فقد ذكر عليه السلام ثلاث خصائص تفيد رجحان الأقوام السابقة عليهم؛ الاولى طول العمر (بحيث قيل إنّ بعضهم كان يعمر أربعمائة سنة)[۵۹۹] وعمارة المدن حتى قال فيهم القرآن: «وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ»[۶۰۰]. وكانت لهم أراضٍ عامرة وبساتين نضرة ونعمة وافرة وكانوا بارعين في الزراعة.

وأخرى كانت آثارهم أبقى، إشارة إلى أنّ مساكنهم وقصورهم وسائر أعمالهم العمرانية كانت على درجة من الإحكام بحيث بقيت لسنين عديدة، لكن كيف كانت عاقبتهم، سكنت الأصوات والضجيج وسيطر عليها الصمت وتعفنت أجسادهم تحت التراب وبليت عظامهم وطويت آثارهم.

والعبارة «وَرِياحُهُم رَاكِدَة» بالنظر إلى أنّ رياح جمع ريح والريح هنا بمعنى الروح والقوّة فمفهوم ركودها أنّهم قعدوا تماماً عن العمل، وفسّره البعض بمعنى سكون ريح الغرور. كما يحتمل أن يكون المراد بها الريح التي تطال رايات الملوك والمقتدرين.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۲۷

ثم أشار عليه السلام إلى قضية مهمّة بعد مغادرتهم لتلك القصور الفارهة والحياة المترفة وأين حلّوا فقال: «فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ[۶۰۱]، وَالنَّمَارِقِ ۶۰۲] الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ[۶۰۳]، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ[۶۰۴] الْمُلْحَدَةَ[۶۰۵]».

حقّاً يا له من أمر عظيم أن ينتقل الإنسان من ذروة القدرة وهو يعيش النعمة واللذّة إلى النقطة المقابلة تماماً، فلا بيت ولا شمعة ولا سراج ولا فراش ولا نعمة وبطر. طبعاً هذا الأمر المؤلم بالنسبة لأولئك الذين اعتادوا الحياة المرفهة والمريحة، أمّا أولئك الذين عاشوا حياة الزهد والبساطة فلا يعانون من هذا الانتقال، لاسيما أنّ القبر بالنسبة لهم روضة من رياض الجنّة.

ثم خاض في بيان وضع قبورهم وسكنتها فقال: «الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا[۶۰۶]، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا؛ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ».

نعم، إن كانت قصورهم بنيت بمواد قيمة باهضة جمعت بجهد جهيد من مختلف المناطق فإنّ قبورهم بنيت بمواد لا قيمة لها فهي حفنة تراب، وسكنة هذه القبور في حالتين متناقضتين، القرب والبعد، قريبون من حيث المكان وبعيدون من حيث الإرتباط، أو أنّهم منهمكون بأنفسهم إلى درجة عدم الإرتباط بالآخرين، أو لا يؤذنون لهم بالإرتباط، ويبدو أنّ ذلك ليس مهماً لهم، لكنّهم في الواقع متضجرون

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۲۸

لأنّه وإن لم يكن هناك شيء من الأمور الدنيوية، لكنّهم وجلون من أعمالهم بحيث لا يكترثون لغيرهم (طبعاً يحدث كلّ هذا في الحياة البرزخية).

ثم قال عليه السلام في مواصلة ذلك: «لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ، عَلَى ما بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ، وَدُنُوِّ الدَّارِ».

العبارة «لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ» لعل العبارة لا يستأنسون بالأوطان إشارة إلى أنّهم وإن ناموا سنين متمادية في قبورهم؛ لكن لا رغبة لهم بها ولا يأنسون بها، كما احتمل أن يكون المراد ترك إرتباطهم بأوطانهم في عالم الدنيا فهم لا يفكرون في الرجوع إليه، إلّاأنّ المعنى الأوّل بقرينة العبارة (ولا يتواصلون ...) أصوب.

وأشار عليه السلام في الختام إلى هذه النقطة، لم لا يسعهم الإرتباط مع بعضهم: «وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ ۶۰۷] الْبِلَى، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ ۶۰۸] وَالثَّرَى ۶۰۹]!».

إشارة إلى أنّهم كانوا متلاصقين في قبورهم، لكنّهم فقدوا كلّ قدرتهم وتحولوا إلى قبضة تراب، وهل من تزاور ولقاء من العظام

البالية والأجساد الخاوية؟

غَرِيبٌ وَأَطْرافُ الْبُيُوتِ تَحُوطُهُألا كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرابِ غَرِيبٌ ۶۱۰]

تأمّل: عاقبة الإنسان بعد الموت

ما ورد فى الجمل المذكورة قرينة من الجمل التى جاءت بعدها والتى ترتبط بجسم الإنسان بعد الموت، لأنّ الأجساد تتحول إلى التراب وليس فى مقدورها الترابط والتواصل بل تعيش الغربة تماماً.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٢٩

ولا شك أنّ الأرواح لها شأن آخر، فإنّ أرواح المسيئين فى عذاب شديد كما أشار القرآن الكريم إلى نماذج منها مثل عاقبة آل فرعون حيث قال:

«النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»[۶۱۱].

وأمّا أرواح الأخيار فى الجنّة البرزخيّة وكما قال القرآن الكريم بشأن الشهداء الذين قتلوا فى سبيل اللَّه: «فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّه مِنْ فَضْلِهِ»[۶۱۲].

بل هذا ما يستفاد من بعض الروايات أنّ أرواح الأخيار فى تلاقى وتزاور، بل هم فى حلقات الانس والمؤانسة.

فقد روى المرحوم الكلينى فى الجزء الثالث من كتاب «الكافى» فى باب أرواح المؤمنين عن حبّة العرنى قال: خرجت مع أميرالمؤمنين عليه السلام إلى الظهر، فوقف بوادى السلام كأنّه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتى أعييت ثم جلست حتى مللت، ثم قمت، حتى نالنى مثل ما نالنى أوّلًا، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائى فقلت: يا أميرالمؤمنين إنى قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة! ثمّ طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال لى: «يا حَبّة، إنْ هُو إلّامُحادثةُ مُؤمن أو مُؤانسته». قال: قلت: ياأميرالمؤمنين، وإنّهم لكذلك؟ قال: «نَعم، وَلَو كُشِفَ لَكَ لَرأيتَهُم حَلَقاً حَلَقاً مُحبتين يَتَحادَثُون». فقلت: أجسام أم أرواح؟ فقال: «أَرواحٌ، وَما مِن مُؤمنٍ يَموتُ فِى بُقعَةٍ مِن بِقاع الأرضِ، إلّاقِيلَ لِروحِه: إلحَقى بِوادى السّلام، وإنّها لَبُقعةٍ مِنْ جَنّةِ عَدنٍ»[۶۱۳].

وعلى هذا الأساس فإنّ الإمام على عليه السلام صرّح فى هذه العبارات إلى عدم انحصار الموت بالحياة الجسمانيّة للإنسان ولا بعالم الأرواح فقط، وذلك أنّ أغلب الناس

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٣٠

فى هذه الحياة يقتصرون على الجانب المادى والملذات الجسمانية فقط، بل يحذرهم بأنّ هذه الأجساد إلى أين يكون مصيرها؟ فعليكم أن تستيقظوا من سباتكم ولا تنغمسوا فى الملذات الجسمانية والمعاصى والذنوب فقط.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٣١

القسم الثالث

اشارة

وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ. فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْامُورُ، وَبُعْثِرَتِ

الْقُبُورُ: «هُنَالِك تَبْلُو كُلَّ نَفْس مَا أَسْلَفَتْ، وَرُدُّوا إِلَى‌اللَّه مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

الشرح والتفسير: المصير المحتوم

طبق الإمام عليه السلام على مخاطبيه هنا ما أورده بشأن مصير الأسلاف كى لا يظنّوا أنّ الوفاة ومغادرة القصور والثروات وإمكانات الحياة واللحاق بالموسدين تحت التراب الذين لم‌يحملوا معهم شيئاً ولايتصلوا ببعضهم مقتصر على‌أولئك‌الأسلاف فقال: «وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذلِكَ الْمَضْجَعُ ۶۱۴]، وَضَمَّكُمْ ذلِكَ‌الْمُسْتَوْدَعُ».

نعم فهذا قانون لا استثناء فيه مع أنّ لكل عام ما يخصصه، إلّاأنّ هذه الأمور لا تخصص (أى أنّ تلك القاعدة لها استثناء أنّها لا تعرف الاستثناء فى بعض الموارد).

ثم أشار عليه السلام إلى قضية مهمّة وهى أنّ مشكلة الإنسان لا تنتهى بالموت، والمشكلة حضوره محكمة القيامة ومسؤوليته عن صغار أعماله وكبارها فقال:

«فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ ۶۱۵] بِكُمُ الْامُورُ، وَبُعْثِرَتِ ۶۱۶] الْقُبُورُ: «هُنَالِك تَبْلُو[۶۱۷]. كُلُّ نَفْس مَا

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٣٢

أَسْلَفَتْ، وَرُدُّوا إِلَى اللَّه مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَفْتَرُونَ».

نعم هنالك بعض الأمور المهمّة فى ذلك اليوم؛ فالجميع حاضرون بين يدى العدل الإلهى ويرون ى أعمالهم أمام أعينهم ولا تنفع جميع الأعذار الواهية والكذب لتبرير أسباب المعصية والانحراف وليس لأحد من سبيل للهروب من نتيجة أعماله.

حقاً لو تأمّل الإنسان هاتين القضيّتين سيرى أنّ الحياة آيلة للزوال وسيترك كلّ شىء ويلتحق بالنائمين تحت التراب ثم يعقب ذلك الحساب وجزاء الأعمال، الحساب الذى لا مفرّ منه؛ لو فكر فى هذين الأمرين لراقب أعماله قطعاً فى هذه الدنيا ولما بدر منه كلّ هذا الفساد والعصيان.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٣٣

الخطبة ٢٢٧

اشارة

يَلْجَأُ فيهِ إِلَى اللَّه لِيَهْدِيَهُ إِلَى الرَّشادِ[۶۱۸]

نظرة إلى الخطبة (الدعاء)

يتألف هذا الدعاء العميق المعنى ذو المضامين الرفيعة من قسمين:

القسم الأوّل فى حبّ اللَّه لعباده والمتوكلين عليه والعلم ببواطنهم.

ويستعيذ عليه السلام فى القسم الثانى باللَّه ليرشده فى الحوادث المضلّة ويهديه لما فيه الخير ويعامله برحمته لا بعدله.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٣٥

القسم الأوّل

اشارة

اللّهُمَّ إِنَّک آنَسُ الْانِسِـينَ لِاوْلِيَائِک، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْک. تُشَاهِدُهُمْ فِی سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِی ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ. فَأَسْـرَارُهُمْ لَک مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْک مَلْهُوفَةٌ. إِنْ أَوْحَشَـتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُک، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمْ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَی الْاسْتِجَارَةِ بِک، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الْامُورِ بِيَدِک، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِک.

الشرح والتفسير: انس العباد

تضـرع الإمـام عليـه السـلام إلى اللّه فى مسـتهل هـذا الـدعاء المهـذّب للروح والمربّى للإنسـان قائلًا: «اللّهُمَّ إِنَّک آنَسُ ۶۱۹] الْانِسِينَ لِاوْلِيَائِک، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْک».

إشارة إلى أنّ من تحلّى بهاتين الصـفتين سيشـمل بهـذه النعمـة العظيمة بالأُنس باللّه وقضائه لمشاكله بأن يكون فى عداد أولياء اللّه أو المتوكلين عليه، وهكـذا يعطى الإمـام عليه السـلام درساً فى تهـذيب الإنسان ضـمن مناجاته لربه. ولما كان حلّ المشاكل منوط بالعلم بهم قال مواصـلًا دعاءه: «تُشَاهِـدُهُمْ فِی سَـرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِی ضَـمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ. فَأَسْـرَارُهُمْ لَک مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْک مَلْهُوفَةٌ[۶۲۰]».

نعم، اللّه عالم بأسرارهم وبواطنهم، فهو أقرب إلينا من حبل الوريد: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۳۶

الْانْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»[۶۲۱].

ولعـل الفارق بين السـرائر والضـمائر أنّ السـرائر تقال للحالات الخلقيـة والضـمائر للنيات التى تساور قلب الإنسان ويتحرك إثرها. كما تسـتعمل هاتان المفردتان بنفس المعنى. وبصائر البشـريّة بالإضافـة لاكمالها مفهوم هذا الدعاء تكمن فى المراقبة التامة للظاهر والباطن والنيّة والعمل، فاللّه عالم بكلّ هذه الأمور، أسرارهم الخفية مكشوفة للّهونيّاتهم ظاهرة له.

والعبارة: «قُلُوبُهُمْ إِلَيْک مَلْهُوفَةٌ» نتيجة لإيمانهم باللّه ومعرفتهم به وتوكّلهم عليه.

فكلما إزداد الإيمان والعلم به إزداد شوقه لمبدأ الرحمة والحبّ والكرم.

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة هى أنّ أولياء اللّه والمتوكلين عليه لا يركعون قط للمصائب ولا يفقدون ثقتهم باللّه فقال: «إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُک، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمْ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَی الْاسْتِجَارَةِ بِک، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الْامُورِ بِيَدِک، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِک».

وفى الواقع أنّ كلّ هذه الصـفات والحالات ناشـئة من الإيمان بالتوحيد الأفعالى ويشير إلى أنّ هذا الغصن من التوحيد إن نما فى روح الإنسان أفضى إلى ثمار جمّة، فلا يشعر بالوحدة إزاء المشاكل ولا يشعر بالغربة فى وحدته.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۳۷

القسم الثانى

اشارة

اللهمَّ إِنْ فَهِمْتُ عَنْ مَسْأَلَتِی، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِی، فَـدُلَّنِی عَلَی مَصَالِحِی، وَخُـذْ بِقَلْبِی إِلَی مَرَاشِـدِی، فَلَيْسَ ذلِک بِنُكْر مِنْ هِـدَايَاتِک، وَلَا بِبِدْع مِنْ كِفَايَاتِک.

اللّهمَّ احْمِلْنِی عَلَی عَفْوِک، وَلَا تَحْمِلْنِی عَلَی عَدْلِک.

الشرح والتفسير: اللَّه كهف الورى

عقب بيان مقدمات الدعاء وإعداد القلب والروح للتضرع إلى اللَّه الذى ورد سابقاً، خاض الإمام عليه السلام هنا فى أصل الدعاء فذكر أصلًا كلياً أوجز فيه طلباته دون التركيز على كل واحدة فقال: «اللّهمَّ إنْ فَهِهْتُ ۶۲۲] عَنْ مَسْأَلَتِی، أوْ عَمِیتُ عَنْ طِلْبَتِی، فَدُلَّنِی عَلَی مَصَالِحِی، خُذْ بِقَلْبِی إلَی مَرَاشِدِی، فَلَیْسَ ذلِک بِنُکْرٍ مِنْ هِدَایَاتِک، وَلَا بِبِدْعٍ مِنْ کِفَایَاتِک».

فهذا الدعاء ينطوى على منتهى الآدب أمام اللَّه وتلاحظ فيه ضمنياً شموليّة لجميع الطلبات ويشير إلى هذه الحقيقة وهى أننا مهما علمنا بمصالحنا ومطالبنا مع ذلك تغيب عنّا كثيراً من الأمور أو نخطئ فى تشخيصها؛ إلّاأنّ اللَّه أعلم بمفاسدنا ومصالحنا، فنسأله إرشادنا لمصالحنا وما نسأله اللَّه ما فيه خيرنا وصلاحنا ولا يستبعد ذلك قط من لطف اللَّه.

وأود أن أذكر هنا حديثاً رائعاً عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّ الحسن البصرى

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۳۸

قال: «لَیْسَ الْعَجَبُ مِمَّن هَلَک کَیْفَ هَلَک وَ إنّما الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجا کَیفَ نَجا».

فقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «لَیْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجا کَیْفَ نَجا وَإنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَک کَیْفَ هَلَک مَعَ سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّه»[۶۲۳].

ثم ابتهل عليه السلام فى الختام: «اللّهمَّ احْمِلْنِی عَلَی عَفْوِک، وَلَا تَحْمِلْنِی عَلَی عَدْلِک».

وكأنّه عليه السلام عدّ العدل والعفو فى هذه العبارة مطيّة، والعدل مطية مقلقة بينما العفو مطيّة سمحة فسأل اللَّه أن يحمله على تلك المطية السهلة لنفوز بالقرب هانئين ومرتاحين من العقاب الأليم فى ظل لطفك، وهذا مضمون العبارة التى تورد كدعاء فى الصلاة وغيرها: «إلهَنا عامِلْنا بِفَضْلِک وَلا تُعامِلْنا بِعَدْلِک یا کَرِیمُ».

قال النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «وَالَّذی نَفْسی بِیَدِهِ ما مِنَ النّاسِ أحَدٌ یَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمِلِهِ».

فقال الأصحاب: «وَلا أنْتَ یا رَسُولَ اللَّه؟».

فقال صلى الله عليه و آله: «وَلا أنَا إلّاأنْ یَتَغَمَّدنِی اللَّه بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَوَضَعَ یَدَهُ عَلی فَوْقِ رَأْسِهِ وَطَوَّلَ بِها صَوْتَهُ»[۶۲۴].

تأمّل: أدعية المعصومين عليهم السلام المهذبة

تختزن أدعية النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأئمّة العصمة عليهم السلام جانباً مهماً من التعاليم الدينيّة، ولقراءة هذه الأدعية أثر عظيم فى ترسيخ عرى الإيمان وتهذيب النفوس وتربية الفضائل بالاضافة إلى سوق الإنسان إلى القرب من اللَّه وإبعاده عن الشيطان ووساوسه وتلطيف الروح. ولما كانت تلك الأدعية نابعة من الروح السامية للمعصوم فهى جميعاً فى مستوى رفيع واحد وإذا تلاها الإنسان عالماً بمضامينها ساقته لذروة المعرفة والكرامة فإذا جمعت هذه الأدعية- وقد تصدى لذلك أخيراً بعض

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۳۹

المحققين ۶۲۵]- كانت خزانة نفيسة من المعارف الدينية والدروس الخلقية ومرآة السير والسلوك إلى اللَّه. وقد وردت على هامش خطب نهج البلاغة والرسائل.

وقصار الكلمات ما يقارب ثلاثين دعاءً تؤيد بأجمعها ما ذهبنا إليه. فبعض الأدعية كدعاء الصباح وكميل وعرفة للإمام الحسين عليه السلام وأدعية الصحيفة السجاديّة وسائر الأدعية كالندبة وغيره التى وصلت عن المعصوم عليه السلام كلّ واحد منها شاهد آخر على هذه الدعوى، وليت اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام سبقوا سائر المذاهب الإسلاميّة بهذا الخصوص وألزموا الشبّان بحفظ مقاطع

من هذه الأدعية (مع فهم معانيها) ليُصانوا من هجوم أمواج المعصية التى تنامت فى عصرنا.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۴۱

الخطبة ۲۲۸

اشارة

يُرِيدُ بِهِ بَعْضَ أصْحابِهِ ۶۲۶]

نظرة إلى الخطبة

هذا الكلام الموجز تعريف بشخصية أدّت وظائفها فى عصرها ورحلت طاهرة وجهدت فى حفظ سنّة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وطاعة اللّه. هنالك خلاف بين الشرّاح فى هذه الشخصية. فالشرّاح من أبناء العامّة كابن أبى الحديد ومحمد عبدة زعموا أنّها إشارة إلى الخليفة الثانى وزعموا أنّ عليّاً عليه السلام قال هذا الكلام بعد وفاة عمر، فى حين لا ينسجم هذا الكلام مع سائر خطب «نهج البلاغة». فقد شكا عليه السلام كثيراً فى الخطبة الشقشقية من خلافة الثانى وبث شدّة شكواه من غصب الخلافة فى الخطب وبعض الرسائل، فكيف يمكن تجاهل كلّ ذلك واعتبار هذا الكلام المبهم والمجمل فى الخليفة الثانى؟

والطريف أنّ الطبرى ۶۲۷] الذى يراه فى عمر إنّما رواه عن المغيرة بن شعبة وهو من

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۴۲

خصوم على عليه السلام.

العجيب ما قاله ابن أبى الحديد أنّه رأى فى نسخة من «نهج البلاغة» بخط الرضى أنّه كتب «عمر» تحت كلمة فلان ويدل هذا على أنّ الرضى له مثل هذا الاعتقاد[۶۲۸]، والحال لا يستبعد أبداً أنّ تلك النسخة إن كانت أصلية تقلّبت لسنوات بيد هذا وذاك فكتب بعضهم تلك الكلمة.

والأعجب من ذلك أنّ ابن أبى الحديد روى حديثاً عن ابن عباس (ج ۱۲، ص ۲۰) ذكرناه سابقاً أنّ النّبىالأكرم صلى الله عليه و آله أراد أن يكتب بصراحة اسم على وصيّه فى مرضه الذى توفى فيه فمنعته.

فهل ينسجم هذا الكلام مع تفسير ابن أبى الحديد للخطبة التى تبحث؟

ولنفرض أنّ كلام على عليه السلام كان فى عمر، فلا يبعد هذا الاحتمال أنّه لم يكن جدّياً وكان تقية، سيما طبق الرواية المذكورة أنّ المغيرة طرح هذا السؤال بعد وفاة عمر، بالنظر إلى أنّ المغيرة كان طالحاً ولعله أراد بثّ الشر فى صفوف المسلمين.

فأورد الإمام عليه السلام هذا الكلام على أساس المصلحة الإسلاميّة، وإلّا فرأيه الصريح ما ورد فى الشقشقية وسائر خطب «نهج البلاغة».

وقوله: فلان، بدل عمر من شأنه تأييد هذا المعنى، فهذا الإبهام علامة على التقية، يوقن للشرّاح الإماميّة أنّ هذا الكلام ليس فى الخليفة الثانى ويعتقدون بأنّه إشارة إلى مالك الأشتر والبعض الآخر يرى أنّه فى سلمان الفارسى يبدو أنّ الاحتمال الأوّل أنسب وينسجم مع موقع مالك ودوره من بين أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام وإمرته للجيش وفكره الرفيع وعزمه الراسخ.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۴۳

لِلَّه بِلَاءُ فُلَانٍ فَلَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ، وَدَاوَى الْعَمَدَ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَّفَ الْفِتْنَةَ! ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا. أَدَّى

إِلَى اللَّه طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ. رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُق مُتَشَعِّبَةٍ، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي.

الشرح والتفسير: مالك الأشتر

لقد اختلف شرّاح الفريقين كما قيل فى تفسير هذه الخطبة والشخص المعنى بهذا الكلام. فقد ذهب أغلب الشرّاح من أبناءالعامّة (سوى صبحى الصالح) إلى أنّ المراد به الخليفة الأوّل أو الثانى فى حين لا ينسجم هذا المدح البليغ مع ذلك الذم الشديد الذى أورده الإمام عليه السلام فى مختلف خطب «نهج البلاغة» ولاسيما الخطبة الشقشقية، ولكلماته حين دفن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام (الخطبة ٢٠٢) فى ذمّهما واستهجان أعمالهما.

ومن هنا أجمع الشرّاح الشيعة على أنّ الخطبة إشارة إلى أحد خواص أصحابه ولاسيما مالك الأشتر، خاصة وردت فى بعض العبارات المروية عنه عليه السلام مثل ذلك المدح البليغ لمالك التى تشير إلى جدارته بهذا الكلام، ومن ذلك ما رواه ابن أبى الحديد فى شرحه أنّه عليه السلام قال:

«رَحِمَ اللَّه مالِكاً فَلَقَدْ كانَ لى كَما كُنْتُ لِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَآلِهِ»[۶٢٩].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣۴۴

على كلّ حال، قال: «للَّه بِلَاءُ فُلَانٍ فَلَقَدْ قَوَّمَ ۶٣٠] الْأَوَدَ[۶٣١]، وَدَاوَى الْعَمَدَ[۶٣٢]، وَأَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَّفَ ۶٣٣] الْفِتْنَةَ!».

البلاء هنا الامتحان ويشير هنا إلى ثواب هذا الامتحان ويعنى أنّ اللَّه امتحنه كثيراً وقد دعا الإمام عليه السلام ليوفيه أحسن الثواب على ذلك البلاء.

وردت فى كثير من النسخ (بلاد) بدل (بلاء) جمع بلد، أىللَّهالبلد التى ترعرع فيها حتى هذا الشخص وهو كلام شائع الاستعمال لدى العرب فيقال: «للَّه دَرُّ فُلان» و «للَّه نادى فُلان».

فقد بيّن عليه السلام فى العبارة أربعاً من صفاته، الاولى أنّه قوم الأوَد ولهذه العبارة معنى واسع يشمل المسائل العقائدية والأخلاقيّة والاجتماعية، والكلام فى العبارة الثانية عن معالجة المرضى يشير قطعاً إلى الأمراض الأخلاقيّة والاجتماعية، وإقامة السُنّة بمعنى العودة إلى عصر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله والتولى عن البدع الكثيرة التى ظهرت بعده صلى الله عليه و آله والعبارة «خَلَّفَ الْفِتْنَةَ» إشارة إلى أنّه ظهرت بعده العديد من الفتن والاختلافات بين المسلمين ومن توفيقاته أنّه لم يتعرض لتلك الفتن.

ثم خاض فى صفات مهمّة أخرى فقال: «ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا».

هذه الصفات الأربع تأكيد لما ورد فى الصفات الأربع السابقة. وبالطبع فإنّ من يقوّم الاوَد ويداوى العمد ويقيم السُنّة سيكون: «نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ وَيُغادرُ الدّنيا مَلِيئاً بِالخيَراتِ».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣۴۵

ثم اختتم عليه السلام الكلام بثلاث صفات أخرى فقال: «أَدَّى إِلَى اللَّه طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ. رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُق مُتَشَعِّبَةٍ[۶٣۴]، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي».

هذا الكلام إشارة إلى الحوادث التى وقعت الواحدة بعد الأخرى بعد مالك الأشتر رحمه الله والتى كانت من آثار موقعة صفين والنهروان والتى يثيرها المنافقون وأعداء الإسلام، فلم يمر يوم دون ظهور فتنة ولا اسبوع وشهر دون قتال.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣۴٧

الخطبة ٢٢٩

اشارة

فى وَصْفِ بَيْعَتِهِ بِالْخِلافهٔ[۶۳۵]

نظرهٔ إلى الخطبهٔ

مضـمون الخطبهٔ واضح. أكّد الإمام على عليه السـلام: إنّى لم اطلبكم للبيعهٔ وأنتم من انبريتم لها وتلهفتم عليها واندفعتم حتى أسـقطتم ردائى وقطعتم نعلى وعمّ الفرح والسرور المجتمع برمته بهذه البيعهٔ.

ترى لِمَ أورد الإمام عليه السـلام هـذه الخطبـهٔ؟ الجواب يكمن فى سائر عبارات الخطبهٔ كون هذه الخطبهٔ جانب من رسالهٔ طويلهٔ رواها الكلينى فى كتـاب الرسائـل حيـث إنّ الإمـام عليـه السـلام لمـا عـاد من النهروان كتب كتاباً وأمر بـأن يقرأ على النـاس، حيث تحرك المنافقون وقصدت فئهٔ، الإمامَ وقالت: ما تقول فى أبى بكر وعمر وعثمان؟

فأجاب الإمام عليه السلام: رغم هذه الظروف وقتالنا لأهل الشام فإنّه سؤال حسن

وسأكتب جواباً شافياً وكافياً وليطلع عليه المسلمون.

ثم كتب ذلك الكتاب التاريخى فى ما يقارب من عشرين صفحهٔ وأمر بقراءته فى صلاهٔ الجمعهٔ. فلما بلغ قضيهٔ مقتل عثمان وبيعته التى تضـمنت ذلك الهجوم الفريـد شـرح ذلك بعبارات موجزهٔ عميقـهٔ المعنى فى هـذه الخطبهٔ، كما شـرح ما حدث من وقائع عقب ذلك حتى يسلـب المتـذرعين الحجـهٔ، وهنالك كلمات رائعـهٔ للإمام بشأن انـدفاع الناس لبيعته ورد بعضه فى الخطبـهٔ الشقشـقيهٔ (الخطبهٔ ۳) والخطبهٔ ۱۳۷.

***

وَبَسَـطْتُمْ يَدِى فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَىَّ تَدَاكَّ الْابِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِىءَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُـرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّاىَ أنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ.

الشرح والتفسير: الإندفاع العجيب لبيعهٔ الإمام عليه السلام

ركز الإمام عليه السـلام فى كلّ هذا الكلام على قضيهٔ مهمّهٔ هى أنّى لست طالباً قط للحكومهٔ وأنتم الذين أصررتم علىَّ، فأشار هنا إلى موضوعين: الأوّل اندفاع الناس المتلهفهٔ لبيعتى، والثانى سرورهم الفائق وفرحهم الكبير بذلك العمل.

فقال فى القسم الأوّل: «وَبَسَـطْتُمْ يَدِى فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ ۶۳۶] عَلَىَّ تَدَاكَّ الْابِلِ الْهِيمِ ۶۳۷] عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِىءَ الضَّعِيفُ».

حقّاً ليس هناك من شبه بين بيعهٔ الناس لعلى عليه السـلام ومبايعهٔ الخلفاء السابقين، فبيعته تشـبه بيعهٔ المسـلمين للنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى فتح مكهٔ فقد سئمت الامّهٔ حكومهٔ

عثمان وعانت الأمرّين على عهـده من غياب العدالـهٔ، ومن هنا كانت متعطشـهٔ للعـدل وحيث رأتها فى ينبوع على عليه السـلام سارعت إليه بتلك اللهفهٔ والشوق.

ذكر المرحوم مغنية فى شرحه «فى ظلال نهج البلاغة» قضية من شأنها ايضاح سبب هجوم الامّة لمبايعة على عليه السلام فقال: قرأت اليوم وأنا أشرح هذه الخطبة نسخة من صحيفة أخبار اليوم المصرية فى ۲۱/ ۱۰/ ۱۹۷۲ مقالة بقلم الأستاذ سامى محمود عنوانها «شرح فى خلافة المسلمين» يقول فيها: لما ولى عثمان الخلافة أسرف فيها وطغت بنى أمية لتفسد هنا وهناك: «الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ»[۶۳۸].

فسلطهم على المسلمين حتى غرقت الامّة فى الفتنة وقامت على عثمان فقتلته.

أمّا على عليه السلام وولده سبطى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان لهم أسلوب واضح وصحيح فلم يفكروا لحظة فى الدنيا وزخارفها، فهجرتهم كانت منذ البداية للَّهورسوله ۶۳۹].

وعليه فلا عجب أن تندفع الامّة لبيعة الإمام على عليه السلام.

وقال فى المرحلة الثانية: «وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّاىَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ ۶۴۰] إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ ۶۴۱] نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وحَسَرَتْ ۶۴۲] إِلَيْهَا الْكِعَابُ ۶۴۳]».

عادة ما يلتحق كبار السن للمشاركة فى الأحداث العادية أو غير العادية، أمّا فى الأحداث الفريدة النادرة التى تشهد حضوراً عظيماً فهنالك حضور حتى للعجزة والمعذورين الذين لا يشتركون فى أى‌تجمع. والإمام رسم بما عهد عنه من فصاحة فريدة حضور الامّة فى ذلك المشهد العظيم وتلك البيعة التاريخيّة بأسمى صورة

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۵۱

وأشار إلى موجة الفرح والسرور العارمة التى اجتاحت جميع أفراد الامّة بحيث خرج لها حتى الضعفاء والعجزة وشهدوا ذلك الحدث العظيم.

تأمّل: البيعة الفريدة المطلقة

رغم أنّ نصب الأئمّة المعصومين عليهم السلام زعماء الامّة خاضع لانتخاب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومن جانب اللَّه كما أنّ اصطفاء النّبى لهذا المقام من جانب اللَّه، لكن للبيعة: أى‌إعلان الوفاء والطاعة دور مهم فى مسيرتهم، ومن هنا أخذ النّبى صلى الله عليه و آله البيعة من الامّة كراراً (بيعة العقبة الاولى والثانية والحديبيّة وبيعة المهاجرات فى المدينة).

وعلى هذا الأساس سعى الخلفاء لأخذ البيعة من الناس؛ إلّاأنّ البيعة لم تكن كبيعة الإمام عليه السلام. فبيعة الخليفة الأوّل فى الواقع حصلت فى السقيفة وشهدها عدد محدود جدّاً وأصبحت الامّة أمام أمر واقع فبايعت.

والخليفة الثانى نصب من جانب الخليفة الأوّل فجعل الامّة أمام فعل حاصل.

وحصلت بيعة الخليفة الثالث فى الشورى المؤلفة من ستة أفراد التى شكلها عمر ولبنتها الأصلية التى صوّتت لعثمان ثلاثة أفراد (عبدالرحمن بن عوف، وطلحة، وسعد بن أبى وقاص) ورأت الامّة أنّها أمام أمر واقع.

أمّا أميرالمؤمنين على عليه السلام- بغض النظر عن كونه منصب من جانب اللَّه بواسطة النّبى صلى الله عليه و آله- فقد انتخب من قبل الأكثرية الساحقة ودون مقدمات فبويع بيعة غاية فى النشاط ومفعمة بالفرح والسرور الذى بيّنه عليه السلام بدقة فى هذه الخطبة، وعليه قد قلنا بضرورة انتخاب الامّة والتعويل على آرائها وأسمينا ذلك بالديمقراطية الإسلاميّة فالحاكم الوحيد الذى حصل على هذه الآراء هو أميرالمؤمنين على عليه السلام دون من سواه.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۵۳

الخطبة ۲۳۰

اشارة

فی مَقاصِدَ أُخْری ۶۴۴]

نظرة إلى الخطبة

تتكون هذه الخطبة فی الواقع من أربعة أقسام:

تحدّث الإمام عليه السلام فی القسم الأوّل عن أهمّية الورع والتقوى وآثارهما.

وتناول فی القسم الثانی بعد الفراغ من الوصية بإتيان العمل الصالح ضرورة ذكر الموت ونهاية الحياة وفقدان الفرص.

وأكّد ثانية فی القسم الثالث على بذل الجهد والسعی للتزود للدار الآخرة فأشار إلى خداع الدنيا مخاطباً المسلمين: احذروا أن تفتنكم الدنيا واعتبروا بما آلت إليه حياة أسلافكم وقارنوا بمصيرهم مصيركم.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۵۴

كما أورد فی القسم الرابع والأخير الذی يبدو منفصلًا عن الخطبة حسب ظاهر كلام السيد الرضی، كلمات موجزة عميقة المعنى فی صفات الزهاد وخصائص معيشتهم وشرح حقيقة الزهد.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۵۵

القسم الأوّل

اشارة

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّه مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ. بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ.

الشرح والتفسير: سرّ السعادة والفلاح

بيّن الإمام عليه السلام فی هذه الخطبة كسائر أغلب الخطب، أهمّية التقوى وآثارها ليوجزها فی سبع عبارات قصيرة عظيمة المعنى، فقال فی الاولى: «فَإِنَّ تَقْوَى اللَّه مِفْتَاحُ سَدَاد[۶۴۵]».

فبالنظر إلى أنّ التقوى هی خشية اللَّه الباطنيّة التی تصد الإنسان عن الفحشاء والمنكر وتسوقه للمعروف والإحسان فإنّه يمكن القول: التقوى مفتاح أبواب السعادة؛ فكما توضع النفائس فی الخزائن وتقفل أبوابها ولا يمكن فتحها سوى بمفاتيحها فإنّ مفتاح التقوى من شأنه فتح خزائن السعادة بوجه الإنسان واستنزال رحمة اللَّه المطلقة.

وقال عليه السلام فی العبارة الثانية: «وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ». وهی إشارة فی الواقع لذيل الآية الشريفة: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى»[۶۴۶].

وقال فی‌الثالثة: «وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ[۶۴۷]».

وسعة مفهوم هذه العبارة يشمل التحرر من عبودية الشيطان واهواء النفس

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۵۶

والظلمة. وقال عليه السلام فى العبارة الرابعة: «وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ» فهلكة الإنسان فى اتّباع هوى النفس، فإذا كبح الإنسان هوى النفس بالتقوى نجا من الهلكة.

وقال عليه السلام فى الخامسة: «بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ» فالتقوى هى الصراط المستقيم البعيد عن كل إفراط وتفريط وتقصير وعدوان، ومن الطبيعى أن يختزل الصراط المستقيم ليوصل الإنسان بأقل مدّة إلى الهدف.

نفحات الولاية ؛ ج۸ ؛ ص۳۵۶

ال عليه السلام فى السادسة: «وَيَنْجُو الْهَارِبُ» فالعذاب الإلهى يطال عبدة الأهواء، والمتقون بعيدون عن الأهواء، وكما ورد فى الآيتين ۷۱- ۷۲ من سورة مريم: «وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً* ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً» وقال عليه السلام فى العبارة السابعة والأخيرة التى تعتبر عصارة العبارات السابقة «وَ تُنَالُ الرَّغَائِبُ ۶۴۸]»، لِمَ عدّ اللَّه الأتقى أكرم إنسان عنده. «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّه أَتْقَاكُمْ»[۶۴۹] ولم كانت التقوى مفتاح الجنّة «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً»[۶۵۰]، ولِمَ لا ينفك الأنبياء وأئمة أهل البيت عليهم السلام وأولياء اللَّه عن التأكيد على أنّ أهم شىء هو التقوى ولم كانت ضرورة فى الوصية بالتقوى فى كلّ صلاة جمعة وفى كلا الخطبتين؟

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۵۷

القسم الثانى

اشارة

فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالأَقْلَامُ جَارِيَةٌ. وَبَادِرُوا بِالْاعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً، أَوْ مَرَضاً حَابِساً، أَوْ مَوْتاً خَالِساً. فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ. زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوب، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوب، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوب. قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ. وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ. فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِى ظُلَلِهِ وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ، وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ، وَغَوَاشِى سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ، وَدُجُوُّ أَطْبَاقِهِ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ. فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ، وَعَفَّى آثَارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ، يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ.

الشرح والتفسير: المعبر الذى لا مفر منه

أوصى الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة بضرورة استغلال الفرص المتاحة قبل حلول الأجل وأكّد ذلك فقال: «فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ[۶۵۱]، وَالأَقْلَامُ جَارِيَةٌ»[۶۵۲].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۵۸

حيث أشار عليه السلام فى هذه العبارات الموجزة إلى أمر مهم: لديكم خمس فرص ما دمتم فى الدنيا: أعمالكم الصالحة ترفع إلى اللَّه ويسعكم أن تغسلوا المعاصى بماء التوبة. ودعاؤكم يسمع عند اللَّه وأنتم وادعون فيمكنكم الإتيان بما تشاؤون من العمل الصالح وأخيراً الملائكة مستنفرون ليكتبوا صالح أعمالكم فى صحيفة أعمالكم، لكن إن مرت هذه الفرصة وكنتم على أعتاب الموت ستسلبون هذه الفرص وليس لكم من زاد سوى الحزن والحسرة.

ثم قال عليه السلام موضحاً كلامه ومكمله: «وَبَادِرُوا بِالْاَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً[۶۵٣]، أَوْ مَرَضاً حَابِساً، أَوْ مَوْتاً خَالِساً[۶۵۴]».

فالواقع أنّ الإمام عليه السلام شجّع جميع مخاطبيه للسبق فى هذه الأمور الثلاثة؛ مدّة الكهولة التى تفقد فيها جميع الأعضاء قوّتها وقدرتها والتى أسماها القرآن الكريم «أرذل العمر» والأمراض التى تطول أحياناً وتسلب الإنسان نشاطه وحيويته فلا يقدر على الإتيان بالعبادات بصورة تامة ولا ـ خدمة المؤمنين وقضاء حوائجهم، والموت الذى شبّهه عليه السلام بالسارق الذى يسرق كلّ شىء من الإنسان خلسة.

ثم وضع حقيقة الموت من خلال ذكره لستّ من خصائصه، الموت الذى لا مهرب منه ولا مفر لأحد من ملاقاته فقال: «فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدُ طِيَاتِكُمْ ۶۵۵]. زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوب، وَقِرْنٌ ۶۵۶] غَيْرُ مَغْلُوب، وَوَاتِرٌ[۶۵٧] غَيْرُ مَطْلُوب».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣۵٩

فقد حذّر عليه السلام من أنّ الزائر الذى يقدم على الجميع والرامى المصوب نحو الجميع والأشوس الذى يعجز عن مواجهته الجميع. فإن قدم حطم كلّ شىء فطوى بساط العيش وصادر اللّذات والمتع وحمل معه الإنسان، والأهم من كلّ ذلك أنّه لا يعرف من معنى للزمان والمكان. حقّاً أنّ هذه العبارات البليغة العميقة المعنى موقظة ومحركة توقظ الغافلين وتفيق الثملين.

وكما خاض عليه السلام فى ستة خصائص أخرى للموت ليكمل كلامه السابق فقال:

«قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ ۶۵٨] غَوَائِلُهُ ۶۵٩]، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ ۶۶٠]. وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ ۶۶١]، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ ۶۶٢]».

شبه الإمام عليه السلام الموت فى هذه العبارات الرائعة بصياد رمى شباكه نحو جميع الناس وأخرى برام لا تطيش سهامه أو سياف قاطع بسيفه.

نعم، إن شكّ الإنسان فى كلّ شىء فلن يشكّ فى الموت ونهاية الحياة. يركع له صناديد أبطال العالم ويقع فى شباكه أذكى الأذكياء وكفى به أنّه لم يستثن حتى الأنبياء والأولياء وكما قال تعالى: «كُلُّ نَفْس ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»[۶۶٣].

وأشار عليه السلام إلى سبعة أمور أخرى بشأن حملات الموت على الإنسان والعجز عن مواجهته فقال: «فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِى ۶۶۴] ظُلَلِه ۶۶۵] وَاحْتِدَامُ ۶۶۶] عِلَلِهِ، وَحَنَادِسُ ۶۶٧]

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣۶٠

غَمَرَاتِهِ ۶۶٨]، وَغَوَاشِى سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ ۶۶٩]، وَدُجُوُّ[۶٧٠] أَطْبَاقِهِ ۶٧١]، وَجُشُوبَةُ[۶٧٢] مَذَاقِهِ».

حيث بيّن عليه السلام بهذه الحملات السبع وبمختلف العبارات وبأدق وصف، اللحظات الرهيبة آخر العمر، لحظات مهولة وموحشة للغاية، لحظات مظلمة ودامية وصف عليه السلام ظلمتها بأربع مفردات مختلفة (دواجى، حنادس، غواشى ودجو) تكشف مدى بلاغة الإمام عليه السلام وتنوع الألفاظ يضاعف فصاحة كلماته وبلاغتها.

ثم حذّر عليه السلام مخاطبيه من نزول الموت المفاجئ وضرورة اليقظة فى أنّ هذا الموت لا يقبل دائماً بعد مقدمات طويلة وأمراض، بل ما أكثر أن يحلّ ويفنى كلّ شىء بلحظة فقال: «فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ ۶٧٣]، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ ۶٧۴]، وَعَفَّى ۶٧۵] آثَارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ، يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ».

وموت الفجأة الذى كان وما زال يفاجىء الناس، أعظم عبرة من غيره، حيث لا يعرف صغيراً أو كبيراً ويطال الإنسان كيفما كان، وقد ذكر المرحوم العلّامة التسترى فى شرحه لنهج البلاغة عدداً من الأنبياء ومنهم موسى وداود وسليمان الذين ماتوا موت الفجأة، نعم، ظاهر القرآن بشأن سليمان يشهد أنّ ملك الموت توفّاه واقفاً مستنداً على عصاه «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ»[۶٧۶].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣۶١

حتى شوهد البعض وقد توفى وهو يتحدّث، فذكر المبتدأ ولم يبلغ الخبر.

فقد بيّن عليه السلام فى هذه العبارات آثار الموت فى وسط المتبقين حيث لا ينقطع كلامه الظاهرى فحسب، بل يخمد حتى الهمس؛ فيتفرق عنه الحاضرون فجأة وسرعان ما تزول آثار الإنسان ويفرغ بيته وينطفئ ضياؤه وإن كان هنالك من ضجيج فبين الورثة الذين عادة ما يتنازعون على الميراث وكأنّهم لا يدرون أنّهم سيلتحقون بالموتى عن قريب.

ثم قسّم عليه السلام الورثة فى ختام هذه الفقرة إلى ثلاث؛ فئة من خواص الإنسان؛ إلّا أنّ مودتهم تزول آنذاك: «بَيْنَ حَمِيم خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ».

والثانية، القرابة المحزونة والملتاعة التى لا يسعها دفع الموت «وَ قَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ». والثالثة، العدو الشامت الذى لا يجزعه موت «وَآخَرَ شَامِت لَمْ يَجْزَعْ».

وأشار الإمام عليه السلام فى المقطع الأخير من كلامه إلى موت الفجأة؛ السكتة القلبية أو الدماغية والحوادث الأليمة المتنوعة التى تفنى الإنسان فى لحظة، الموت الذى لا يأبه بمكانة الأشخاص ولا بعمرهم فيطال كما مضى حتى الأنبياء، ويالها من عبرة يختزنها هذا الموت الذى يحدث كثيراً ويزداد يوماً بعد آخر، ففى لحظة آنية ينتهى كلّ شىء ويتفرق الجمع ويغتنم الصديق ويفرح العدو- ويالهم من غافلين أولئك الذين يتجاهلون هذه الحوادث وينهمكون بالذنوب والمعاصى ويقارفون أنواع الآثام بغية الحصول على المال. نعم إنّ هؤلاء المغفلين ينسون طبيعة ظروف حياتهم.

ورد فى كتاب «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة: فلما كانت سنة إحدى وخمسين، مرض الحسن بن علىّ مرضه الذى مات فيه، فكتب عامل المدينة ا لى معاوية يخبر بشكاية الحسن، فكتب إليه معاوية: إن استطعت ألّا تمضى يوم يمرّ بى إلّاأتينى فيه خبره فافعل،: فلم يزل يكتب إليه بحاله حتى توفى (الإمام الحسن عليه السلام)، فكتب إليه بذلك، فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلك عبداللّه بن عباس وكان بالشام يومئذٍ، فدخل على معاوية، فلمّا جلس قال معاوية:

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۶۲

يا ابن عباس هلك الحسن بن على، فقال ابن عباس: نعم، هلك «إِنّا لِلَّهِ إِنّا إِلَيهِ راجِعُون»[۶۷۷] ترجيعاً مكرراً، وقد بلغنى الذى أظهرت من الفرح والسرور لوفاته، أمّا واللّه ما سدّ جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله فى عمرك، ولقد مات وهو خير منك ولئن أُصبنا لقد أصبنا بمن كان خيراً منه، جدّه رسول اللّه صلى الله عليه و آله فجبر اللّه مصيبته، وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة، ثم شهق ابن عباس وبكى، وبكى من حضر فى المجلس، وبكى معاوية فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم ۶۷۸].

وجاء فى «تاريخ الطبرى»: عندما وصل خبر وفاة على عليه السلام إلى معاوية فرح فرحاً شديداً، وكذلك لما انتهى الخبر إلى عائشة قتل على عليه السلام وقالت:

فَأَلقَتْ عَصاها وَاستَقرّتْ بِها النَّوى كَما قَرَّ عَيناً بِالإيابِ المُسافِرِ

فقالت زينب بنت أبى سلمة: ألعلىّ تقولين هذا، فقالت: إنّى أنسى فإذا نسيت فذكّرونى ۶۷۹].

نعم، فمثل هؤلاء الأشخاص الغفلة ينسون ما هم عليه من العيش الدونى والانحراف وحبّ الدنيا والقدرة.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۶۳

القسم الثالث

اشارة

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُّبِ والْاسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِى مَنْزِلِ الزَّادِ.

وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا. وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً. لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ. فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَايَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَ.

الشرح والتفسير: الدنيا الغرارة!

متابعة لبحث الإمام عليه السلام فى شدائد الموت وفناء الحياة فى المقطع السابق خاطب الجميع فأوصاهم بالتزود من الدنيا ما دامت الفرصة قائمة وعدم الاغترار بزخارفها ولذاتها والاعتبار بالماضيين فقال: «فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُّبِ ۶۸۰] وَالْاسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ».

قال بعض الشرّاح فى الفارق بين الجد والاجتهاد أنّ الجد يشير إلى مرحلة العزم على الإتيان بالفعل والاجتهاد مرحلته العملية، والتأهب إشارة إلى التيّة على الاستعداد والاستعداد جانبها العملى ۶۸۱].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۶۴

لكن لم يذكر لذلك أىدليل من اللغة أو القرائن المتصلة والمنفصلة ولا يبعد أن يكون الجد حين يقترن بالاجتهاد إشارة إلى أنّه ينبعث من الإنسان نفسه ولعل الفارق بين التأهب والاستعداد كذلك، طبعاً لا يستبعد احتمال التأكيد.

ثم قال: «وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ».

نعم، يمكننا مشاهدة مصير حياتنا بصورة شفافة فى مرآة حياة الآخرين وهذه حقيقة أكدها الإمام عليه السلام فى عدّة خطب من «نهج البلاغة» فتأخذ بأيدينا لتضعنا فى تاريخ الماضين؛ التاريخ التكوينى لا التدوينى الذى يتجلى فى أطلال قصورهم الخربة والآثار الباقية من معيشتهم المترفة.

ولحسن الحظ فإنّ المتاحف التى تضم الكثير من آثار الماضين يمكنها أن ترشدنا؛ فعرش الملك الفلانى وتاجه هنا والمهند المرصع وجواهر الآمر الكبير هناك وفى زاوية الأجساد المحنطة للفراعنة، مع أنّ طلاب الدنيا شوهوا هذا الموضوع المهم وأحالوه إلى صورة أخرى من الاستغراق فى الدنيا؛ فأصبحت المتاحف وسيلة تدر الأرباح على أصحابها.

وقال الهيثم بن عدى، عن رجاله: بينا حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسى يتذاكران أعاجيب الزمان، وتغيّر الأيّام، وهما فى عرصَة أيوان كسرى، وكان أعرابى من غامد يرعى شويهات له نهاراً، فإذا كان الليل صيرهنّ إلى داخل العرصة، وفى العرصة سرير رخام كان كسرى ربّما جلس عليه، فصعدت غنيمات الغامدى على سرير كسرى، فقال سلمان: ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدى على سرير كسرى ۶۸۲].

أتَبنِي بِناءَ الخالِدِينَ وَإِنّمامُقامُكَ فِيها لَو عَقَلْتَ قَلِيلُ

لَقد كانَ فِي ظِلِّ الأراكِ كِفايَةٌلِمَن كَانَ يوماً يَقْتَضيهِ رَحِيلُ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۶۵

ثم تناول عليه السلام حال الماضين ببضع عبارات موجزة فقال: «الَّذِينَ احْتَلَبُوا[۶۸۳] دِرَّتَهَا[۶۸۴]، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا[۶۸۵]، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا[۶۸۶] جِدَّتَهَا[۶۸۷]. وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً[۶۸۸]، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً. لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا يَحْفِلُونَ ۶۸۹] مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ».

العبارات: «الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا ...» والعبارات ... إشارة إلى الأشخاص الذين تمتّعوا بجميع ملذات الدنيا. وكان لبناً فى ثدى الدنيا فحلبوه وشربوه إلى آخره واستغلوا كلّ متع الدنيا ولكنهم كأن لم يلبثوا فيها فكانوا طبق العبارة «وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً».

ولهذه العبارة القيمة معنيان؛ الأوّل: انتقلوا من قصورهم إلى القبور، والآخر: إنّ قصورهم تهدمت عليهم بفعل بعض الحوادث المهوله كالزلزلة فأضحت قبورهم.

وبيّن عليه السلام بالدقة فى العبارات الخمس الأخيرة التى تبدأ ب (أصبحت) أنّهم اغتربوا عن الدنيا بحيث لم يعودوا يعرفون من يزورهم ويبكيهم من قرابتهم ومعارفهم ولا يسمعون صراخهم.

طبعاً هذا بخصوص أصحاب الدنيا الذين نسوا اللّه ولم تكن حصيلة أعمارهم سوى التهافت على الدنيا، أما المؤمنون الصالحون حسب ما ورد فى الرواية فيعرفون من يقف على قبورهم ويأنسون بهم ويغتمون لانصرافهم.

قال أحد أصحاب الكاظم عليه السلام إسحاق بن عمار: سألته عن المؤمن يعرف من يزوره فى قبره؟ فقال: «نَعَمْ وَلايَزالُ مُسْتَأْنِساً بِهِ مادامَ عِندَ قَبْرِهِ فَإذا قامَ وَانْصَرَفَ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۶۶

مِنْ قَبْرِهِ دَخَلَهُ مِنْ إنْصِرافِهِ عَنْ قَبْرِهِ وَحْشَةً»[۶۹۰]. ثم استنتج عليه السلام عقب ذلك «فَاحْذَرُوا الدُّنْيا».

ثم أورد ثمان صفات للدنيا (أو عشرة على قول) كأدلة دامغة على الحذر من الدنيا فقال: «فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ ۶۹۱]، لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَايَنْقَضِى عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ[۶۹۲] بَلَاؤُهَا».

والمفردات «غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ» وإن كانت متقاربة من حيث المعنى لكنها فى الواقع تختلف فى الدقّة؛ غدارة من مادة غدر نقض العهد، وغرارة من غرور، الخدوع من خدعة الحيلة وتعلم أنّها متفاوتة وإن كانت غالباً من قبيل اللازم والملزوم، نعم، فالدنيا لا تفى لأحد وزخارفها تغرّ العديد من الناس ومختلف مناظرها ومشاهدها خدعة، العبارة «مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ» تعود لصفة؛ أىلا تكاد تعطى الإنسان شيئاً حتى تسترده، فلا يمضى عهد الشباب حتى تحل الكهولة ولا يذوق السلامة حتى تطاله الأمراض.

وذهب بعض الشرّاح إلى أنّ هاتين الصفتين منفصلتان وقال: الدنيا تعطى الأشياء التافهة وتمنع الأشياء القيمة، فلا قيمة لعطائها ولا يطاق منعها.

كما هنالك تفسيران للعبارة «مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ»: الأوّل: إنّه وصف مفهومه أنّ الدنيا تكسو الإنسان لباساً جميلًا من القدرة والعظمة وتنزعه بعد مدّة قليلة من قبل الآخرين، أو المراد أنّها تلبس ثياباً تافهة وتنزع ثياباً قيمة والتفسير الأوّل يبدو أصح فى كلتا العبارتين.

وهنالك اختلاف واضح بين المفردات (رَخاء) و (وعناء) و (بلاء) فالرخاء، الهدوء الذى قلما يحصل فى الدنيا، والعناء، المتاعب والمصاعب التى تطال دائماً أهلها،

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۶۷

والبلاء، الحوادث الأليمة سواء الحوادث الطبيعية كالزلازل والسيول والعواصف أم البلايا التى يصنعها الإنسان كالحروب، وزبدة الكلام: الدنيا دار لا تدوم.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۶۹

القسم الرابع

اشارة

مِنْها فى صِفَةِ الزُّهّادِ: كانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا

يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَيَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

الشرح والتفسير: الزهاد الحقيقيون

قال الإمام عليه السلام فى الجانب الآخر من هذه الخطبة الذى يشير تعبير السيد الرضى أنّه مستقل عمّا سبق لأنّه يقول (منها فى صفة الزهاد). «كانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا».

هذه هى الصفة الاولى من الصفات الخمس التى ذكرها الإمام عليه السلام للزهاد فى هذه العبارة. من الواضح أن لا تناقض قط فى العبارة، فالمراد أنّ جسمهم فى الدنيا لكن روحهم وقلبهم معلق بالآخرة.

وقد جرب ذلك كلّ شخص فى حياته أنّ قلبه حين ينشغل بقضية مهمّة يكون فكره متعلق بموضوع آخر وإن كان وسط أىجماعة، وتؤدى هذه الصفة إلى اختلاف أعمال الزهاد مع أصحاب الدنيا، فهؤلاء يجدون فى التزود من الدنيا وأولئك فى التزود لها، ودليل ذلك واضح أنّ الزهاد لا يرون الدنيا سوى ممر والحياة الواقعيّة حسب القرآن هى الدار الآخرة «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»[٦٩٣].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٧٠

ثم أشار عليه السلام إلى الصفة الثانية «عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ».

ومن ثم قال عليه السلام: «وَ بَادَرُوا[٦٩٤] فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ». فهؤلاء يرون ببصيرتهم سبل النجاة ويقفون على عناصر السعادة والفلاح، ومن هنا يلهثون وراءها دائماً، ويعرفون من جانب آخر عوامل البؤس والشقاء، لذلك يسعون للهروب منها وعدم التلوث بها.

وقال فى الصفة الرابعة: «تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ ٦٩٥] أَهْلِ الْآخِرَةِ». نعم فهم يعيشون مع الجميع ظاهرياً؛ إلّاأنّ معاشريهم الحقيقيين أهل الآخرة، كونهم يعلمون أنّ معاشرتهم لأصحاب الدنيا تميت قلوبهم، فلا شىء فى مجالسهم سوى الدنيا ولذاتها، فهم فى الواقع أموات بصورة أحياء.

ثم قال فى الصفة الخامسة والأخيرة: «وَ يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ».

يستفاد من الصفات الخمس المذكورة أنّ معنى الزهد وحقيقته ليس فى كون الإنسان فقيراً ومعدماً أو يتخلى عن الحياة الاجتماعية والتقوقع فى زاوية للعبادة؛ بل حقيقة الزهد أن يرى الأولوية للدار الآخرة فى كلّ شىء وحيثما كان ولا يكون أسير زخارف الدنيا والأهواء والشهوات، وجاء فى خطبة أخرى للإمام عليه السلام.

«أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهادَةُ قَصْرُ الْامَلِ وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ وَالتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحارِمِ»[٦٩٦].

وقد بحثنا بما فيه الكفاية حقيقة الزهد فى تلك الخطبة.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٧١

الخطبة ٢٣١

اشارة

خَطَبَها بِذى‌قار[٦٩٧] وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْبَصْرَةِ، ذَكَرَهَا الْواقِدى ٦٩٨]

فى كِتابِ «الْجَمَلِ»:[٦٩٩]

نظرة إلى الخطبة

يفيد مستهل الخطبة أن ما ورد ذكره من جانب من خطبة مفصلة أوردها الإمام عليه السلام فى ذى قار ولا يبدو مستبعداً أن تكون هذه الخطبة متمّمة للخطبة ١٠۴ والتى تبدو امتداداً للخطبة ٣٣ والتى قيلت فى ذىقار.

على كلّ حال أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى أمرين مهمين؛ الأوّل: إنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أبلغ ما أمر به وأتى بوظيفته بأكمل وجه.

والآخر: إنّ إحدى المهام الرئيسية للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله توحيد الصفوف وتكوين المجتمع الإسلامى الموحد وحصد العداوات من الصدور.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٧٣

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ، وَبَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ اللَّه بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَ أَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِى الأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِى الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِى الْقُلُوبِ.

الشرح والتفسير: النّبى صلى الله عليه و آله حصد العداء من الصدور

قال الإمام عليه السلام بعد بيانه لمقدمات فى خطبته بذىقار: «فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ، وَبَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ».

بالنظر إلى أنّ (صدع) من مادة (صدع) على وزن (صبر) تعنى لغةً الشق أو الشق فى الأجسام المحكمة أو شق الشىء فيظهر باطنه، فإنّ هذه المفردة تعنى الظهور والوضوح وقد استعملت هنا كون إبراز حقيقة التوحيد فى ذلك الوسط الجاهلى المليئ بالشرك بمثابة شق تلك الحجب الضخمة للكفر والانحراف، والواقع انها اقتباس من الآية ٩۴ من سورة الحجر «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ».

ولعل الفارق بين هذه العبارة والعبارة «وَبَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ» أنّ فى «بلغ» مفهوم التأكيد والتكرار. وعليه فمفهوم العبارتين أنّ النّبى أظهر الحق وأكّد عليه.

ثم خاض عليه السلام فى إحدى أهم وأمثل خدمات النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال: «فَلَمَّ اللَّه بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ ٧٠٠] بَيْنَ ذَوِى الأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ[٧٠١]

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٧۴

فِى الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ ٧٠٢] الْقَادِحَةِ[٧٠٣] فِى الْقُلُوبِ».

فقد ذكر الإمام عليه السلام فى وحدة الكلمة التى بثها النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بين صفوف الامّة رغم كلّ تلك الاختلافات ثلاثة تعابير:

الأوّل: التعبير ب «لمّ» على وزن (غم) بمعنى الجمع أو الجمع المقرون بالإصلاح ويصبح مفهومه أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ردم تلك الهوة فى ظل التعاليم الإسلاميّة بحيث لم يعد هنالك من أثر للماضى.

الثانى: التعبير ب «رتق» الذى يعنى ترقيع القطع الممزقة ولعله تأكيد على العبارة السابقة أو إشارة إلى الموارد التى كانت متصلة سابقاً وانفصلت، ثم وصلها.

الثالث: التعبير ب «تأليف» الذى يعنى الجمع المقترن بالانس والإنسجام الذى ذكر بخصوص ذوى الأرحام، فكثيراً ما كان الأب والابن أو الأخ يتنازعون على بعض المصالح البسيطة فى الجاهلية، وقد ألف بينهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله على هدى الإيمان ومبادئ الإسلام.

النتيجة: إنّ الألفاظ الثلاثة يمكن أن تكون تأكيداً لبعضها البعض الآخر ويمكن أن يكون كل تعبير فى نوع من الاختلاف فى المجتمع. كما يحتمل أن تكون العبارة (تأليف الشمل) مرتبط باختلافات الاسرة والقرابة، ورتق إشارة لزوال الاختلافات القبلية و (لم) إشارة لرفع الاختلافات عن المجتمع وتوحيد صفوفه.

على كلّ حال لم يكن يصدق أحد أن يتحول يوماً ذلك المجتمع الصغير فى العصر الجاهلى رغم كلّ تلك الاختلافات العجيبة والرهيبة إلى مجتمع موحد كبير الذى قصم بوحدته ظهر الأعداء وكان بحق معجزة ربانية كما قال القران: «هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ* وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّه أَلَّفَ بَيْنَهُمْ»[۷۰۴].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۷۵

الخطبة ۲۳۲

اشارة

كَلَّمَ بِهِ عَبْدَاللَّه بْنِ زِمْعَةَ[۷۰۵]، وَهُوَ مِنْ شيعَتِهِ، وَذَلِك أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فِى خِلافَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مالًا، فَقَالَ عليه السلام ۷۰۶]

نظرة إلى الخطبة

كما ورد فى عنوان هذا الكلام فإنّ عبد اللَّه بن زمعة طلب مالًا من الإمام عليه السلام وكان من شيعته فلم يجبه، حيث كان المال من الغنائم الحربية ولا حق فيه سوى للمقاتلين ولم يكن له حق لأنّه لم يشترك فى القتال.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۷۷

إِنَّ هذَا الْمَالَ لَيْسَ لِى وَلَا لَك، وَإِنَّمَا هُوَ فىءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِى حَرْبِهِمْ، كَانَ لَك مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

الشرح والتفسير: غنائم المقاتلين

رغم أنّ المراد بهذا الكلام شخص معين؛ أىعبد اللَّه بن زمعة الذى اعتنق الإسلام وكان من شيعة على عليه السلام بخلاف أبيه وجدّه اللذين لم يعتنقا الإسلام وكانا من الأعداء، إلّاأنّ مضمون الكلام موضوع يصدق على جميع المسلمين، وهو أنّ أى مال من بيت مال المسلمين لابدّ أن يصرف فى الموارد التى عينها الشارع ولا ينبغى تقديم الروابط على الضوابط بهذا الشأن.

وتشير قرائن الكلام إلى أنّ عبد اللَّه طلب سهماً من الأموال التى كانت بين يدى الإمام وتعتبر من غنائم الحرب، إلّاأنّ الإمام عليه السلام قال له: «إِنَّ هذَا الْمَالَ لَيْسَ لِى وَلَا لَك، وَإِنَّمَا هُوَ فىءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ».

لابدّ من الالتفات رغم أنّ مفردة (الفيئ) إن كانت مقابل الغنيمة فلها معنيان مختلفان؛ فالفيئ يطلق على الأموال التى تقع فى أيدى جند الإسلام دون قتال وتتعلق حسب الموازين الشرعيّة ببيت‌المال؛ أمّا الغنيمة فهى الأموال التى يجنيها المقاتلون بواسطة القتال، لكن إن استعملت الفيئ بمفردها اطلقت أحياناً على الغنيمة، وعليه فقوله عليه السلام: «هُوَ فىءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ»، لا ينافى مفهوم الفيئ.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۷۸

ثم قال عليه السلام: «فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِى حَرْبِهِمْ، كَانَ لَك مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ[۷۰۷] أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ».

وقوله عليه السلام ليس لى من سهم فى هذه الأموال ربّما يرتبط بالمعارك المحدودة التى يخوضها بعض قوّاد الإمام وليس الإمام عليه السلام، صحيح أنّ خمس الغنائم الحربية لبيت المال، وصحيح أنّ عبد اللَّه بن زمعة كان من بنى المطلب (المطلب أخو هاشم) وليس بنى هاشم، ويرى البعض أنّ بنى‌المطلب يستحقون الخمس ۷۰۸].

لكن ربّما لم يكن فقيراً ليعطيه شيئاً من الخمس، على كلّ حال يشير هذا الكلام إلى أنّ الإمام عليه السلام كان فى غاية الدقّة فى الأموال ولا يسمح بإعطاء حق مسلم لآخر وإن كان من صحبه الأوفياء، بخلاف عهد عثمان الذى يعتقد المؤرخون بأنّ بيت المال لم يكن خاضعاً لحساب وكتاب، وما أجدر أن يكون كلام الإمام عليه السلام جدول عمل لجميع زعماء الامّة الإسلاميّة والالتزام بالحق والعدل فى بيت المال حتى بالنسبة لحاشيتهم ومقربيهم.

كما يستفاد من الكلام أنّ عبداللّه بن زمعة لم يكن تام المعرفة بالإمام ليطلب منه ذلك ولم يكن يعلم أنّ الإمام عليه السلام عامل أخاه عقيل كذلك وإلّا لما طلب منه.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۷۹

الخطبة ۲۳۳

اشارة

بَعْدَ أنْ أقْدَمَ أحَدُهُمْ عَلَى الْكَلامِ فَحَصَرَ، وَهُوَ فى فَضْلِ أهْلِ‌الْبَيْتِ، وَوَصْفِ فَسادِ الزَّمانِ ۷۰۹]

نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة من قسمين:

الأوّل: بشأن أهمّية التكلم وحرمان البعض من هذه النعمة. ومن ثم أشار إلى تماميّة هذه النعمة العظيمة فى أهل البيت عليهم السلام.

وشرح فى القسم الثانى الوضع على عهده والذى انحدر فيه الناس إلى الفساد إثر توليهم عن تعاليم الإسلام فذلّ أصحاب الحق وكل أصحاب الصدق وساءت أخلاق الشبّان وأثم الكهول وغدا عالِمهم منافق والصديق خائن.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۸۰

ومن هنا حثّهم على العودة إلى طريق الحق واليقظة قبل أن يصيبهم العذاب الإلهى.

***

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۸۱

القسم الأوّل

اشارة

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْانْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ،

وَلَا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ. وَإِنَّا لَامَرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ.

الشرح والتفسير: نحن امراء الكلام

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى أمرين:

الأوّل: يتلعثم البعض حين الخطابة وينطلق بها البعض الآخر فقال: «أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ[۷۱۰] مِنَ الْانْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ،

وَلَا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ».

قطعة اللحم هذه المسماة باللسان من عجائب خلق اللّه، فبحركات سريعة للغاية ودقيقة ومنظمة يصنع الحروف الثمانية والعشرين أو الاثنين والثلاثين فيصفها خلف بعضها ليبيّن بمجموعها جميع هواجسه ورغباته المادية والمعنوية، فيفصح بها عن المحاسن والمساوئ والجميل والقبيح، والطريف أنّ لكل قوم لغتهم فهنالك أكثر من ألف لغة فى العالم، وقد منحت هذه النعمة للإنسان وحده ليجيد الكلام فهى على درجة من الأهمّية بحيث ذكرها اللّه فى طليعة سورة الرحمن التى شرحت نعم اللّه:

«الرَّحْمنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْانسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ»[۷۱۱] طبعاً لا ينبغى أن ننسى أنّ

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۸۲

المهم إمرة الروح بالنسبة للسان، فإن كانت هذه الإمرة جاهزة انطلق اللسان بالفصاحة والبلاغة بسهولة وإن غابت هذه الجاهزية تلعثم اللسان، والامتناع والاتساع الذى نسب فى العبارة للسان المراد منه فى الواقع امتناع واتساع روح الإنسان.

فالحق لقد بيّن الإمام عليه السلام سبب نجاح أو فشل الإنسان فى الخطابة من خلال هذا الكلام ضمن إشارته لأهمية اللسان والنطق.

ثم قال عليه السلام: «وَإِنَّا لَامَرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ ۷۱۲] عُرُوقُهُ ۷۱۳]، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ ۷۱۴] غُصُونُهُ».

فقد شبّه الكلام فى هذه العبارة الرائعة بالشجرة الضخمة ذات الأغصان والجذور وأضاف أنّ هذه الشجرة المورقة متجذرة فى أرض وجودنا واظلتنا أغصانها ومن هنا سمى أهل بيت الوحى «امراء الكلام».

وكلنا نعلم أنّ ذلك ليس مجرّد ادّعاء، بل حقيقة يعترف بها العدو والصديق فقد كان النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أفصح العرب، وكيف لا- يكون كذلك وعلى لسانه جرى كلام اللّه الذى بلغت فصاحته الاعجاز، وفصاحة أميرالمؤمنين عليه السلام أشهر من نار على علم وخطب «نهج البلاغة» ممّا تتناقله الألسن، حتى كان الأساتذة يوصون تلامذتهم فى الماضى إن أرادوا الفصاحة والبلاغة فى حديثهم بحفظ خطب «نهج البلاغة».

كما كانت خطب سيّدة النساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام من أفصح الخطب وأبلغها، وقد فعلت خطب ربيبى هذا البيت الرسالى زينب وزين العابدين عليهما السلام فعلها فى الكوفة والشام لتؤثر على العدو والصديق.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۸۳

وعليه لابدّ من الإذعان بأنّ التسمية بامراء الكلام تليق بأهل هذا البيت.

تأمّلان

۱. عجائب اللسان

اللسان الظاهرى أىهذه القطعة اللحمية فى فم الإنسان وتتولى الأمور الهامة والمعقدة وكذلك اللسان الفكرى الذى يعنى القدرة على أداء الكلمات وترتيب العبارات وبيان المطالب، لمن النعم الإلهيّة العظيمة، ومن هنا عدّ الفلاسفة والأعلام، النطق (اللسانى والفكرى) الفصل المميز وعرفوا الإنسان بأنّه حيوان ناطق. وكلما أمعنا فى هذين الأمرين واجهنا المزيد من العجائب.

الطريف أنّ هذا اللسان ملأ- تقريباً جميع فضاء الفم تحت الأسنان، وحين تناول الطعام يرسل المواد الغذائية بسرعة تحت الأسنان وينسحب بمهارة دون أن يصيبه أذى.

يقول الأطباء: هنالك أربعة أنواع من الهضم للطعام: الهضم الأوّل فى الفم حيث يرطب تماماً ويمزج بلعاب الفم فتجرى عليه تغييرات فيزيائية وكيميائية شتى، ثم يتجه إلى المعدة وبالطبع فاننا نتنفع باللسان صباح مساء دون أن نقف على دوره المهم عند تناول الطعام.

والوظيفة الأهم للسان صنع الكلمات ومقاطع الحروف وصف العبارات وبيان جميع المقاصد الصغيرة والكبيرة والبسيطة والصعبة

والمعقدة للغاية التى تعد من عجائب الخليقة.

إلّا أنّ المهم عدم مهارة الجميع فى ذلك، فالمهارة فى الكلام تتوقف على عدّة عوامل أحدها وأهمّها الممارسة والتدريب، والثقة بالنفس وعدم خشية الآخرين، ورباطة الجاش والايحاء إلى النفس من بين تلك العوامل المهمّة، ومن تلك العوامل أيضاً حضور مجالس أساتذة الكلام والانفتاح على تجاربهم واستخدامهم القضايا الظريفة إزاء مخاطبيهم.

طبعاً المطالعات المسبقة وإمتلاك الرصيد العلمى من العوامل المهمّة وهذا ما

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۸۴

يفسّر براعة البعض فى الخطابة فى التجمعات الكبرى، وإعياء البعض الآخر فى التجمعات الصغرى، كما أنّ حالات الإنسان الروحية من قبيل الحزن والسرور والعافية والسقم والهدوء والاضطراب لمن الأمور التى لها غاية التأثير فى هذه القضيّة، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام فى الخطبة بعبارة الامتناع والاتساع.

وقد ذكر ابن أبى الحديد نماذج رائعة فى الأشخاص الذى ارتقوا المنبر وتلعثموا فى الخطابة وعيوا فى الألفاظ فهبطوا من المنبر، فنقل عن كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ موارد منها:

إنّ عثمان صعد المنبر وتوقف عن الكلام فقال هذا الكلام، ونزل: «أنتم إلى إمامٍ عادلٍ أحوج منكم إلى إمام خطيب» (تركيز عثمان على مسألة العدالة رائعة للغاية).

وروى أنّ عدى بن أرطاة رقى المنبر ولم تكد تقع عينه على الناس حتى توقف فقال: (الحمد للّه‌الذى يطعم هؤلاء ويسقيهم) ثم نزل.

كما صعد روع بن حاتم، المنبر فلما رأى الناس يتطلعون إليه نادى: إخفضوا رؤوسكم وأغمضوا أعينكم فركوب الدابة صعب أول الأمر فإن فتح اللّه شيئاً سهل.

وقيل: أراد مصعب بن حيان أن يلقى خطبة فى النكاح فقال: لقّنوا موتاكم لا إله إلّا اللّه. فقامت له ام العروس وقالت: عجّل اللّه موتك ألهذا دعوناك! وسائر الموارد من هذا القبيل ۷۱۵].

۲. امراء الكلام

ما ذكره الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة (وإنّا لُامراء الكلام) حقيقة لا تنكر يعترف بها العدو قبل الصديق. وما خلّفه هذا البيت من تراث خير شاهد على ذلك؛ كأحاديث النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله التى نشرت تحت عنوان (نهج الفصاحة، ونهج البلاغة) بأجزائه الثلاثة والأدعية كدعاء كميل والصباح الذى ينتهى سنده للإمام على عليه السلام وخطبتى

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۳۸۵

سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ودعاء عرفة المسند للإمام الحسين عليه السلام وخطب أهل بيته فى الكوفة والشام ثم المدينة عقب واقعة كربلاء وأدعية الصحيفة السجادية كدعاء أبى حمزة الثمالى الذى ينتهى سنده للامام السجاد عليه السلام وأمثال ذلك.

كما ينبغى الالتفات إلى إذعان الأعداء بهذه الحقيقة. وروى ابن أبى الحديد فى الجزء الأوّل من شرحه لنهج البلاغة أنّ محقن بن أبى محقن دخل على معاوية فسأله من أين جئت؟

قال: «جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَعْيَى النّاسِ». فقال له معاوية: «وَيْحَكَ كَيْفَ يَكُونُ أَعْيَى النّاسِ فَوَاللَّه ما سَنَّ الْفَصاحَةَ لِقُرَيْش غَيْرُهُ»[۷۱۶].

وروى عن عبدالحميد الكاتب: حفظت سبعين خطبة من نهج البلاغة ففاضت ثم فاضت ۷۱۷].

وروى المرحوم السيد الرضى فى مقدمته الرائعة على نهج البلاغة قائلًا:

قال ابن أبى الحديد كما ذكرنا فى الجزء الأوّل ذيل الخطبة ۲۲۱ بعد شرحه لجانب من كلام المولى فى عالم البرزخ: «لو اجتمع

فصحاء العرب قاطبة فی مجلس وتلی علیهم، أن یسجدوا له کما سجد الشعراء لقول عدی بن الرقاع ومطلعها: «قلم أصاب ...»، فلما قیل لهم فی ذلک قالوا: نعرف مواضع السجود فی الشعر کما تعرفون مواضع السجود فی القرآن»[۷۱۸].

ولمزید من المعلومات بهذا الشأن یراجع کتاب «فی رحاب نهج البلاغة» للشهید المطهری ومقدمة الجزء الأوّل من «نفحات الولایة».

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۳۸۷

القسم الثانی

اشارة

وَاعْلَمُوا رَحِمَکُمُ اللَّه أَنَّکُمْ فِی زَمَانٍ الْقَائِلُ فِیهِ بِالْحَقِّ قَلِیلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ کَلِیلٌ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِیلٌ. أَهْلُهُ مُعْتَکِفُونَ عَلَی الْعِصْیَانِ، مُصْطَلِحُونَ عَلَی الْإِدْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَابُّهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ. لَا یُعَظِّمُ صَغِیرُهُمْ کَبِیرَهُمْ، وَلَا یَعُولُ غَنِیُّهُمْ فَقِیرَهُمْ.

الشرح والتفسیر: خصائص البیئة الملوثة

تناول الإمام علیه السلام فی هذا الجانب من الخطبة، المفاسد التی ظهرت آنذاک إثر سیاسات الخلافة السابقة والتی سرت تقریباً إلی جمیع المجتمعات، لیرسم صورة واضحة لذلک المجتمع بإحدی عشرة عبارة موجزة غایة فی الدقّة بحیث لم ینس شیئاً (وهذا مفهوم الفصاحة والبلاغة والخطابة المعجزة) فقال: «وَاعْلَمُوا رَحِمَکُمُ اللَّه أَنَّکُمْ فِی زَمَانٍ الْقَائِلُ فِیهِ بِالْحَقِّ قَلِیلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ کَلِیلٌ ۷۱۹]، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِ ذَلِیلٌ».

فقد شخّص علیه السلام بهذه الصفات الثلاث، الجذور الأصلیة لفساد المجتمع، سکوت أهل الحق خشیة المعارضین أو إزدیاد الأزمات، وصمت الصادقین بفعل ضغوط البیئة والهیئة الحاکمة أو مخافة زوال مصالحهم الشخصیة أو التلوث بالکذب والإفتراء عوض الصدق وکذلک أولئک الذین ینشدون الحق ویطلبونه ینحون أو ینسحبون من المجتمع ولیس هنالک من یسمع مقالتهم الحقة، وزبدة القول ینسی

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۳۸۸

الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ویهجر إرشاد الجاهل وتنبیه العاقل.

ثم أشار علیه السلام إلی صفتین هما فی الواقع نتیجة للصفات الثلاث السابقة فقال:

«أَهْلُهُ مُعْتَکِفُونَ عَلَی الْعِصْیَانِ، مُصْطَلِحُونَ ۷۲۰] عَلَی الْإِدْهَانِ ۷۲۱]».

لا شک فی أنّ هناک معاصٍ فی کلّ مجتمع ومداهنة ومسایرة، إلّاأنّ البؤس والشقاء فی حرکة عامة نحو الذنب والمعصیة وبصورة مستمرة ودائمیة، کما أنّ المصیبة والتعاسة فی اصطفاف المداهنین واتحادهم علی هذا الأمر.

ثم قال علیه السلام فی الصفة السادسة والسابعة: «فَتَاهُمْ عَارِمٌ ۷۲۲]، وَشَابُّهُمْ ۷۲۳] آثِمٌ».

من البدیهی فی الوسط الذی یصمت فیه أصحاب الحق ویغیب فیه الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر أن تتلوث الأوساط الاسریة فینشأ الشبّان فی هذه الأوساط سیئی الخلق وفاقدی الأدب، کما أنّه من الواضح أنّ هؤلاء الشبّان حین یشیخون لا یفارقون الاعتیاد علی المعصیة ویغفلون عن أنّ عمرهم اقترب من نهایته وسیحل أجلهم فیغطون فی بحر المعاصی بسبب تلک الغفلة.

وقال فی الصفة الثامنة والتاسعة: «وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ ۷۲۴]».

نعم، فعلماء ذلک الوسط الذین أقبلوا علی الدنیا إنّما یرون النفاق سبیلًا لنیلها، کما ورد فی الخطبة ۱۹۴: «وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ

وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ».

وردت المفردة «قارئهم» فى أغلب نسخ «نهج البلاغة» وهذا ما رجحه أغلب الشرّاح كونه يناسب العبارة السابقة، فالكلام هناك عن العلماء وهنا عن قراء القرآن والعابدين. بينما وردت فى بعض النسخ (قارن) من مادة قرين بمعنى الصديق

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٨٩

ويصبح مفهوم العبارة أنّ الأصدقاء آنذاك منافقون؛ ولكن من الواضح أنّ النسخة الاولى أكثر تناسباً مع مجموع كلام الإمام عليه السلام.

وأخيراً قال فى الصفتين العاشرة والحادية عشرة من صفات أهل ذلك الزمان:

«لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلَا يَعُولُ ٧٢٥] غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ».

واضح أنّ الشبّان واليافعين تربوا بعيداً عن الأدب والخجل والحياء لا يحترمون كبارهم، كما أنّ الكبار الذين غرسوا هذه البذور يتجرعون مرارة ثمارها.

ومن الواضح أيضاً أنّه إن غابت الفضائل الإنسانية عن المجتمع وحلّ مكانها الفساد والتكالب على الدنيا فإنّ الأغنياء سوف لن يرحموا الفقراء وينسون حقيقة أنّ اللّه جعل للفقراء حقاً فى أموالهم، ومن هنا يرون أنّ جميع تلك الأموال لهم فينفقونها فى ملذاتهم. هذا إن كانت تلك الأموال جمعت من الحلال، وإلّا إن كانت من الحرام ولا يعلم أصحابها، فهى جميعاً للفقراء والمحتاجين.

وهنا يرد هذان السؤالان؛ الأوّل: لم عمّت كلّ هذه المفاسد المجتمع الإسلامى على عهد حكومة الإمام على عليه السلام؟ ولا تبدو الإجابة صعبة إن عدنا قليلًا إلى الوراء وتأملنا عصر الخليفة الثالث وماذا فعل وبطانته ببيت المال والمناصب الحساسة الحكومية التى أغدقها على خاصته وقرابته، فالتاريخ يفيد أنّ الفساد بلغ درجة بحيث قام المسلمون على الخليفة وقتلوه بمرأى ومسمع المهاجرين والأنصار وقلّما كان له ناصر.

السؤال الآخر: أين الجذور الأصلية لتلك المفاسد الإحدى عشرة؟ لو تأملنا بدقة لرأينا أنّ أغلبها إن لم نقل جميعها ناشئة من فساد الخلافة، وكون الناس غالباً على دين حكامهم يواصلون تلك المسيرة، وأحياناً يترسخ الفساد بحيث يشق الإصلاح على من يخلفهم، كما شق على الإمام عليه السلام.

حقّاً لو دعوا الإمام يتسلّم زمام الأمور بعد النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ويقود المجتمع

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٩٠

الإسلامى بذلك العدل والزهد والدراية بالمسلمين لكان للإسلام والمسلمين مسار آخر. الطريف أننا لو نظرنا إلى البلدان المعاصرة التى تسودها حكومات فاسدة لرأينا بوضوح كلّ هذه المفاسد التى أشار لها الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٩١

الخطبة ٢٣٤

اشارة

رَوى ذِعْلَبُ اليَمامى [اليَمانى عَنْ أحْمدَ بنَ قُتَيبَة، عَنْ عَبْداللّه بنِ يَزيدِ، عَنْ مالِك بْنِ دَحْيَة، قالَ: كُنّا عِنْدَ أميرِالْمُؤْمِنينَ عليه السلام،

وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ اخْتِلافُ النّاسِ فَقالَ ٧٢٦]:

نظرة إلى الخطبة

محور البحث فى كلام الإمام عليه السلام عوامل اختلاف الناس مع بعضهم وظاهر هذا الكلام أنّ نقص الناس وكمالهم فى العقول والغرائز مرهون بمدى طهارة طينتهم التى جبلت عليها طبيعتهم، وإن رأينا ظاهرياً تقارب البعض وانسجامهم أو تباعدهم وتفرقهم فبسبب قرب أرضهم (طبعاً يختزن هذا الكلام أسئلة متتالية سنخوض فى طرحها والرد عليها باذن اللّه فى الشرح والتفسير).

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٩٣

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ.

الشرح والتفسير: أساس الاختلاف

لا شك فى أنّ الناس مختلفون من الناحية الجسمية وكذلك من الناحية الروحية والفكرية والأخلاقيّة كما لا ريب فى أنّ هذا الاختلاف يمكن تغييره عن طريق التربية والتعليم. وعليه فالاختلاف لا يقود قط إلى سلب الاختيار ومسألة الجبر.

إلّا أنّ الكلام فى أصل هذه الاختلافات؟ لم البعض طويل القامة والآخر قصير، البعض جميل الوجه والآخر غير جميل، فئة ذات استعداد عالى واخرى ضعيفة وعاجزة، وطائفة كريمة وأخرى بخيلة.

نسب الإمام عليه السلام هذه الاختلافات إلى مواد خلق منها جسم الإنسان وقال: «إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ ٧٢٧] طِينِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً[٧٢٨] مِنْ سَبَخِ ٧٢٩] أَرْضٍ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٩٤

وَعَذْبِهَا[٧٣٠]، وَحَزْنِ ٧٣١] تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا[٧٣٢]، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ».

وعلى ضوء هذا الكلام فإنّ هذه الاختلافات ناشئة من تباين مواد الأرض المختلفة، وبالنظر إلى اختلاف بقاع الأرض والمواد التى تتركب منها واختلاف تركب الناس من تلك المواد، والتأثير لاختلاف تلك المواد على اختلاف روحياتهم وأفكارهم وأخلاقهم كان هناك اختلافات بين الناس. وهنا يرد سؤالان: الأوّل: إنّ أبانا آدم عليه السلام خلق من التراب وولد الناس لاحقاً من نطفة آدم وأولاده، وليس من التراب.

والآخر: ألا يقوى هذا الكلام مذهب الجبر الذى يرغم أنّ كلّ إنسان مجبر على الأفعال ولا يمكن تغيير ذلك؟ ونترك الإجابة عن السؤال الثانى لمبحث التأملات فى آخر الخطبة. وهناك سبيلان للاجابة عن السؤال الأوّل:

الأوّل: إنّ الناس وإن ولدوا بعد آدم من نطفته؛ إلّاأنّ النطفة تتركب من مواد مختلفة تعود الجوانب الرئيسية فيها للأرض وتتغذى فى رعرعتها على غذاء الام لتبلغ مرحلة الكمال حتى تلد، وغذاء الام مهما كان يتألف من مواد الأرض، فالنباتات تخرج من الأرض والحيوانات تتناول النباتات وعليه فنمو الجنين منذ كونه نطفة حتى تحوله إلى الكمال يستند جميعاً إلى مواد الأرض.

وربّما يتضح الموضوع أكثر بهذا المثال وهو أنّ الأشجار المثمرة التى تنمو فى أراضٍ مختلفة وكذلك الحيوانات وبذور الأطعمة مختلفة تماماً؛ مثلًا، العنب الذى ينمو فى بقعة أحلى وألطف من الآخر فى بقعة أخرى وهكذا سائر الثمار، والناس كذلك، وحيث إنّ رابطة الجسم والروح بالنسبة لبعضها قريبة جدّاً فإنّ تفاوت هذه

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٩٥

المواد يؤثر فى روحيات الإنسان وخلقياته.

الجواب الآخر: بغضّ النظر عما قيل، إن ركزنا على خلق جسم آدم من التراب فمن الممكن أيضاً أن تحصل عدّة نطف من المواد المركبة لوجود آدم حين تتكون النطفة، ففى بعض الحالات، المادة الفلانية ترد أكثر من النطفة وفى بعضها الآخر أقل، ومن هنا يختلف حتى الأولاد الذين يلدون من نفس الأب والام وفى مناخ واحد وحتى التغذية الواحدة للوالدين؛ فهذا أشجع وذاك أكرم وهذا أضعف وذاك أذكى، والقضيّة المهمّة أيضاً أنّ المناخ يكوّن جانباً من وجود الإنسان؛ لكن الإمام عليه السلام ذكر هنا أساس الاختلاف ليقتصره على اختلاف مواد الأرض ولم يتطرق إلى المناخ، إمّا لقلة تأثيره على مواد الأرض أو أنّه يتأثر بها أيضاً، فالماء مالح فى الأراضى السبخة والهواء ملوث، بينما الماء حلو والهواء لطيف فى الأراضى السهلة.

طبعاً لا يخفى التأثير الذى تلعبه أشعة الشمس، ولذلك ترى أغلب الأفراد فى المناطق الاستوائية من ذوى البشرة السوداء وبعكسها فى المناطق المعتدلة، وبالطبع لا يقتصر ذلك التأثير على لون البشرة، بل هناك تأثير خاص للموقع الجغرافى بسبب اختلاف أشعة الشمس أو المناخ والأرض.

على كلّ حال، استناداً لما قيل يمكن التسليم لكلام الإمام عليه السلام حسب دلالة ظاهرة والذى ينسجم تماماً مع القواعد العلمية المعاصرة، ولا حاجة إلى أن نقول المراد من (مبادئ طينهم) أرواح ونفوس الناس وتحمل سائر ألفاظ الإمام عليه السلام على اختلاف الأرواح؛ لا على اختلاف الأجسام التى لها تأثيرها فى تفاوت الأخلاق والروحيات كما يفهم من كلمات ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة.

ثم بيّن الإمام عليه السلام عدّة نماذج لتأثير الجسم على الأخلاق والفكر والفضائل النفسانيّة ليختتم هذا البحث بذكره لسبعة نماذج من العلاقة بين الجسم والروح والتركيب الظاهرى بالخلق والطبع الباطنى فقال: «فَتَامُّ الرُّوَاءِ[٧٣٣] نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٩٦

الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ[٧٣٤] بَعِيدُ السَّبْرِ[٧٣٥]، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ، وَتَائِهُ ٧٣٦] الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ».

وما ورد بشأن العلاقات السبع بين الجسم والروح والمادة الجسمانية والأخلاق فى كلام الإمام عليه السلام قطعاً بصيغة قاعدة كلية لا يطالها الاستثناء، بل واردة فى أغلب الأفراد، ومن هنا لمسنا بأعيننا استثناءاتها.

العبارة «قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ» وبالنظر إلى أنّ القعر هنا إشارة إلى قصر القامة، حيث ليست هناك من فاصلة بين الرأس والأقدام لديهم وكانت مفردة «وَقَرِيبُ الْقَعْرِ» مناسبة لهم، وبالنظر إلى أنّ السبر يعنى التعمق والاختبار فإنّ العبارة «بعيد السبر» إشارة إلى عمق الفكر وسعة الاطلاع.

كما يحتمل أن تكون العبارة «بَعِيدُ السَّبْرِ» إشارة إلى أنّ أولئك الأفراد يصعب معرفتهم. وهو المعنى الذى أقرّه ابن أبى الحديد وابن ميثم وبعض الشرّاح.

والعبارة «وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ» بالنظر إلى أنّ الضريبة تعنى السجيّة والخصلة والطبيعة والجليبة ما يقوم به الإنسان من عمل خلاف طبعه وكأنّه يجلبه من الخارج، فإنّ المفهوم هو أنّ طائفة من أولئك الناس الظاهرى الطبع يتعاملون خلاف طبعهم بفعل بعض العوامل الخارجية من قبيل التربية السيئة والوسط الملوث والدعاية السامة التى تفرز الدواعى الشيطانية.

والعبارة «وَتَائِهُ الْقَلْبِ» ذات مفهوم جربناه عادة فى حياتنا وحياة الآخرين وهو أنّ الأفراد الذين يعيشون الاضطراب إثر مختلف العوامل يفقدون قدرة التفكير المنظم فتضطرب بالطبع أفكارهم بحيث يتضح قلق قلوبهم من خلال اضطراب أفكارهم.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٩٧

والعبارة «وَطَلِيقُ اللِّسَانِ» ذات مفهوم مجرّب هو أنّ الخطباء الماهرين هم الأفراد ذوو القلوب الصلبة الذين لا يهابون شيئاً ويتسمون

بالشجاعة ومن هنا كانوا ماهرين فى الخطابة.

تأمّلان

١. صلة الروح بالجسم

صرّح أغلب الأعلام والفلاسفة بأنّ لروح الإنسان صلة بجسمه بحيث تنعكس خصائص كلّ منهما على الآخر، وعليه فليس من العجب أن تكون هنالك علاقة بين شكل الإنسان وقامته وسائر ميزاته البدنية وبين روحياته وأخلاقه.

وقد ذكر المفكرون منذ قديم الأيّام ولحد الآن تلك الصلات فى مصنفاتهم حتى انشق علم معرفة الهيئة، لكنهم يعترفون بأنّ تلك الصلات (صلة الأخلاق بالهيئات الجسمانيّة المختلفة) ليست كلّية، فهنالك العوامل الأخرى المؤثرة فى روحية الإنسان وخلقه بحيث يغلب تأثيرها أحياناً ويربك العلاقة السابقة؛ مثلا خلق الأب والأم وطبعهما، وتأثير المناخ المحلى والتعامل مع مختلف الأشياء حسب العمل والمهنة وأمثال ذلك، من شأنه التأثير فى خلقيات الإنسان فيربك أحياناً كلية صلات علم معرفة الهيئة.

على كلّ حال، فما ورد فى كلام الإمام عليه السلام آنفاً إشارة إلى جانب من علاقة الروح بالجسد ذكره كرد على سؤال بعض أصحابه بشأن اختلاف روحيات الناس، وما مر علينا بالطبع مبدأ كلى ولا يخلو من استثناء.

ومن هنا يتضح ما يرى من مطالب فى بعض الروايات على خلاف ما ذكر، على أنّه من تلك الاستثناءات كالحديث النبوى القائل «أُطْلُبِ الْخَيْرَ عِنْدَ حِسانِ الْوُجُوهِ»[٧٣٧].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٩٨

فى حين ورد فى بعض الروايات ضمن خطبة للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «أَيُّهَا النّاسُ إيّاكُمْ وَخَضْراءُ الدِّمَنِ. قيلَ: يا رَسُولَ اللَّه وَما خَضْراءُ الدِّمَنِ؟ قالَ: الْمَرأةُ الْحَسْناءُ فى مَنْبَتِ السُّوء»[٧٣٨].

٢. الاختيار وصلة الروح بالجسد

السؤال الآخر الذى يرد هنا: إننا إن قبلنا العلاقة بين ملوحة التربة وحلاوتها وطبيعة الإنسان وإرتباط الهيئات الجسمانية بخلقيات البشر، فنتيجة ذلك ليس للأخيار قدرة إتيان المساوئ، ولا السيئين إتيان المحاسن وهذا هو مذهب الجبرية، والمعلوم على هذا الأساس إنكار الثواب والعقاب وعبثية بعثة الأنبياء، وبالتالى نفى عدالة اللَّه تبارك وتعالى.

ولا تبدو الاجابة على هذا السؤال صعبة، فليس هناك من يزعم أنّ الكيفيات الجسمانية علة تامة لتلك الخلقيات فى الطبيعة البشريّة، وأنّها مجرّد أرضية مساعدة. ويمكن ايضاح ذلك بهذا المثال. فالكل يقول بتأثير الوسط الاسرى أو البيئة على أعمال الإنسان، إلّاأنّ ذلك لا يعنى سلب إرادة الإنسان، وما ذلك سوى أرضية، ومن هنا نرى الكثير ممن تربّى فى اسرة سيئة لكنهم كانوا اناساً صالحين ومؤمنين. وبالعكس نرى بعض الأفراد السيئين ممن تربّى فى وسط صالح، بعبارة أخرى، فإنّ الجزء الأخير للعلة التامة إرادة الإنسان التى تؤدى إلى التأثير الغائى.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ من عاش وسطاً سيئاً وأجواء خلقية شاذة وسلك الطريق السليم فإنّ أجره وثوابه يفوق نظيره الذى يعيش وسطاً وبيئة صالحة.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٣٩٩

الخطبة ٢٣٥

اشارة

قَالَهُ وَهُوَ يَلِي غُسْلَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله وَتَجْهِيزَهُ ٧٣٩]

نظرة إلى الخطبة

أورد الإمام عليه السلام كما قيل، هذا الكلام حين وَلى غسل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وتجهيزه، كلمات ملتاعة تثير الحزن وتعكس غاية لوعة الإمام عليه السلام آنذاك، فى حين ترك الآخرون جسد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله واجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ليتآمروا على سلب خلافة النّبى صلى الله عليه و آله.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٤٠١

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّه لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوتِك مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِك مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْانْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ. خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاك وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيك سَوَاءً. وَلَوْ لَا أَنَّك أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَانْفَدْنَا عَلَيْك مَاءَ الشُّؤُونِ وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً، وَقَلَّا لَك! وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَك رَدُّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّك، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِك.

الشرح والتفسير: عظم مصيبة رحيل النّبى صلى الله عليه و آله

خاطب عليه السلام الجسد الطاهر للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّه لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِك مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِك مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْانْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ».

الجملة «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي». المتداولة لدى العرب عند ابداء الحبّ لأحد، إشارة إلى أنّى أفديك بأبى وامى أعزّ أعزائى، لعل أب القائل وامّه ليسا على قيد الحياة حين قوله ذلك الكلام كما الأمر كذلك فى هذه الخطبة، فذلك لا يقدح بمفهوم الكلام، فلهذه العبارة جانب كنائى ويشير إلى أنّ المخاطب عزيز إلى درجة أنّ الإنسان يفديه بأعزّ خاصته.

ورد فى بعض الروايات أنّ هذه العبارة عقوق للوالدين إن كانا على قيد الحياة ومؤمنين ٧٤٠].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٤٠٢

إلّا أنّ ظاهر هذه الرواية حين لا يكون المخاطب النّبى أو الإمام، لأنّ هذه العبارة إزاءهم مدعاة للفخر فضلًا عن أنّها ليست إهانة وعقوق.

ومن هنا كثيراً ما تشاهد هذه العبارة فى أغلب الزيارات، فى حين أنّ أغلب والدى الزائرين أحياء.

المفردات «نبوة»، «إنباء» و «أخبار السماء» ذات مفاهيم مختلفة: فالنبوّة إشارة إلى مقامه صلى الله عليه و آله، والإنباء أسلوب النبىّ العملى فى إبلاغ الرسالة والوحى، وأخبار السماء تلك التى لا ترتبط بالمسائل الشرعيّة من قبيل الأخبار الغيبيّة والحوادث المستقبليّة والملاحم.

على كلّ حال العبارات المذكورة أخبار صريحة فى خاتمية النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ودليل بيّن على عدم نزول الوحى بعد النّبى صلى الله عليه و آله وقد انقطعت هذه النعمة العظيمة التى عمّت العالم فى ظلّ وجود النبىّ برحيله، وهذا سرّ حزن أميرالمؤمنين عليه السلام.

ثم أشار عليه السلام إلى أمرين فقال: «خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً[٧٤١] عَمَّنْ سِوَاك وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيك سَوَاءً».

كيف لا تكون مصيبة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله شاملة وهو رحمة للعالمين ووسيلة نجاة البشريّة من مختلف أنواع الانحرافات، فهو للجميع ويهتم بالجميع، فلابدّ أن يبكيه الجميع فى مصابه.

ومن جانب آخر أنّ المصاب يبدو أجلّ وأعزّ كلما كان الفقيد أعظم قدراً وأثراً، ولما كان النّبى صلى الله عليه و آله أكرم إنسان وأعز مخلوق كانت مصيبته تفوق جميع المصائب، وبعبارة أخرى تهون سائر المصائب إزاء مصابه.

وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام حين مصابه بالزهراء عليها السلام فخاطب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّه عَنْ صَفِيَّتِك صَبْرِى وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِى إِلَّا أَنَّ فِى التَّأَسِّى لِى بِعَظِيمِ فُرْقَتِك وَفَادِحِ مُصِيبَتِك مَوْضِعَ تَعَزٍّ»[۷۴۲].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۰۳

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إِنْ اصِبْتَ بِمُصِيبَةٍ فى نَفْسِك أوْ فى مالِك أوْ فى وَلَدِك فَاذْكُرْ مُصابَك بِرَسُولِ اللَّه فَإِنَّ الْخَلائِقَ لَمْ يُصابُوا بِمِثْلِهِ قَطُّ»[۷۴۳].

ثم أشار عليه السلام إلى قضية أخرى فقال: «وَ لَوْ لَا أَنَّك أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَأَنْفَدْنَا[۷۴۴] عَلَيْك مَاءَ الشُّؤونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً، وَقَلًّا لَك!».

وبالنظر إلى أنّ شؤون، جمع شأن التى تعنى هنا غدد الدموع فمراد الإمام عليه السلام لولا أنّك نهيتنا عن البكاء والجزع لبكيناك حتى ينضب ماء عيوننا، لكننا تعلمنا منك الصبر والجلد، فقد بكيت ولدك إبراهيم حين توفى لكنك لم تجزع، وهذا ما فعلته بمصاب عمّك حمزة ومن هنا علمتنا الصبر.

و «المماطل»: المدين الذى يؤخر أداء الدين، ويقال: داء المماطل للمرض الذى لا علاج له والذى يشبه ذلك المدين.

و «الكمد»: الحزن الباطنى، والمحالف: من يعاهد غيره ويفى بالعهد، فكمد محالف بإشارة إلى الحزن الباطنى الثابت.

ويشير ضمير المثنى فى (قَلّا لك) إلى ذلك الداء والكمد؛ أىأنّ ألم مصابك وحزنه الدائم لا شىء أيضاً إزاء عظمة مصيبتك.

ثم قال عليه السلام: «وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَك رَدُّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ!». فالبكاء والجزع لا يجدى نفعاً ولابدّ من الصبر والرضا برضى اللَّه.

ثم عبر فى الختام أيضاً عن حبّه للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وتعلقه به فقال: «بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّك، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِك ۷۴۵]».

ومفهوم هذه العبارة أنّ روحك الطاهرة عرجت إلى الملكوت الأعلى جوار الربّ. فادع لنا هناك واسأل اللَّه قضاء حوائجنا واستحضرنا على الدوام.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۰۴

تأمّلان

۱. البكاء على الأعزّة

يستفاد من هذه الخطبة والروايات، عدم المنع من البكاء على مصاب الأعزّة.

والمنع يقتصر على الجزع والجحود، فقلب الإنسان بؤرة العواطف والتى تؤثر عليه سيما حين تشتد. فإذا فقد عزيزاً اضطرب القلب وجرت الدموع ويختنق الإنسان بعبرته وينطلق اللسان لبيان شوقه ولهفته للعزيز الفقيد، هذه الأمور جميعاً ليست ممنوعة، بل ممدوحة شريطة اقترانها بالصبر، والممنوع أن يجزع الإنسان ويضرب رأسه بالجدار ويخمش وجهه وينطلق لسانه بالباطل.

ففى الخبر: لما بلغ النّبى صلى الله عليه و آله استشهاد جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة (فى موقعة مؤتة) بكاهما وقال: «إِنَّهُما كَانا يُحدِّثانِى وَكُنتُ آنسُ بِهِما فَماتَا مَعاً»[۷۴۶].

كما ورد فى غزوة احد أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لما رجع إلى المدينة وكان يسمع كلّ بيت يبكى قتيله سوى بيت عمّه حمزة، غضب وقال: «وَلَكِن حَمزَةَ لابَواكِى لَهُ».

فلما سمع أهل المدينة ذلك أقسموا أن لا يبكوا أحداً حتى يبكوا على حمزة. وقد استمرت هذه السّنّة حتى اليوم (حين حديث الإمام الباقر عليه السلام)[۷۴۷].

كما وردت عن المعصومين عليهم السلام عدّة روايات فى النهى عن الجزع، ومنها أنّ أميرالمؤمنين على عليه السلام قال: «إنَّك إنْ صَبَرْتَ جَرَتْ عَلَيْك الْمَقاديرُ وَأنْتَ مَأجُورٌ وَ إنْ جَزِعْتَ جَرَتْ عَلَيْك الْمَقاديرُ وَأنْتَ مَعْذورٌ»[۷۴۸].

لا ـ ينبغى أن ننسى أنّ الجزع ناهيك عن كونه نوعاً من جحود اللّه، فهو ينطوى على آثار سيئة تصيب أعصاب الإنسان وتسوقه أحياناً إلى حدّ الجنون.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۰۵

۲. تجهيز النّبى صلى الله عليه و آله

لا خلاف فى يوم وفاة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حيث أجمعوا على وفاته يوم الاثنين ومشهور مذهب أهل‌البيت عليهم السلام أنّه دفن بعد ثلاثة أيّام.

ورغم ما يستفاد من الروايات باستحباب التعجيل فى دفن الميت؛ إلّاأنّ القضيّة تختلف حين يكون المتوفى شخص كرسول اللّه صلى الله عليه و آله ويريد المسلمون أن يصلّوا عليه فوجاً فوجاً ويودعوه.

وكما يستفاد من الأخبار أنّهم كانوا يدخلون عليه عشرة عشرة ويصلّون عليه، ثم دفن هناك فى حجرته، حيث كان لكلٍّ رأيه فى دفن النّبى صلى الله عليه و آله فمنهم من قال: فى مكة، وآخر المدينة (فى البقيع أو فى صحن المسجد) فقال أميرالمؤمنين على عليه السلام:

«إنَّ اللّه لَمْ يَقْبِضْ نَبِيّاً إلّافى أطْهَرِ الْبِقاعِ فَيَنْبَغى أنْ يُدْفَنَ فِى الْبُقْعَةِ الَّتى قُبِضَ فيها».

فَاتَّفَقَتِ الْجَماعَةُ عَلى قَوْلِهِ عليه السلام وَدُفِنَ فى حُجْرَتِهِ ۷۴۹]. كما قيل فيمن دخل القبر أنّه دخل على عليه السلام والفضل ابن العباس وشخصان آخران ۷۵۰].

على كلّ حال، فمما لا شك فيه أنّ تجهيز النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بما فى ذلك غسله وتكفينه والصلاة عليه كان على يد على عليه السلام بينما سارع الآخرون إلى سقيفة بنى ساعدة وانهمكوا بالحديث عن الخلافة حتى قيل إنّ معزّى السقيفة لم يوفّقوا للصلاة على النّبى صلى الله عليه و آله. وللوقوف على المزيد بهذا الشأن يراجع كتاب بحار الأنوار: ج ۲۲، ص ۵۰۴.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۰۷

الخطبة ۲۳۶

اشارة

اقْتَصَّ فيهِ ذِكْرَ ما كانَ مِنْهُ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبى صلى الله عليه و آله ثُمَّ لِحاقُهُ بِه ۷۵۱]

نظرة إلى الخطبة

لا حاجة هنا لشرح الخطبة وفق نظرة كون كلامه عليه السلام غاية فى القصر والايجاز.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۰۹

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله فَأَطَأُ ذِكْرَهُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ.

الشرح والتفسير: ذكر الحبيب

هذا الكلام كما ذكر المرحوم السيد الرضى جانب موجز من خطبة مفصلة للإمام عليه السلام فصّله الرضى لما رأى فيه من ظرافة فى عباراته من حيث الفصاحة والبلاغة. ويفهم من كتاب «تمام نهج البلاغة» أنّ هذا الكلام كان فى خطبة بيّن فيها الإمام مكانته من النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وشرح فى كلّ جانب منها صلته الوثيقة بالنبى صلى الله عليه و آله ولطفه به والذى تتضح فيه تماماً مكانة أهل البيت عليهم السلام ٧٥٢].

وهذا الكلام- كما أشرنا آنفاً- فى هجرة النّبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة بعد ليلة المبيت وبقاء الإمام فى مكة لأداء ودائع النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى الناس وانطلاقته خفية إلى المدينة بعيداً عن أنظار خصوم الدعوة الإسلاميّة.

فالإمام عليه السلام الذى عاش تلك المرحلة العصيبة إبان فراق زعيمه وأستاذه العزيز كان يعانى من فراقه الذى شقّ عليه وكلامه هنا يعكس ذلك حيث قال: «فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه و آله فَأَطَأُ ذِكْرَهُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ».

يشير هذا الكلام إلى مدى لوعة الإمام عليه السلام على فراق النّبى صلى الله عليه و آله خلال تلك الفترة الوجيزة، فلا ينفك عن ذكره ويفصح عن مدى لوعته كمن فقد أعزّ أعزّته؛ لكن لا حيلة، فلابدّ أن يبقى ويؤدى إلى الناس ودائعهم عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله التى ائتمنوه

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۱۰

عليها، فانطلق بعيداً عن أعين الأعداء إلى المدينة، ويستفاد من التواريخ الإسلاميّة أنّ جروحاً بليغة أصابت جسد الإمام إثر إمطاره بالحجارة ليلة هجرة النّبى وقد نام على فراشه؛ لكنّه تناسى كل تلك الجراح وكان لا يفكر سوى بحبيبه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

قال المرحوم السيد الرضى فى ختام هذا الكلام:

إنّ قوله عليه السلام: «فَأَطَأُ ذِكْرَهُ» مِنَ الْكَلامِ الَّذى رَمى بِهِ إلى غايَتَى الْايجازِ وَالْفَصاحَةِ، أراد أنّى كُنْتُ أعْطى خَبَرَهُ صلى الله عليه و آله مِنْ بَدْءِ خُرُوجى إلى أنِ انْتَهَيْتُ إلى هذَا الْمَوْضِعُ، فَكَنّى عَن ذلِكَ بِهذِهِ الْكِنايَةِ الْعَجيبَةِ.

فللإمام عليه السلام نكته ظريفة ودقيقة فى العبارة «فَأَطَأُ ذِكْرَهُ» والتى تابعها السيد الرضى وهى أنّ الإمام عليه السلام جعل ذكر النّبى صلى الله عليه و آله كالطيف الجميل الساحر الذى يعطر الأجواء، وكان الإمام يعيش ذلك الجو ليله ونهاره، كمن يقول لآخر: إنّ ذكرك هو بيتى وحياتى، ذكرك أزقة مدينتى.

تأمّل: قصّة الهجرة

إنّ قصة هجرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من أروع القصص التاريخيّة فى الإسلام، وذلك عندما أحس رؤوساء قريش بالخطر المغدق بهم إثر دعوته الشريفة، وخصوصاً لو استمرت هذه الدعوة بين أوساط الناس وبهذه الصورة الجديّة، فيؤدى لا شك إلى انكسار شوكتهم وقدرتهم وتحطم أوثانهم بل وتتحول مكة إلى سجن كبير لهم، وعليه اختاروا طريق القضاء عليه وعلى دعوته الرسالية، اختاروا فى التصدى لدعوته أحد الطرق الثلاثة، إمّا يسجنوه، أو ينفوه من مكة أو يقتلوه وهذا ما أشارت إلى الآية ٣٠ من سورة الأنفال.

ولكن أجمعوا على قتله ليلًا لأنّهم محصوا هذا الرأى واتفقوا عليه، ولكنّهم واجهوا مشكلة بنى عبدمناف فى طلب الثأر له وبذلك تقع

فتنة عظيمة وصراع كبير

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۱۱

بين قبائل مكة، ولهذا دعوا جميع القبائل ورؤوساء قريش وثبت رأيهم على على أن يضربوه بأسيافهم من أيدى جماعة من بطون مختلفة ليضيع دمه فى بطون قريش فلا تطلبه نبو عبدمناف وبالتالى يرضوا بالدية، فحاصروا بيت النبى صلى الله عليه و آله وانتظر الصبح إلى أن ينجلى ظلام الليل، ثم يحملوا عليه حملة رجل واحد.

فخرج النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بأمر من اللّه تعالى من محاصرة القوم بصورة إعجازية ورحل ليلًا إلى المدينة (ولكن عن طريق غير طريق مكة والمدينة حتى لا تستطيع الأعداء اقتفاء أثره) وأمر على بن أبى طالب عليه السلام أن يبيت فى فراشه وذلك لأنّهم كانوا يترصدون البيت فعاينوا فيها شخصاً مسجى بالبرد الحضرمى الأخضر، فلم يشكوا أنّه هو فرصدوه ورمه ببعض الأحجار ليطمئنوا على أنّه لازال فى فراشه.

ولما أصبحوا دخلوا عليه الدار وسلوا بسيوفهم وحملوا عليه ظنّاً منهم أنّه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأحاطوا بفراشه وفجأة وجدوا عليّاً عليه السلام فى فراشه فلمّا دنوا منه عرفوه فقالوا له: أين صاحبك؟ فقال عليه السلام: لا أدرى أو رقيباً كنت عليه؟

فعندما فشلت خطتهم غضبوا غضباً شديداً لأنّهم انتظروه إلى الصباح وألقوا اللائمة على أبى لهب الذى منعهم من الهجوم ليلًا (لأنّ الهجوم ليلًا كان عندهم مع وجود الأطفال والذرارى عيباً كبيراً).

وتحرك النبى من مكّة جهة الشمال إلى المدينة بدلًا عن الجنوب ووصل إلى جبل غار ثور واختفى فيه حتى لا تصل إليه أيدى الأعداء والمشركين، فخرج رجال قريش تبحث عنه فى أطراف مكّة ولكنّهم فشلوا ورجعوا إلى مكّة دون أن يعثروا على رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقد خرج من أيديهم وهاجر إلى المدينة[۷۵۳].

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۱۳

الخطبة ۲۳۷

اشارة

فِي الْمُسارَعَةِ إِلَى الْعَمَل ۷۵۴]

نظرة إلى الخطبة

يستفاد من كتاب «تمام نهج البلاغة» أنّ هذه الخطبة- جانب من الخطبة الغرّاء- تعدّ من عجائب خطب الإمام عليه السلام حيث شيّع جنازةً ووسّد الميت فى اللحد وكان أهله يبكوه فخطب تلك الخطبة[۷۵۵].

وتتألف الخطبة فى الواقع من قسمين؛ الأوّل: عن المسارعة فى العمل واستغلال الفرص، فلعل الموت يفاجئ الإنسان وتفوت الفرصة ويغلق باب التوبة.

والقسم الثانى: وصايا فى مجاهدة هوى النفس وكيفية الانتفاع بفرص الحياة، فالخطبة بمجموعها ذات فائدة قصوى لسالكى سبيل السعادة.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۱۵

القسم الأوّل

اشارة

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى وَالْمُسِيءُ يُرْجَى، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ، وَيَنْقَضِيَ الأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ.

الشرح والتفسير: اغتنام الفرصة

شجّع الإمام عليه السلام بهذه العبارات الموجزة العميقة المعنى جميع مخاطبيه على اغتنام الفرص وحذّر من أنّ هذه الفرص عابرة زائلة عاجلًا أم أجلًا، ولابدّ من السعى قبل اليأس والحسرة.

فأشار فى كيفية اغتنام الفرص إلى خمسة أمور:

قال فى الأوّل: «فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ».

والعبارة «نَفَسِ الْبَقَاءِ» إشارة لطيفة إلى أنّ البقاء كأنّما يشبه فى الدنيا بالكائن الحى الذى يتنفس ولابدّ من استغلاله قبل أن ينقطع نفسه.

وقال فى الثانى: «وَ الصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ[۷۵۶]».

إشارة إلى إمكانية الإضافة والإصلاح والتعديل ما دامت الصحيفة مفتوحة.

وفى الثالث: «وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ».

إشارة إلى أنّ العودة قائمة ويمكن إطفاء نيران الذنوب المستعرة بماء التوبة مادامت أبوابها مفتوحة وتحصيلها واسع، فيلجأ الإنسان إلى اللّه ويفصح عن ندمه

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۱۶

ويسكب الدموع التى تفرزها التوبة النصوح والخالصة فيطفئ بها نيران الذنوب.

ورد فى «الكافى» عن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام أنّه قال: «إِنَّ آدَمَ عليه السلام قَالَ يارَبِّ سَلّطتَ عَلىَّ الشَّيطانَ وَأَجرَيتَهُ مِنّى مَجرى الدَّمِ، ما جَعَلتَ لِى شَيئاً، فَقَالَ: يا آدَمُ جَعَلتُ لَكَ أَنَّ مَن هَمَّ مِنْ ذُرّيّتِكَ بِسَيئةٍ لَم تُكتَبْ عَلَيهَ، فَإنّ عَمِلَها كَتَبتُ عَلَيهِ سَيئةً، وَمَنْ هَمّ مِنهُم بِحَسنَةٍ فَإن لَم يَعمَلهَا كَتَبتُ لَهُ حَسنةً فَإن هُو عَمِلَها كَتَبتُ لَهُ عَشراً، قَالَ: يارَبِّ زِدنِى، قَالَ: جَعَلتُ لَكَ أَنَّ مَن عَمِلَ مِنهُم سَيئةً ثُمّ استَغفَرَ لَهُ غَفَرتُ لَهُ، قَالَ: يارَبِّ زِدنِى، قَالَ: جَعَلتُ لَهُ التّوبَةَ- أو قال بسطت لهم التوبة- حَتّى تَبلُغَ النَّفس هَذِهِ، قَالَ: يارِبِّ حَسبِى»[۷۵۷].

وقال فى الأمر الرابع والخامس: «وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى وَالْمُسِيءُ يُرْجَى».

إشارة إلى الدعوة والأمل الذى تضمنته الآية الكريمة، قال تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[۷۵۸].

وقال تعالى: «وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ»[۷۵۹].

وقال فى العبارة السادسة والسابعة والثامنة: «قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ[۷۶۰] الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ ۷۶۱]، وَ يَنْقَضِيَ الأَجَلُ».

نعم، فما دام هنالك العمر فالعمل قائم والمهلة مبذولة والفرصة سانحة وكل ذلك يفنى حين مغادرة الإنسان لهذا العالم.

وقال فى التاسعة والعاشرة: «وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ».

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۱۷

القسم الثانى

اشارة

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ. امْرُؤٌ خَافَ اللَّه وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ. امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِى اللَّه، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّه.

الشرح والتفسير: كيفية اغتنام الفرصة

وعظ الإمام عليه السلام فى المقطع السابق من هذه الخطبة بعشر عبارات موجزة وعميقة المعنى، الجميع باغتنام الفرص قبل فوات الأوان.

ثم ذكر فى عشر أخرى طرق كيفية الاغتنام لتلك الفرص، فالقسم الأوّل فى الواقع وعظ وتحذير والثانى أسلوب للعمل. قال: «فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ،، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ ومِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ».

تكرر الفعل الماضى (أخذ) فى هذه العبارات الأربع مرتين؛ لكنّه عنى الأمر. فقد أمر عليه السلام فى العبارة الاولى بضرورة استفادة كلّ إنسان من رصيد وجوده لإدخار الحسنات، حيث وهب اللَّه الإنسان إمكانات وطاقات إن وظفها فى المسار الصحيح وفّرت له أسباب السعادة.

ورد عنه عليه السلام فى «غررالحكم» أنّه قال: «إنّ اللّيْلَ وَالنَّهارَ يَعْمَلانِ فيكَ فَاعْمَلْ فيهِما وَيَأْخُذانِ مِنْكَ فَخُذْ مِنْهُما»[٧٦٢].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٤١٨

وقد ورد نفس هذا المعنى فى العبارة الثانية بصيغة أخرى، «وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ».

وأشار فى العبارة الثالثة والرابعة إلى إمكانية التزود من هذه الدار الفانية إلى تلك الدار الباقية ومن هذه الحياة الزائلة إلى تلك الخالدة، ثم واصل كلامه قائلًا: «امْرُؤٌ خَافَ اللَّه وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ[٧٦٣] إِلَى عَمَلِهِ».

حيث بيّن عليه السلام فى هاتين العبارتين ما ذكره فى العبارات السابقة بصيغة أخرى ووعظ الجميع بالانتفاع بهذه المهلة التى منحهم اللَّه ضرورة خشيته والابتعاد عن التقصير.

ثم قال: «امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِى اللَّه، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّه».

فقد شبّه عليه السلام نفس الإنسان بالدابة الجموح إن لم يكن زمامها كما ينبغى أقحمته فى وادى المعصية وحرفته عن مسار الطاعة عادة ما يستفاد من وسيلتين للسيطرة على الدابّة الجامحة؛ إحداهما، اللجام وهو حبل يوضع فى فم الدابة ويوثق ليكون بيد راكب الدابّة، والزمام، الذى يوضع فى أنفها ويمسكه الراكب بحبل، ولما كان فم الدابة وأنفها من المواضع الحساسة فإنّه يمكن من خلالها إيقاف الدابّة أو سوقها إلى جهة من خلال تحريكه إلى تلك الجهة.

والعبارة «لجام» و «زمام» إشارة إلى ضرورة تهيئة اللجام والزمام الذى يليق بالنفس الجامحة بحيث يمكن بواسطته صدها عن الذنب والمعصية وسوقها إلى طاعة اللَّه، وما أكثر الأفراد الذين يلجمون أنفسهم بلجام ضعيف وهزيل بحيث يفقدون هذا اللجام حين إثارة الشهوات فيقارفون أنواع المعاصى.

ولكن ما هى الوسيلة اللازمة للسيطرة على النفس؟ يمكن الظفر بالجواب فى ما ورد من كلمات الإمام على عليه السلام فى «غررالحكم» و «بحارالأنوار». فقد ذكر عليه السلام أنّ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٤١٩

القناعة عامل إصلاح النفس فقال: «اعْوَنُ شَىء عَلى صَلاحِ النَّفْسِ الْقَناعَةُ»[٧٦٤].

وفی موضع آخر عدّ التعصب وسیلة لإصلاحها فقال: «إذا صَعِبَتْ عَلَیْک نَفْسُک فَاصْعَبْ لَها تَذِلَّ لَک»[۷۶۵].

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۴۲۱

الخطبة ۲۳۸

اشارة

فی شَأْنِ الْحَکَمَیْنِ وَذَمِّ أَهْلِ الشّام ۷۶۶]

نظرة إلى الخطبة

تتکون هذه الخطبة فی الواقع من قسمین، ذم الإمام علیه السلام فی القسم الأوّل أهل الشام ونعتهم بالجفاة القساة الذین ینبغی أن یؤدَّبوا ویربَّوا ویخضع القاصر منهم لولایة العالِم، إنّهم لیسوا من المهاجرین والأنصار (العارفین بتعالیم الإسلام والحریصین علی بقائه).

وأشار علیه السلام فی القسم الثانی إلی قضیة التحکیم فبیّن أنّ أهل الشام اختاروا لهذه

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۴۲۲

القضیة عمرو بن العاص وهو أفضل من یحقق أطماعهم ومآربهم، واخترتم أبو موسی الأشعری أبعدهم عن هدفکم، وکان علیکم أن توجهوا قبضة ابن عباس إلی صدر عمرو بن العاص لا بواسطة الضعفاء کأبی موسی الأشعری.

***

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۴۲۳

القسم اوّل

اشارة

جُفَاةٌ طَغَامٌ، وَعَبِیدٌ أَقْزَامٌ، جُمِعُوا مِنْ کُلِّ أَوْبٍ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ کُلِّ شَوْب، مِمَّنْ یَنْبَغِی أَنْ یُفَقَّهَ وَیُؤَدَّبَ، وَیُعَلَّمَ وَیُدَرَّبَ، وَیُوَلَّی عَلَیْهِ، وَیُؤْخَذَ عَلَی یَدَیْهِ.

لَیْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِینَ وَالأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَالْایمَانَ.

الشرح والتفسیر: أتباع معاویة

خاض الإمام علیه السلام هنا کما ذکرنا فی ذم أهل الشام وذکر صفاتهم التی تکشف عن مدی جهلهم وخبثهم فاستهل ذلک بخمس من صفاتهم قائلًا: «جُفَاةٌ[۷۶۷] طَغَامٌ ۷۶۸]، وَعَبِیدٌ أَقْزَامٌ ۷۶۹]، جُمِعُوا مِنْ کُلِّ أَوْب ۷۷۰]، وَتُلُقِّطُوا[۷۷۱] مِنْ کُلِّ شَوْب ۷۷۲]».

ثم أضاف علیه السلام: «مِمَّنْ یَنْبَغِی أَنْ یُفَقَّهَ وَیُؤَدَّبَ، وَیُعَلَّمَ وَیُدَرَّبَ ۷۷۳]، وَیُوَلَّی عَلَیْهِ، وَیُؤْخَذَ عَلَی یَدَیْهِ».

واختتم علیه السلام قائلًا: «لَیْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِینَ وَالأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا[۷۷۴] الدّارَ والْایمانَ».

نفحات الولایة، ج۸، ص: ۴۲۴

وکما أشرنا سابقاً فإنّ هذا الکلام بعض کتاب کتبه الإمام علیه السلام لیطلع المسلمین علی جمیع الأحداث فی عصره وما سبقه لیکون

تعليمات تبعث لجميع المناطق والتعريف بأهل الشام وأتباع معاوية الذين تمردوا على إمام المسلمين وأجّجوا نيران صفّين وإيضاح سوء نيّتهم وكيفية اجتماعهم.

تأمّل: جهل أهل الشام

ما أورده الإمام عليه السلام بشأن جهل وحمق عسكر معاوية (رغم كثرة الأفراد الداعين فى أهل الشام) لمن القضايا التى تؤيدها سيرة معاوية ومن ذلك هاتان الواقعتان اللتان نقلهما المسعودى فى «مروج الذهب».

الواقعة الاولى: إنّ رجلًا من أهل الكوفة على بعير له قدم إلى دمشق فى حال منصرفهم عن صفّين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتى أخذت منّى بصفّين، فارتفع أمرهما إلى معاوية وأقام الدمشقى خمسين رجلًا بيّنة يشهدون أنّها ناقته فقضى على الكوفىّ وأمره بتسليم البعير إليه.

فقال الكوفىّ: أصلحك اللّه إنّه جمل وليس بناقة.

فقال معاوية: هذا حكم قد قضى، ودسّ إلى الكوفىّ بعد تفرّقهم فأحضره وسأله عن ثمن البعير فدفع إليه ضعفه وبرّ وأحسن إليه وقال له: أبلغ عليّاً أنّى اقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرّق بين الناقة والجمل.

الواقعة الثانية: ولقد بلغ من أمرهم من طاعتهم له (لمعاوية) أنّه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صفّين الجمعة فى يوم الأربعاء وأعاروه رؤوسهم عند القتال. (وقَبل الناس وصلّوا الجمعة فى يوم الأربعاء وهذا كان من جهل أهل الشام)[۷۷۵].

كما ورد فى الحديث أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال لعمار: (تقتلك الفئة الباغية)، وقد

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۲۵

شهد عمار صفّين مع على عليه السلام حتى قتل، فلما اجتمع بعض الصحابة عند قتل عمار، وأنّ معاوية هو وأصحابه هم الفئة الباغية الذين قتلوا عمّار، قال عمرو بن العاص:

إنّ علياً هو الذى قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ۷۷۶].

والعجيب أنّ البعض قبل هذا الرأى.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۲۷

القسم الثانى

اشارة

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِانْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمُ اخْتَرْتُمْ لِانْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ. وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّه بْنِ قَيْسٍ بِالْامْسِ يَقُولُ: «إِنَّهَا فِتْنَةٌ، فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ». فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ، غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ.

فَادْفَعُوا فِى صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّه بْنِ الْعَبَّاسِ، وَخُذُوا مَهَلَ الأَيَّامِ، وَحُوطُوا قَوَاصِىَ الْاسْلَامِ. أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى؟

الشرح والتفسير: أفضل اختيار وأسوأه

خاض الإمام عليه السلام فى القسم السابق فى التعريف بأهل الشام الذين اجتمعوا حول معاوية ليصفهم بأنّهم جهّال وأوباش وأشرار،

وقال هنا رغم جهلهم وانحطاطهم لكنهم تفوقوا عليكم فى الجانب السياسى، فقد اختاروا للتحكيم من يضمن مصالحهم اللامشروعة (عمرو بن العاص) بينما إخترتم (أبو موسى الأشعرى) من يتحرك ضد مصالحكم ومصالح المسلمين، فهلمّوا وتلافوا أخطاءكم: «أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِانْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمُ اخْتَرْتُمْ لِانْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ».

ثم خاض عليه السلام فى التعريف بأبى موسى الأشعرى وركز على آخر فتنه دون الإشارة إلى سوابقه السيئة فقال: «وَانَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّه بْنِ قَيْسٍ بِالْامْسِ يَقُولُ:

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۲۸

«إِنَّهَا فِتْنَةٌ»، فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ ٧٧٧]، وَشِيمُوا[٧٧٨] سُيُوفَكُمْ».

ثم واصل عليه السلام كلامه قائلًا: «فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَه، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ».

الطريف ما أورده المرحوم ابن ميثم فى شرحه لنهج البلاغة عن سويد بن غفلة أنّه قال: كنت مع أبى موسى الأشعرى على شاطىء الفرات فى خلافة عثمان فروى لى خبراً عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: سمعته يقول: «إنّ بَنى إسرائِيل اختَلَفُوا فَلَم يَزلْ الاختِلاف بَينَهُم حَتّى بَعَثُوا حَكَمَينِ ضَالّين ضَلّا وَأضَلّا مَنْ اتّبعَهُما»، فقلت له:

احذر يا أباموسى أن تكون أحدهما! قال: فخلع قميصه، وقال: أبرأ إلى اللَّه من ذلك كما أبرأ من قميصى هذا[٧٧٩].

ويريد بذلك أنّه لا يقبل التحكيم ويتبرأ منه، ولكنّه قَبل وحكم وأضلّ الناس مع عمرو ابن العاص، وبذلك صدق رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى كلامه هذا وما تنبأ به بإعجاز عن قوله (ضالّين ضلّا وأضلّا من أتبعهما).

وعقب كلّ هذا التحليل الدقيق اقترح على صحبه اقتراحاً نافعاً، وقال: «فَادْفَعُوا فِى صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّه بْنِ الْعَبَّاسِ، وَخُذُوا مَهَلَ الأَيَّام، وَحُوطُوا قَوَاصِىَ ٧٨٠] الْاسْلَام».

ثم اختتم عليه السلام كلامه بهدف خلق الدافع لديهم وإثارة حسهم الدينى والإنسانى فقال: «أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى وَإِلَى صَفَاتِكُمْ ٧٨١] تُرْمَى؟».

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۲۹

حقّاً لم يكن أبوموسى الأشعرى الأبله من يسعه مواجهة الماكر عمرو بن العاص وكان أفضل من يسعه مواجهته رجل قوى وواعٍ كابن عباس، إلّاأنّ مؤامرات معاوية وبعض الخونة من بطانة الإمام عليه السلام حالت دون ذلك.

كتب الكاتب الإسلامى المصرى عبدالكريم الخطيب فى كتابه «على بن أبى طالب»: وكان الإمام قد أعدّ ابن عباس ليلقى عمرو بن العاص، ولكن أصحاب الإمام اختلفوا عليه، وكان الأشعث بن قيس (المنافق) رأس الجماعة التى نازعت فى اختيار ابن عباس، والأشعث هو الذى مهّد التحكيم، وأكره هو وقومه عليّاً على قبوله .. ولا شك أنّ الصلة كانت قد توثقت بين معاوية والأشعث.

وهذا الذى سجله الخطيب يتفق تماماً مع ما نقلناه عن كتاب (على وبنوه) لطه حسين فى شرح الخطبة ١٩، ج ١، ص ١٥٢: من أنّ الأشعث وابن العاص قد دبرا رفع المصاحف واختاروا ا لحكمين سلفاً[٧٨٢].

ثم ذكر المرحوم مغنية جانباً آخر من كلام عبدالكريم الخطيب فى كتابه: «كان ابن العاص صاحب مصلحة فى أى خير يصيبه معاوية من التحكيم، لأنّ الصكّ بملك مصر فى يده .. وليس لابن عباس شىء أن خلصت الخلافة لعلىّ، وهل لأحد مع على مطمع؟ إنّ كلّ الذين يعملون مع على يعملون للَّهلا له، فليس لهم عنده يد يرجون المثوبة عليها ولا من اللَّه، فماذا يخشى القوم من ابن عباس إذن؟ إنّهم لا يخشون إلّاأن يرفع ابن العاص عن كيد مارد لا يفطن إليه إلّارجل أوتى مثل ما أوتى ابن عباس من ألمعية وذكاء[٧٨٣]. نهاية معركة صفين عن طريق رفع المصاحف على أسنة الرماح على هامش هزيمة جيش معاوية ومن ثم قضية التحكيم، لمن أفجع حوادث التاريخ الإسلامى، وكانت معاناة الإمام عليه السلام ومصابه بذلك بما لا يمكن وصفه والذى حصل من قبل جماعة دنيوية بعيدة عن الإيمان والتقوى.[٧٨۴]

نفحات الولاية ؛ ج٨ ؛ ص٤٢٩

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٤٣١

الخطبة ٢٣٩

اشارة

يَذْكُرُ فيها آلَ مُحَمَّد صلى الله عليه و آله [٧٨٥]

نظرة إلى الخطبة

الخطبة فى الواقع قسم واحد ومحورها فضائل أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم الرفيعة فى الامّة الإسلاميّة وإدراكهم الصحيح للدين وبالتالى ضرورة إتّباعهم وعدم مخالفتهم.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٤٣٣

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ. يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ.

وَهُمْ دَعَائِمُ الْاسْلَام، وَوَلَائِجُ الْاعْتِصَام. بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ. عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

الشرح والتفسير: آل محمد أركان الدين

ذكر عليه السلام فى هذه الخطبة الموجزة اثنتى عشرة فضيلة لأهل‌البيت عليهم السلام تثبت عظم منزلتهم وتسوق مخاطبيه لاتّباعهم. وهى الصفات التى تستوعب فضائل الإنسانية وتنطوى على مواصفات القيادة.

قال فى الصفة الاولى والثانية: «هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ»، فقد شبّه عليه السلام العلم والجهل هنا بكائنين حيين وأنّ آل محمد يهبون العلم الحياة ويميتون الجهل وبعبارة أخرى هم روح العلم وعنصر موت الجهل.

وهذا هو الحديث المعروف الذى ورد عن النّبى‌الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «أَهْلُ بَيْتِى كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»[٧٨٦].

كما ورد فى رواية أخرى عن ابن عباس أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال: «النُّجُومُ أمانٌ

نفحات الولاية، ج٨، ص: ٤٣٤

لِاهْلِ الْارْضِ مِنَ الْغَرْقِ وَأَهْلُ بَيْتِى أمانٌ لِامَّتِى مِنَ الْاخْتِلافِ فَإذا خالَفَتْها قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ اخْتَلَفُوا فَصاروا حِزبَ إبْليس»[٧٨٧].

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث صفات أخرى فقال: «يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ».

تشير العبارة «يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ» إلى علاقة وثيقة بين العلم والحلم، فالجاهل ليس حليماً وسرعان ما يغضب إزاء الأحداث المختلفة وما يطرح عليه من سؤال؛ أمّا العالم فحليم إزاء ذلك، وكذلك العلاقة بين الظاهر والباطن حيث إنّ حسن الظاهر فى الغالب والسلوك والتصرف يدلّ على حسن الباطن، وهكذا علاقة الصمت الذى يكشفه المنطق الحكيم وقد دلّت التجربة على أنّ مَن قلّ كلامه كان أكثر دقّة وصواباً فى الكلام كما ورد فى الحديث الشريف قالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه و آله: «إذا رَأَيْتُمُ الْمُؤمِنَ صَمُوتاً

فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنّهُ يُلْقِى الْحِكْمَةَ»[۷۸۸].

ثم قال فى الصفة السادسة والسابعة: «لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ».

ودليل ذلك واضح، فلهم من جانب مقام العصمة ومن جانب آخر الإحاطة التامة بأحكام اللّه والوحى والسنّة، ومن كان كذلك فلا ينطلق خلاف الحق ولا يختلف فيه.

جاء فى الحديث النبوى المعروف: «عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَهُ وَعَلى لِسانِهِ وَالْحَقُّ يَدُورُ حَيْثُ ما دارَ عَلِيٌّ».

وقرأ بتعبير آخر فى نفس الحديث قال صلى الله عليه و آله: «عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْقُرآنِ، وَالْحَقُّ وَالْقُرآنُ مَعَ عَلِيٍّ وَلَنْ يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[۷۸۹].

ونعلم أنّ أئمّة العصمة من ولد على عليه السلام ورثة علمه، ومن هنا فإنّهم لا يحيدون

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۳۵

قط عن الحق.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كِتابَ اللّه فِيهِ نَبَأُ ما قَبْلِكُمْ وَخَبَرُ ما بَعْدِكُمْ وَفَصْلُ ما بَيْنَكُمْ وَنَحْنُ نَعْلَمُهُ»[۷۹۰].

فكيف يمكنهم الاختلاف فى الحق. فالاختلاف علامة الجهل، ومن كان عالماً بكلّ هذه الأمور يستحيل عليه الاختلاف.

ثم ذكر صفتهم الثامنة والتاسعة فقال: «وَهُمْ دَعائِمُ الْاسْلَامِ، وَوَلَائِجُ ۷۹۱] الْاعْتِصَامِ».

وهكذا فالدين كالخيمة وأوتادها آل محمد، وكما تنهار الخيمة إذا زالت الأوتاد، فإن نحيّنا آل محمد عن الإسلام وقرأناه دونهم، إنهارت فروعه وأصوله.

وواصل عليه السلام كلامه ببيان الصفات الثلاث الأخيرة فقال: «بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ ۷۹۲]، وَانْزَاحَ ۷۹۳] الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ».

تشير هذه العبارة إلى الانحرافات التى حدثت بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله لاسيما على عهد الخليفة الثالث، فقد أصبح بيت مال المسلمين لعبة بيد فئة من المتكالبين على الدنيا ومن بنى‌أُميّة- ومنهم عدو الإسلام الأوّل، أى‌أبو سفيان- تسلّموا المناصب الحساسة فى الحكومة الإسلاميّة ففعلوا كلّ ما استطاعوا فعله وكانت نتيجة ذلك الثورة على الخليفة والتى أطاحت به وببطانته ۷۹۴] بمرأى ومسمع المهاجرين والأنصار دون أن يدافعوا عنه.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۳۶

ولكن حين تسلّم الإمام على عليه السلام زمام الأمور عاد الحق إلى نصابه ونحى أتباع الباطل ولم يجرؤ أحد على الدفاع عن الوضع السابق ويصادر حقوق الطبقات المستضعفة والمحرومة ويغدقها على طلّاب الدنيا وذوى الأطماع. ولا يقتصر هذا الأمر على أميرالمؤمنين عليه السلام بل لو تسلّم أئمّة أهل البيت عليهم السلام مقاليد الأمور لاتّبعوا ذلك النهج بفضل عصمتهم التى يستدل عليها بعدّة أدلة ومنها حديث الثقلين.

ثم اختتم الكلام بذكر صفتهم الأخيرة فقال عليه السلام: «عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ[۷۹۵] وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ ۷۹۶] قَلِيلٌ».

قطعاً العلم بالدين له مراتب كالعلم بأىّ أمر آخر، المرحلة الأولى سماع ونقل الألفاظ والمرحلة الثانية فهم المعنى وإدراك المضمون والمرحلة الثالثة الإيمان واليقين العميق الذى ينفذ فى جميع كيان الإنسان ويسوقه للعمل، وأهل البيت عليهم السلام فى ذروة المرحلة الثالثة ومن هنا أوصى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأكّد على الامّة بالتمسك بالقرآن وأهل البيت من بعده ليأمنوا الضلال والغى.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۳۷

الخطبة ۲۴۰

اشارة

قالَهُ لِعَبْدِ اللَّه بْنِ الْعَبّاسِ؛ وَقَدْ جاءَهُ بِرِسالَة مِنْ عُثْمان، وَهُوَ مَحصُورٌ يَسْأَلُهُ فيهَا الْخُرُوجَ إلى مالِهِ بِيَنْبُع، لِيُقَلَّ هَتْفَ ٧٩٧] النّاسِ بِاسْمِهِ خِلافَةً، بَعْدَ أنْ كانَ سَأَلَهُ مِثْلَ ذلِك مِنْ قَبْلُ، فَقالَ عليه السلام ٧٩٨]

نظرة إلى الخطبة

مضمون هذه الخطبة واضح. فلما حاصر المسلمون عثمان فى بيته سنة ٣٥ ه وطالبوا بعزله من الخلافة، هتفت الجماعة أنّ الخلافة حق على بن أبى طالب، فرأى عثمان ابعاد على عليه السلام عن المدينة لمصادرة ذلك الهتاف، لذلك اقترحه على الإمام عليه السلام هذا فى الوقت الذى اقترحه سابقاً على الإمام عليه السلام ففعل.

ثم كتب للإمام عليه السلام بالعودة والدفاع عنه. فلما عاد اقترح عليه التوجه إلى ينبع

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴٣٨

فقال عليه السلام هذا الكلام: ما يريد عثمان إلّاأن يجعلنى جملًا ناضحاً فأقدم إن كانت مصلحته فى ذلك أو أخرج.

***

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴٣٩

يَا ابْنَ عَبّاس، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إلَّا أنْ يَجْعَلَنِى جَمَلًا نَاضِحاً بِالْغَرْبِ: أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ! بَعَثَ إلَىَّ أنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إلَىَّ أنْ أَقْدُمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إلَىَّ أنْ أَخْرُجَ! وَاللَّه لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أنْ أَكُونَ آثِماً.

الشرح والتفسير: خطأ آخر من أخطاء عثمان

قضية قيام المسلمين على عثمان، إحدى القصص المأساوية المؤسفة فى صدر الإسلام. فكانت تلك الحركة طبيعية جدّاً خلافاً لما يظنه المتعصبون، فعثمان سلّم جماعة من بنى‌أمية وقرابته الذين لم يكونوا من الصالحين، مناصب حساسة فى الدولة الإسلاميّة، ومن جانب آخر تصرّف فى بيت المال كما يتصرف فى أمواله الشخصية، فيهب بطانته ما يشاء، فى حين كان أغلب المسلمين يعيشون الحرمان.

وقد عمّت أصداء هذين الفعلين المشينين كلّ مكان وأدّيا إلى تلك الانتفاضة العارمة على عثمان، وإن كان علم تلك الانتفاضة طائفة من المصريين وأهل الكوفة؛ إلّا أنّ أهل المدينة تضامنوا معهم وصمت المهاجرون والأنصار ولم يهبّ للدفاع عنه سوى على عليه السلام، فالإمام عليه السلام وإن كان من أشد الناقمين على أفعال عثمان، لكنه لا يرى فى قتله مصلحة للُامّة الإسلاميّة.

على كلّ حال، كتب عثمان عدّة كتب متناقضة للإمام عليه السلام طلب منه أوّلًا الخروج من المدينة إلى ينبع، ثم طلب منه العودة، ثم كتب له أخيراً بالخروج من المدينة، وسبب ذلك التناقض أنّه ظنّ بادى الأمر بأنّ بقاء الإمام عليه السلام فى المدينة مدعاة

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۴٠

لتشجيع المسلمين على عزله ومبايعة الإمام عليه السلام للخلافة.

ثم خرج الإمام من المدينة، شعر عثمان أنّه لا يسع أحد الدفاع عنه سوى على عليه السلام وينقذه من أيدى الناقمين ولذلك طلب منه الرجوع إلى المدينة، وحين بلغه أنّ المسلمين هتفوا بالبيعة للإمام عليه السلام استولى عليه الخوف، فطلب من الإمام عليه السلام

الخروج مرّة أخرى من المدينة، ولما كان حامل الكتاب هذه المرّة ابن عباس، خاطبه الإمام عليه السلام قائل: «يَا ابْنَ عَبَّاس، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِى جَمَلًا نَاضِحاً[۷۹۹] بِالْغَرْبِ ۸۰۰]: أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ!».

ثم أضاف عليه السلام قائلًا: «بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ، ثُمَّ هُوَ الْاٰنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ!».

وتشير هذه القضية إلى أنّ ضغوط المسلمين كانت على درجة من الشدّة بحيث ارتبك عثمان وكان كلّ لحظة يتخذ قراراً وقد غفل فوات الأوان وقد انتهى عهد حكمه ولن يقبل المسلمون له عذراً فرأى نفسه مضطراً هنا للتعامل مع على الذى لا تخفى مكانته عند اللّه ورسوله والمسلمين.

الطريف أنّ عثمان لم يصدر مثل هذه الأوامر المتناقضة مع أحد آخر، فلم يكن للآخرين مثل ذلك الدور فى الوسط الإسلامى فكان حضورهم وغيابهم سيان فى التأثير.

ثم أشار عليه السلام فى الختام إلى قضية مهمّة فى أنّه بذل أقصى جهده فى الدفاع عن عثمان؛ الأمر الذى لم يفعله غيره ولا يسعه فعله فقال: «وَاللَّه لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً».

لعل هذه العبارة إشارة إلى أنّ الدفاع أكثر من الحد عمن إرتكب تلك الأفعال نوع من دعم الظلم وهو عمل غير جائز، هذا أفضل تعبير يمكن ذكره للعبارة السابقة

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۴۱

وإن ذكر ابن أبى الحديد وابن ميثم فى شرحهما احتمالين آخرين؛ الأوّل قوله عليه السلام:

(لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً)، لأنّ الوقوف بوجه أولئك الذين قاموا عليه ربّما يدعوهم للهجوم علىَّ فينالون منّى وهذا ذنب، الآخر: أخشى أن يؤدى دفاعى إلى بثّ الفرقة والخلاف فيصاب البعض بالأذى وهذا ذنب أيضاً، ولكن من الواضح أن أيّاً من هذين الاحتمالين لا يناسب العبارة.

ورد فى «العقد الفريد» أنّ ابن عباس قال: أرسل إلىَّ عثمان فقال لى: اكفنى ابن عمّك، فقلت: إنّ ابن عمّى ليس بالرجل يرى له، ولكنّه يرى لنفسه، فأرسلنى إليه بما أحببت، قال: قل له: فليخرج إلى ماله بينبع، فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بى، فأتيته فأخبرته، فقال: ما اتّخذنى عثمان إلّاناضحاً، ثم أنشد:

فَكَيْفَ بِهِ أنّى أداوى جَراحَهُفَيُدْوى فَلا مَلَّ الدَّواءُ وَلَا الدّاءُ

إلى أن قال: فخرج على عليه السلام إلى ينبع، فكتب إليه عثمان حين إشتدّ عليه الأمر، أمّا بعد، فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين، وطمع فىَّ من كان يضعف عن نفسه، فأقبل إلىَّ، وكن لى أم علىَّ صديقاً أم عدوّاً[۸۰۱].

ويؤيد هذا الكلام ما ذكره السيد الرضى أنّ عثمان تناقض فى أوامره حين أربكه قيام المسلمين الكبير عليه.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۴۳

الخطبة ۲۴۱

اشارة

يَحُثُّ بِهِ أَصْحابَهُ عَلَى الْجِهاد[۸۰۲]

نظرة إلى الخطبة

هدف الإمام عليه السلام كما يتضح من الخطبة حثّ أصحابه على الجهاد، لكنه أورد أموراً دقيقة بعبارات موجزة تعكس عمق تدبيره للقضايا المتعلقة بالحكومة والجهاد.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۴۵

وَاللَّه مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارِ مَحْدُودٍ، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ، فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ، وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ، وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ. مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!

الشرح والتفسير: شمّروا واستعدوا للجهاد

صرّح صاحب «تمام نهج البلاغة» الذى ألف لجمع وإكمال الخطب التى جمعها المرحوم الرضى فى «نهج البلاغة» أنّ الإمام عليه السلام خطبها يوم صفّين ٨٠٣] ومضمون الخطبة يناسب هذا المعنى.

على كلّ حال فقد وعظ الإمام عليه السلام مخاطبيه بثلاث عبارات قصيرة لسماع رسالة الجهاد فقال: «وَاللَّه مُسْتَأْدِيكُمْ ٨٠۴] شُكْرَهُ وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ ٨٠۵] فِي مِضْمَار[٨٠۶] مَحْدُود، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ ٨٠٧]».

ورغم أنّ الشكر ذكر بصورة مطلقة فى هذه العبارة ومنسجمة مع إطلاقاته فى القرآن الكريم مثل: «وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ»[٨٠٨] ولكن يبدو هدف الإمام عليه السلام بيان

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۴۶

الشكر الحكومى الذى أودعه اللَّه الصالحين فى عصره عليه السلام ويؤكد ذلك العبارة الثانية «وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ».

فالأمر هنا بمعنى أمر الحكومة. ويتضح من هنا كيفية مناسبة الشكر للحث على الجهاد، لأنّ الجهاد الخالص والباسل تحفظه حكومة الصالحين وحفظ النعمة والانتفاع بها مساوٍ لشكرها.

العبارة «وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ ...» إشارة لما ورد فى سائر خطب نهج البلاغة أنّه عليه السلام قال: «أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ»[٨٠٩].

ثم اتجه الإمام عليه السلام صوب ذى المقدمة والنتيجة فقال: «فَشُدُّوا عُقَدَ[٨١٠] الْمَآزِرِ[٨١١]، وَاطْوُوا[٨١٢] فُضُولَ الْخَوَاصِرِ[٨١٣]».

فالعبارتان «فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ، وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ» كناية عن الاستعداد التام للقيام بالعمل، لأنّ الشخص الذى يحكم محزمه يقوى عموده الفقرى على الإتيان بالأعمال الشاقة، كما تسهل عليه الحركة والانتقال إن جمع ثوبه ووضعه تحت حزامه والذى كان عريضاً آنذاك، حتى اليوم الذى غاب فيه الثوب الطويل عن الرجال ما زال القول المتداول أنّ فلاناً شمّر عن ثياب الهمّة ليفعل كذا.

كما لم يستبعد بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ المراد من العبارة «وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ» ترك النهم فى الطعام وترهل البدن، إلّاأنّ التفسير الأوّل أنسب.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۴۷

ثم حذّر الإمام عليه السلام مخاطبيه بثلاث عبارات عميقة المعنى وفصيحة وبليغة وأوضح لهم سبيل الانتصار فقال عليه السلام بادئ الأمر: «وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ[٨١۴]».

وقال عليه السلام: «مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ».

وقال عليه السلام: «وَأَمْحَى الظُّلَمَ ٨١۵] لِتَذَاكِيرِ[٨١۶] الْهِمَمِ!».

حيث أشار عليه السلام فى هذه العبارة الموجزة والعظيمة المضمون إلى بضعة أمور مهمّة للموفقية فى الحياة والإدارة منها:

١. التحلى بالاستعداد على الدوام ومهما كانت الظروف أو حسب تعبير الإمام شدّوا المآزر ....

٢. مقاطعة الترف والدعة التى لا تؤدى سوى إلى الضعف والكسل.

٣. مواجهة دواعى النسيان التى تجعل الإنسان ضعيفاً وذليلًا ومسلوب المنهج.

۴. الارتقاء بمستوى الهمة ومكافحة كلّ ما يضعفها ويهبطها.

فإن راعى مدراء المجتمعات الإسلاميّة هذه الوصايا الأربع سيتغلبون قطعاً على جميع المشاكل.

تأمّل: آفات النهم والترف

ما ورد فى الخطبة بهذا الشأن ممّا ذكر مسهب فى الروايات. عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «لا تُميتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعامِ وَالشَّرابِ فَإِنَّ الْقُلُوبَ تَمُوتُ كَالزُّرُوعِ إذا كَثُرَ عَلَيْهَا الْماءُ»[٨١٧].

كما قال صلى الله عليه و آله: «الْقَلْبُ يَمُجُّ الْحِكْمَةَ عِنْدَ امْتِلاءِ الْبَطْنِ»[٨١٨].

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۴٨

وقال عليه السلام: «مَنْ قَلَّ أَكْلُهُ صَفا فِكْرُهُ»[٨١٩].

وأخيراً قال فى الحديث الرابع: «إيّاكُمْ وَفُضُولَ الْمَطْعَمِ فَإِنَّهُ يَسِمُ الْقَلْبَ بِالْقَسْوَةِ وَيُبْطِىءُ بِالْجَوارِحِ لِلطّاعَةِ وَيُصِمُّ الْهِمَمَ عَنْ سَماعِ الْمَوْعِظَةِ»[٨٢٠].

وجاء فى رسالة أمير المؤمنين على عليه السلام إلى عثمان بن حنيف حين قيل له: كيف تقوى على الأعداء وهذا طعامك؟ فقال: «أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً وَالرَّوَاتِعُ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً وَالنَّبَاتَاتِ الْغِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً»[٨٢١].

وتعبير الإمام بالوليمة لا تقتصر على الطعام والشراب وهى كناية عن مطلق اللذة والمتعة، أنشد المتنبى بهذا الخصوص:

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعالىوَمَنْ طَلَبَ الْعُلى سَهَرَ اللّيالى

تَرُومُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنامُ لَيْلًايَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّئالى

وسيرة مختلف الأقوام تؤيد ما ورد فى هذه الروايات والخطبة المذكورة، فالأقوام المثابرة والمجتهدة بلغت ذروة الاقتدار فى العالم؛ أمّا تلك الكسلة والمتقاعسة كانت متخلفة وفاشلة.

***

وأخيراً حيث اختتمت الخطب بهذه الخطبة فقد قال الرضى: وَصَلَّى اللَّه عَلى سَيِّدنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْامِّيِّ وَعَلى آلِهِ مَصابيحِ الدُّجى وَالْعُروةِ الْوُثْقى وَسَلَّمَ تَسليماً كَثيراً.

ونحمد اللَّه الذى وفقنا بعد أربع عشرة سنة من عمل دؤوب باختتام شرح خطب نهج البلاغة التى تعتبر أهم أجزاء نهج البلاغة بما يقارب ثلثيه.

نفحات الولاية، ج٨، ص: ۴۴٩

خصائص هذا الشرح

١. شرح وتفسير جميع فصول وفقرات كلّ خطبة خلافاً لما ورد فى أغلب الشروح التى تقتصر على الأقسام المطلوبة.

٢. إرتباط عبارات وأقسام الخطبة وصلتها الوثيقة والمنطقية مع بعضها والتى اغمض عنها فى أغلب الشروح، ففسّروا كلّ قسم بصورة مستقلة دون الالتفات لارتباطها بما قبلها وبعدها.

٣. التركيز على الروح الحاكمة لجميع الخطبة وجميع الأبحاث فى إطارها وغض النظر عن المطالب الهامشية غير المرتبطة بالخطبة وإن كان يثير الوساوس.

۴. إرساء التأسيس للأصل فى تفسير العبارات؛ أى، استفادة مفهوم مستقل لكل عبارة خلافاً لما يشاهد فى بعض الشروح، حيث

يعتبرون العبارات المتشابهة تأكيداً وينحّون اختلافاتها.

۵. إضافة مواضيع تكميلية مرتبطة بالخطبة بصورة منفصلة تحت عنوان (تأمّلات) بما فيها المسائل التاريخيّة والأخلاقيّة والاجتماعية والعقائدية و ....

۶. ذكر اسناد الخطبة بالاستفادة من المصادر التى بحثت اسناد نهج البلاغة.

۷. ذكر جوّ وخلاصة كلّ خطبة فى مستهلّ البحث تحت عنوان (نظرة إلى الخطبة).

۸. ذكر معانى المفردات الصعبة فى الحاشية بالاضافة إلى جذورها ومعانيها الأصلية والفرعية.

نفحات الولاية، ج۸، ص: ۴۵۰

۹. تناول الشرح بصورة مبسطة بما يخدم عامة الناس دون الهبوط بمستوى المواضيع.

۱۰. الالتفات إلى المطالب المهمّة التى وردت فى الشرح من خلال قبولها أو نقدها أو إكمالها.

۱۱. والغاية الأساسيّة من هذا الشرح، هى أن يكون قابلًا للاستفادة للجميع للخاص والعام والعالم والعامى، وكل يستفيد منه بحسب طاقته وقدرته العلميّة وفهم وإدراكه.

---

[۱] (۱). سند الخطبة:

نقل هذه الخطبة كثير من علماء الإسلام الذين عاشوا قبل وبعد السيد الرضى بشكل مرسل أو مسند، ويمكن ذكر أربعة أشخاص من الذين الذين عاشوا قبل السيد الرضى وهم:

أ) نقل أحمد بن محمّد بن خالد البرقى فى كتابه« المحاسن» قسماً من هذه الخطبة.

ب) أوردها النعمانى فى كتابه« الغيبة» بسندين.

ج) ذكرها الطبرى من علماء الإماميّة فى كتاب« المسترشد».

د) أوردها الشيخ المفيد فى كتابه« الإرشاد».

[۲] (۱). سورة الشعراء، الآية ۱۵۷.

[۳] (۲).« شِبَع» على وزن« عِلل» لها معنى مصدرى وتعنى الشبع بصورة تامة.

[۴] (۱).« السخط» ضدّ الرضا بمعنى الغضب.

[۵] (۲). زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام.

[۶] (۱). وسائل الشيعة، ج ۱۱، ص ۴۱۰، ح ۴.

[۷] (۲).« عقر» من« العُقر» على وزن« قفل» تعنى فى الأصل أساس الشىء وإن استعملت فى الحيوان عنت البقر قطع أسفل الرجل وصرعه، كما تعنى نحر الناقة.

[۸] (۳). سورة الشعراء، الآية ۱۵۷.

[۹] (۱).« خارت» من« الخوار» على وزن« غبار» صوتت كخوار الثور والناقة وماشابه ذلك وخوّاره صيغة مبالغتها.

[۱۰] (۲).« السِّكَّة» الحديدة والمحراث.

[۱۱] (۳).« محماة» اسم مفعول من مادة« احماء» وضع الشىء على النار وتطلق« محماة» على الشىء الذى يحمى بالنار.

[۱۲] (۴).« تيه» الوادى الجاف كما وردت بمعنى الحَيْرَة.

[۱۳] (۱). سند الخطبة:

قال ابن أبى‌الحديد فى« شرح نهج‌البلاغة» أنّ تعبير السيّد الرضى عن فاطمة الزهراء عليها السلام ب« سيّدة نساء العالمين» اقتباس من خبر متواتر روى عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بهذه العبارة أو عبارة أخرى تفيد نفس المعنى.

وقال صاحب« مصادر نهج البلاغة» بعد نقله لهذا الكلام: إنّ هذا الحديث(حديث سيّدة نساء العالمين) متواتر عند علماء الإماميّة؛ بل يعد جزءا من عقائدهم. ثم روى عدّة روايات عن العامّة بهذا الخصوص.

أمّا من روى هذه الخطبة من العلماء الذين عاشوا قبل السيّد الرضى، فهم كلّ من المرحوم الكلينى فى الجزء الأوّل من كتاب« الكافى»(بعبارات أكثر ممّا أوردها السيّد الرضى) والشيخ المفيد فى كتاب« المجالس» وروتها طائفة أخرى ممن عاش بعد السيّد الرضى مع اختلافات تفيد أنّهم استقوها من مصادر أخرى غير« نهج‌البلاغة»؛ مثل الطبرى فى« دلائل الإمامة» والشيخ الطوسى فى« الأمالى» وسبط ابن الجوزى فى« تذكرة الخواص» الذين ذكروا دفن الزهراء والأشعار التى أنشدها على عليه السلام فى وداعها. ثم نقل الكلام المذكور مع بعض الاضافات.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۹۳- ۹۸).

[۱۴] (۲). الجدير بالذكر أنّ الضمير فى« عند قبره» ورد بصيغة المذكر حيث يعود إلى النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ويقول: إنّه قال هذا الكلام حين دفن فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا يعنى أنّ السيّد الرضى يرى أنّ قبر الزهراء عليها السلام عند قبر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

[۱۵] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۵۶.

[۱۶] (۱). الكافى، ج ۱، ص ۴۶۱، باب مولد الزهراء عليها السلام، ح ۹.

[۱۷] (۲).« صفيّة» من مادة« صفو» على وزن« عفو» بمعنى الصافى والطاهر وصفىّ بمعنى المصطفى. وقد ذكرالإمام عليه السلام بنت النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بصفتها صفية ليعكس علو شأنها وجلالة قدرها.

[۱۸] (۳).« تجلّد» من مادة« جلد»، على وزن« بلد» و« جلادة» التى تعنى الصبر والاستقامة و« تجلّد» هنا إشارة إلى التحمل والصبر على المصيبة.

[۱۹] (۴).« تأسّى» تأتى أحياناً بمعنى الاقتداء وأحياناً أخرى بمعنى الاغتمام والمعنى الثانى هنا أنسب، لأنّ الكلام عن الهم والغم والحزن وليس الاقتداء، وإن ذهب بعض الشرّاح إلى المعنى الأوّل ويبدو أنّ سبب خطأهم ما تعارف عليه فى الاستعمالات المتداولة.

[۲۰] (۱).« فادح» من مادة« فدح»، على وزن« فتح» بمعنى المثقل وتعنى هنا المصيبة الجلل.

[۲۱] (۲).« تعزّ» أو« تعزّى» بمعنى الصبر على المصيبة ومادته« عزاء».

[۲۲] (۳). بحارالأنوار، ج ۴۳، ص ۱۷۳، ح ۱۴. كما ورد هذا الحديث فى مصادر العامّة؛ مثل كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ۲، ص ۶۲۳، ح ۱۰۶۷.

[۲۳] (۴).« وَسّد» من« وسادة»؛ والتى تعنى هنا وضع الوسادة تحت الرأس.

[۲۴] (۵).« ملحودة» من مادة« لحد» على وزن« عهد» بمعنى الشق الذى يجعل فى جهة من القبر ويوضع داخله الميت حتى لايصله التراب حين يمتلىء به القبر.

[۲۵] (۱). سير أعلام النبلاء، ج ۲، ص ۱۴۱؛ مجمع الزوائد، ج ۹، ص ۲۴۱.

[۲۶] (۲).« سرمد» دائم وطويل ويطلق السرمدى أحياناً على الشىء الذى له بداية وليس له نهاية.

[۲۷] (۳).« مُسَهَّد» من مادة« سهد» على وزن« صمد» بمعنى السهر وعدم النوم. جدير ذكره أنّ« مسهّد» وردت صفة للخبر« ليل» وقد قال الإمام عليه السلام أمّا ليلى فمسهد بدلًا من أن يقول أنّا على هذه الحالة، وهذا فى الواقع يشعر بالتأكيد.

[۲۸] (۴). بحار الأنوار، ج ۲۲، ص ۴۸۴، ح ۳۱.

[۲۹] (۱). بحارالأنوار، ج ۴۳، ص ۲۱۳، ح ۴۴.

[۳۰] (۲).« أحفها» من مادة« الإحفاء» بمعنى الإصرار فى السؤال والاستخبار.

[۳۱] (۱).« قال» من مادة« قَلى على وزن« وعى بمعنى المبغض ويطلق« قال» على الشخص المبغض لشىء.

[۳۲] (۲).« سئم» من« السآمة» على وزن« فلاحة» بمعنى الكسل والضجر ويطلق« سئم» على من يتصف بهذه الحالة.

[۳۳] (۳). الكافى، ج ۱، ص ۴۵۹، باب مولد فاطمة الزهراء عليها السلام.

[۳۴] (۱). فتح البارى فى شرح صحيح البخارى، ج ۷، ص ۸۴ وذكر البخارى هذا الحديث فى قسم دلائل النبوّة، ج ۶، ص ۴۹۱، وأواخر المغازى، ج ۸، ص ۱۱۰.

[۳۵] (۲). سورة التوبة، الآية ۶۱.

[۳۶] (۳). مستدرك الحاكم، ج ۳، ص ۱۵۴؛ مجمع الزوائد، ج ۹، ص ۲۰۳ وذكر الحاكم فى كتاب المستدرك أحاديث جامعة الشرائط التى صرّح بصحتها البخارى ومسلم.

[۳۷] (۴). مستدرك الحاكم، ج ۳، ص ۱۵۶.

[۳۸] (۱). سورة النور، الآية ۳۶.

[۳۹] (۲). الدر المنثور، ج ۶، ص ۲۰۳؛ تفسير سورة النور، روح المعانى، ج ۱۸، ص ۱۷۴.

[۴۰] (۳). الدر المنثور، ج ۶، ص ۶۰۶.

[۴۱] (۴). سورة الأحزاب، الآية ۳۳.

[۴۲] (۱). المصنف لأبن أبى شيبة، ج ۸، ص ۵۷۲، كتاب المغازى.

[۴۳] (۱). أنساب الأشراف، ج ۱، ص ۵۸۶، طبع دار المعارف، القاهرة.

[۴۴] (۲). الأعلام للزركلى، ج ۴، ص ۱۳۷.

[۴۵] (۳). الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ص ۱۲، مطبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

[۴۶] (۴). المصدر السابق، ص ۱۳.

[۴۷] (۱). معجم المطبوعات العربية، ج ۱، ص ۲۱۲.

[۴۸] (۲). تاريخ الطبرى، ج ۲، ص ۴۴۳، طبعة بيروت.

[۴۹] (۱). العقد الفريد، ج ۴، ص ۹۳، طبع مكتبة الهلال.

[۵۰] (۱). الأموال، الحاشية ۴، نشر الكليات الأزهرية، كذلك ص ۱۴۴، طبعة بيروت، كما روى ذلك ابن عبد ربّه فى العقد الفريد، ج ۴، ص ۹۳ كما سيرد علينا.

[۵۱] (۲). ميزان الاعتدال، ج ۲، ص ۱۹۵.

[۵۲] (۳). المعجم الكبير للطبرانى، ج ۱، ص ۶۲، ح ۳۴، تحقيق حمدى عبدالمجيد السلفى.

[۵۳] (۱). العقد الفريد، ج ۴، ص ۹۳، طبع مكتبة الهلال.

[۵۴] (۲). الوافى بالوفيات، ج ۶، ص ۱۷، رقم ۲۴۴۴؛ الملل والنحل للشهرستانى، ج ۱، ص ۵۷، طبع دارالمعرفة، بيروت وللوقوف على ترجمة النظّام راجع كتاب« بحوث فى الملل والنحل»، ج ۳، ص ۲۴۸- ۲۵۵.

[۵۵] (۳). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۲، ص ۴۶ و ۴۷، طبعة مصر.

[۵۶] (۱). مروج الذهب، ج ۲، ص ۳۰۱، مطبعة دار الأندلس، بيروت.

[۵۷] (۲). ميزان الاعتدال، ج ۱، ص ۱۳۹، العدد ۵۵۲.

[۵۸] (۳). عبدالفتاح عبدالمقصود، على بن أبى طالب، ج ۴، ص ۲۷۶ و ۲۷۷.

[۵۹] (۱). الإمامة والخلافة، ص ۱۶۰ و ۱۶۱، تأليف مقاتل بن عطية مع مقدمة الدكتور حامد داود، استاذ جامعة عين شمس، الذى طبع بالقاهرة(مطبعة بيروت، مؤسّسة البلاغ).

[۶۰] (۱). بحارالأنوار، ج ۹۷، ص ۱۹۸، ح ۱۸.

[۶۱] (۲). من لايحضره الفقيه، ج ۲، ص ۵۷۲.

[۶۲] (۳). عيون أخبارالرضا عليه السلام، ج ۲، ص ۲۷۸، ح ۷۶.

[۶۳] (۱). دلائل الإمامة، ص ۱۳۴، ح ۴۳؛ بحارالأنوار، ج ۴۳، ص ۱۷۰، ح ۱۱. كتب المرحوم العلّامة المجلسى فى الشرح فى الصفحة ۲۱۵ بعد الحديث ۴۷:« فى الْخَبَرِ الصَّحيحِ أَنَّها عاشَتْ بَعْدَ أَبيها خَمْسَةَ وَسَبْعينَ يَوْماً».

[۶۴] (۲). بحار الأنوار، ج ۴۳، ص ۱۷۰، ح ۱۱.

[۶۵] (۳). زاد المعاد، ص ۴۵۶.

[۶۶] (۴). كشف الغمّة، ج ۲، ص ۷۷؛ بحارالأنوار، ج ۴۳، ص ۷، ح ۸.

[۶۷] (۱). سند الخطبة:

ذكر بعض العلماء قبل وبعد السيّد الرضى، هذه الخطبة فى كتبهم؛ فقد رواها قبل السيّد الرضى، المرحوم الصدوق، فى« الأمالى» و« عيون أخبار الرضا عليه السلام»، والمرحوم الشيخ المفيد فى كتاب« الإرشاد»(الأمالى للصدوق، ص ۱۷۲، ح ۱۷۴؛ عيون أخبارالرضا عليه السلام، ج ۲، ص ۲۶۷، ح ۵۶؛ الإرشاد، ج ۱، ص ۲۹۶) ورواها من بعد السيّد الرضى(بدون الاستناد لنهج البلاغة) المرحوم الطبرسى فى« مشكاة الأنوار» وورّام بن أبى فراس فى« مجموعة ورّام»(مشكاةالأنوار، ص ۴۶۷؛ مجموعة ورام، ج ۲، ص ۱۶۵).(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۹۸).

[۶۸] (۱).« مَجاز» من مادة« جواز» بمعنى العبور وأريد بها هنا الممر والعبور(وإن كان لها معنى مصدرى). ومن هنا يطلق المجاز فى الكلام كون المتكلم يتجاوز المعنى الحقيقى ويظفر بمعنى آخر يناسبه.

[۶۹] (۲). بحار الأنوار، ج ۱۴، ص ۳۱۹، ح ۲۱.

[۷۰] (۳). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۱۳۱.

[۷۱] (۱). روى هذا الحديث فى عوالى اللئالى، ج ۱، ص ۲۶۷، ح ۶۶ عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

[۷۲] (۲). الكافى، ج ۲، ص ۲۷۹، ح ۹.

[۷۳] (۱). سورة العنكبوت، الآيتان ۲ و ۳.

[۷۴] (۱). ظاهر هذه الجملة بصيغة مبتدأ وخبر، أى أنّ آباءَكم لله ويلزم من ذلك رحمة اللَّه عليهما.

[۷۵] (۲). سورة النحل، الآية ۹۶.

[۷۶] (۳). سورة البقرة، الآية ۲۴۵.

[۷۷] (۴). الكافى، ج ۵، ص ۶۷، ح ۱.

[۷۸] (۵). سورة البقرة، الآية ۱۶۷.

[۷۹] (۶). الكافى، ج ۴، ص ۴۲.

[۸۰] (۱). سند الخطبة:

ذكر هذه الخطبة عدد من الضالعين فى العلوم الإسلاميّة ممن عاش قبل السيد الرضى وبعده، ومنهم المرحوم الصدوق فى كتابه«

الأمـالى»، المجلس الخامس والسبعين(أمالى الصـدوق، ص ۵۸۸، ح ۸۱۰). كما رواها الشـيخ المفيـد فى« المجالس» مرفوعـة للإمام الباقر عليه السـلام(أمالى المفيد، ص ۱۹۹، ح ۳۲) وببعض الإضافـات فى كتاب« الإرشاد»(الإرشاد، ج ۱، ص ۲۳۴)، ورواها المرحوم الطبرسـى فى« المشكاة»(مشكاة الأنوار، ص ۵۲۴) وبالنظر لبعض الاختلافات مع ما نقله الرضـى يتضـح أنّها اقتبست من طرق أخرى.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۹۹).

[۸۱] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۳۸۲، ح ۷.

[۸۲] (۲). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۱۳۲.

[۸۳] (۳).« حضـرت» بمعنى« الحضور» وهى هنـا إشـارة إلى الفرص التى تنتظر الإنسـان. واسـتعمال هـذه المفردة بشأنالعظام كونه لا يريد خطابهم، بل يلتفت إلى حضورهم.

[۸۴] (۴).« كؤود» من مادة« كأد» بمعنى الشدّة والصعوبة وعقبة« كؤود» صعبة العبور.

[۸۵] (۵).« مهولة» من مادة« هول» بمعنى الخوف و« مهول» اسم مفعول؛ يعنى مخيف.

[۸۶] (۱). بحار الأنوار، ج ۷، ص ۱۲۶، ح ۳.

[۸۷] (۲). المصدر السابق، ص ۱۱۱، ح ۴۲.

[۸۸] (۳). سورة البلد، الآيات ۱۱- ۱۶.

[۸۹] (۴). سورة طه، الآيات ۱۰۵- ۱۰۷.

[۹۰] (۵). للوقوف على كلام المرحوم الشيخ المفيد والعلّامة المجلسى راجع كتاب بحار الأنوار، ج ۷، ص ۱۲۹.

[۹۱] (۱). سورة الحج، الآيتان ۱ و ۲.

[۹۲] (۲).« ملاحظ» جمع« ملحظ» مصدر ميمى، بمعنى النظر أو النظر بطرف العين.

[۹۳] (۳).« ميّة» من مادة« منى» على وزن« سعى» بمعنى التقدير وتطلق هذه المفردة على الموت كونه مقدراً على مصير الإنسان.

[۹۴] (۴).« دانية» بمعنى قريبة من مادة« دنوّ» على وزن« علوّ».

[۹۵] (۵).« مخالب» جمع« مخلب» أظافر الحيوانات أو الطيور.

[۹۶] (۶).« نشبت» من مادة« نشب» على وزن« غصب» بمعنى الانغماس.

[۹۷] (۷).« دهمت» من مادة« دهم» بمعنى باغتت.

[۹۸] (۸).« مفظعات» جمع« مفظعة» بمعنى الحادثة الشديدة أكثر من اللازم.

[۹۹] (۹).« معضلات» جمع« معضلة»؛ يعنى الشىء الذى يجعل الإنسان فى غاية الضيق كما يقال المعضلة للطريق الضيق.

[۱۰۰] (۱۰).« استظهروا» من« الاستظهار» بمعنى الاستعانة بالشخص أو الشىء، ومادته الأصلية« ظهر».

[۱۰۱] (۱). سند الخطبة:

المصـدر الوحيـد الـذى ذكر هـذه الخطبـة قبل السيّد الرضـى كما ورد فى« مصادر نهـج البلاغـة»، كتاب« نقض العثمانيـة» لأبى جعفر الاسكافى(م ۲۴۰) ويفهم من كلامه أنّه لم يشاهـد بنفسه هذا الكتاب؛ بل اسـتفاده من كلام ابن أبى الحديد فى« شـرح نهج البلاغة»، ج ۷، ص ۳۶- ۴۱.(مصادر نهـج البلاغة، ج ۳، ص ۱۰۲) كما رواها المرحوم العلّامـة المجلسـى فى بحار الأنوار، ج ۳۲، ص ۲۱ عن« شرح نهج البلاغة» لابن أبى الحديد.

[۱۰۲] (۱).« نقمتما» من مادة« نقم» على وزن« قلم» تعنى فى الأصل الإنكار على الشخص أو الشىء؛ سواء باللسان أوبالعمل عن طريق العقاب ومنه الانتقام ووردت هنا بمعنى الإنكار اللفظى.

[۱۰۳] (۲).« أرجأتما» من« الإرجاء» بمعنى التأخير ومادتها الأصـلية« رجاء» بمعنى الأمل وقد استعملت بهذا المعنى كون الإنسان يؤخر

العمل فى أغلب المواقع بغية تحقيق الهدف.

[۱۰۴] (۳).« استأثرت» من« الاستئثار» يعنى خص النفس بالشىء الحسن. وفسّرت أحياناً بالاستبداد والاحتكار ومادتهاالأصليةُ« اثر» بمعنى العلامة.

[۱۰۵] (۱).« إربة» من مادة« أرب» على وزن« عرب» تعنى فى الأصل شدّة الحاجة التى يجهد الإنسان من أجل قضائها.

[۱۰۶] (۱). راجع كتاب« العين» و« لسان العرب» و« مجمع البحرين» ماده« أسوة». قال المرحوم الطبرسى فى« مجمع‌البيان» فى ذيل الآية ۲۱ من سورة الأحزاب:« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»:« أى قدوة صالحة يقال: لى فى فلان أُسوة. أى لى به إقتداء ... اسم وضع موضع المصدر» وطبق هذا البيان« اسوة» بمعنى الإقتداء وله وضع الاسم المصدرى، ويشهد على ذلك تعبير القرآن:« فِي رَسُولِ اللَّه أُسْوَةٌ» ولم يقل:« رسول اللَّه اسوة»، وكأن الاقتداء بشخص يوجد نوعاً من المساواة به فقد وردت اسوة بمعنى المساواة وهذا المراد بها فى هذه العبارة.

ومن هنا قال الإمام إنّما اقتديت برسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعملت بسيرته.

[۱۰۷] (۱).« عتبى» من مادة« عتب» على وزن« خطب» تعنى فى الأصل الانزعاج الباطنى وإذا وردت فى باب الأفعال عنت إزالة هذا الإنزعاج وبما أنّ عتاب الطرف المقابل أحد أسباب إطفاء غضبه، فإنّ العتبى ترد بمعنى العتاب وهذا هو المعنى المراد بها فى العبارة. والإمام عليه السلام يقول لطلحة والزبير ليس لكما حق عتابى والإنكار على.

[۱۰۸] (۲). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۳۷۶.

[۱۰۹] (۱).« الأراضى الخراجية» الأراضى التى تقع بيد المسلمين فى الفتوحات الإسلاميّة وتوضع تحت تصرف‌المزارعين ويؤخذ منهم بالمقابل ضرائب تدعى« الخراج» والذى يبدو كثيراً بالنظر لسعة تلك الأراضى.

[۱۱۰] (۱). سورة الزخرف، الآية ۴۳.

[۱۱۱] (۱). سورة الحجرات، الآية ۱۳.

[۱۱۲] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۷، ص ۳۸- ۴۳.

[۱۱۳] (۲). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۱۶۱.

[۱۱۴] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۱، ص ۱۱- ۱۳.

[۱۱۵] (۱). سند الخطبة:

رواه عدد من المحدّثين والمؤرخين قبل السيّد الرضى وبعده؛ مثل أبوحنيفة الدينورى فى كتاب« الاخبارالطوال»(ص ۱۶۵) ونصر بن مزاحم فى كتاب« صفّين»(ص ۱۰۳) وسبط بن الجوزى فى« تذكرة الخواصّ»(ص ۱۴۲) وغيرهم.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۰۳).

[۱۱۶] (۱).« احقن» من« الحقن» على وزن« الحمد» تعنى فى الأصل حفظ الشىء وإذا استعملت بشأن الدماء عنت منع‌إراقة الدماء.

[۱۱۷] (۲).« يرعوى» من« رعو» على وزن« رعد» بمعنى الامتناع والعودة عن الفعل. جدير ذكره أنّ المفردة« رعو» تستعمل أحياناً بصيغة الرباعى(رعوى على وزن دعوى وتفيد نفس المعنى السابق وقال بعض أرباب اللغة المفردة:« ارعوى» من المفردات النادرة ولم يشاهد مثلها فى صيغ الأفعال المعتلة. للمزيد راجع« لسان العرب» مادة« رعو».

[۱۱۸] (۳).« لهج» من مادة« لهج» على وزن« هرج» بمعنى التعلق والولع بالشىء والحرص عليه.

[۱۱۹] (۱). راجع« المصباح المنير» و« لسان العرب». وروى هذا المعنى المرحوم المحقق الخوئى فى شرحه لنهج‌البلاغة.

[۱۲۰] (۲). للوقوف على المزيد راجع الجزء الثالث من هذا الشرح.

[۱۲۱] (۳). الكافى، ج ۲، ص ۳۶۰، باب السباب، ح ۲ و ۳.

[۱۲۲] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۳۶۰، باب السباب، ح ۲ و ۳.

[۱۲۳] (۲). سورة ص، الآية ۷۸.

[۱۲۴] (۳). سورة آل عمران، الآية ۸۷.

[۱۲۵] (۴). سورة هود، الآية ۱۸.

[۱۲۶] (۵). سورة الرعد، الآية ۲۵.

[۱۲۷] (۶). سورة البقرة، الآية ۱۵۹.

[۱۲۸] (۱). سند الخطبة:

نقل الطبرى فى تاريخه فى حوادث سنة ۳۷ للهجرة عبارة عن أميرالمؤمنين على عليه السلام تشبه عبارة بعض هذا الكلام؛ لكن ليس فى يوم صفين بل فى موضع آخر ويتضح من ذلك أنّ الإمام عليه السلام بين هذه العبارات فى عدّة مواضع.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۰۳).

[۱۲۹] (۱).« لا يهدّنى» من مادة« هدّ» على وزن« سدّ» تعنى فى الأصل الإنهدام والإنهيار المقرون بصوت شديد. ثم‌استعمل فى الأمور المعنوية فاطلق على الحزن الذى يعكر روح الإنسان من قبيل ما ورد فى العبارة المذكورة.

[۱۳۰] (۲).« أنفس» من مادة« نفس» على وزن« قفس» بمعنى الشح وحفظ الشىء وعدم فقدان الأشياء النفيسة التى لا يريد الإنسان فقدانها بسهولة.

[۱۳۱] (۱). لسان العرب، مادة« غلم».

[۱۳۲] (۱). سورة آل عمران، الآية ۶۱.

[۱۳۳] (۱). سند الخطبة:

كان ممن رواها قبل المرحوم السيّد الرضى، نصر بن مزاحم فى كتاب« صفين»(وقعة صفين، ص ۴۸۴) وابن قتيبة الدينورى فى« الامامة والسياسة»(ص ۱۰۴) والمسعودى فى« مروج الذهب»(ج ۲، ص ۴۰۰).(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۰۷).

[۱۳۴] (۱).« نهكتكم» من مادة« نهك» على وزن« سفك» تعنى فى الأصل التآكل والقدم وتستعمل فى الموارد التى يتعب فيها الإنسان ويرهق.

[۱۳۵] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۱، ص ۳۰ و ۳۱.

[۱۳۶] (۲). انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۲، ص ۲۱۴.

[۱۳۷] (۱). سند الخطبة:

وردت عدّة مصادر ذكرت هذا الكلام ومنها الجزء الأوّل من أصول الكافى والجزء الأوّل من العقد الفريد والجزء الرابع من ربيع الأبرار واختصاص الشيخ المفيد وتلبيس إبليس لابن الجوزى وقوت القلوب لأبى طالب المكى(ورد جانب من هذه الخطبة فى بعض هذه الكتب). وقد التفت لهذه الخطبة العديد من العلماء وذكروها فى كتبهم لما تضمنته من جوانب تاريخيّة وأخلاقيّة وتربويّة.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۰۸).

[۱۳۸] (۱). قال بعض شرّاح نهج البلاغة، إنّ الجملة« كنت» زائدة هنا، والحال ليس الأمر كذلك، بل مراد الإمام عليه السلام منها بيان الاستمرار، لأنّ مفهوم العبارة ما الذى استفدته من هذه الدار وكانت لك لحد الآن.

[۱۳۹] (۱).« تقرى» من« قراء» على وزن« عباء» خدمة الضيف.

[۱۴۰] (۲).« تطلع» من« الطلوع» بمعنى الظهور والبروز وتعنى الاظهار من باب الإفعال.

[۱۴۱] (۳). سورة البقرة، الآية ۱۸۰.

[۱۴۲] (۴). تفسير القمى، ج ۲، ص ۲۰۳؛ وسائل الشيعة، ج ۹، ص ۴۷۶، ح ۱۲۵۳۳.

[۱۴۳] (۵). الكافى، ج ۶، ص ۵۲۶، ح ۷(باب سعة المنزل).

[۱۴۴] (۱). بحارالأنوار، ج ۷۳، ص ۱۵۳، ح ۳۰.

[۱۴۵] (۱).« استهام» من مادة« هيم» على وزن« غيم» الحيرة والاضطراب والسير نحو العبث و« استهام بك الخبيث» أضلّك الشيطان.

[۱۴۶] (۱). سورة الأعراف، الآية ۳۲.

[۱۴۷] (۲).« جشوبة» الخشونة من مادة« جشب» على وزن« جسب» ويقال للخبز دون غيره« جشب».

[۱۴۸] (۳).« يتبيّغ» من مادة« بيغ» على وزن« بيع» يهيج، ويأتى أحياناً بمعنى الكثرة والمعنى الأوّل هو المراد فى العبارة.

[۱۴۹] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۱، ص ۳۶ و ۳۷.

[۱۵۰] (۲). سورة البقرة، الآية ۱۴۳.

[۱۵۱] (۱). سورة القصص، الآية ۷۷.

[۱۵۲] (۲). وسائل‌الشيعة، ج ۱۷، ص ۷۶، كتاب التجارة، ابواب مقدّماتها، باب ۲۸، ح ۱.

[۱۵۳] (۱). مستدرك الوسائل، ج ۱۲، ص ۳۲۳، ح ۱۴۲۰۵.

[۱۵۴] (۲). سفينة البحار، مادة« صوف».

[۱۵۵] (۱). انظر كتاب:« تجلى الحق» للمؤلّف وكتاب« ما يقول العارف والصوفى» لآية اللّه الميرزا جواد الطهرانى رحمه الله وكتاب« التعليم والتربية فى الإسلام» للشهيد العلّامة مرتضى المطهرى رحمه الله وشرح نهج‌البلاغة للعلّامة الخوئى رحمه الله« منهاج البراعة» ج ۱۳(ذيل هذه الخطبة) من ص ۱۳۲.

[۱۵۶] (۱). سورة الأعراف، الآية ۳۲.

[۱۵۷] (۲). سورة الأعراف، الآية ۱۵۷.

[۱۵۸] (۱). سند الخطبة:

ذكر صاحب« مصادر نهج البلاغة» أنّ هذا الكلام ورد بسند تام أو مرسل فى أغلب المصادر قبل« نهج البلاغة» ومنها كتاب« الكافى» و« تحف العقول» و« الخصال» للصدوق و« الغيبة» للنعمانى(الكافى، ج ۱، ص ۶۲، ح ۱؛ تحف‌العقول، ص ۱۹۳؛ الخصال، ص ۲۵۵، ح ۱۳۱؛ الغيبة للنعمانى، ص ۸۱، ح ۱۰) وسائر الكتب وبعد السيّد الرضى ونهج البلاغة كالتذكرة لسبط ابن الجوزى و« الاحتجاج» للطبرسى و« أربعين الشيخ البهائى»(تذكرة الخواص، ص ۱۳۳؛ الاحتجاج، ج ۱، ص ۲۹۳؛ أربعين البهائى، ص ۲۸۹).(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۱۵).

[۱۵۹] (۱). الكافى، ج ۱، ص ۶۲.

[۱۶۰] (۱).« فليتبوأ» من« بواء» على وزن« دواء» الرجوع والاطراق ويقال للموضع المستوى والمكان، والمعنى فليتهيأويسكن.

[۱۶۱] (۲).« مقعد» المكان والمحل وموضع الجلوس ويطلق أيضاً على الوسادة الصغيرة.

[۱۶۲] (۱). الاحتجاج، ج ۲، ص ۲۴۶.

[۱۶۳] (۲). مستدرك الحاكم، ج ۱، ص ۱۱۱ و ۱۱۳؛ سنن ابن ماجة، ج ۱، ص ۱۴.

[۱۶۴] (۱).« مُتصنّع» من مادة« صنع» على وزن« رُمح» من يحسن ظاهره ويبدى السيى حسناً.

[۱۶۵] (۲).« يتحرّج» من مادة« حرج» الخشية من الوقوع فى الذنب، باب تفعل.

[۱۶۶] (۳).« لقف» من مادة« لقف» على وزن« وقف» أخذ الشىء بسرعة وتناوله.

[۱۶۷] (۱).« زور» تعنى فى الأصل الميل عن الوسط إلى الطرف ولذلك يطلق على الكذب لأنّه انحراف عن الحق.

[۱۶۸] (۲). ذكره والـد المرحوم الشيخ البهائى فى كتاب« أصول الأخيار إلى أصول الأخبار»، ص ۳۰ بعنوان« المثل السائر» والمرحوم الملا صالح المازندرانى فى« شرح أصول الكافى»، ج ۱۲، ص ۵۶۰؛ ولكن قال فى كتاب« كشف الغمّة»، ج ۲، ص ۲۳۰ بعد ذكر هذه الجملة:« كما ورد فى الحديث والمثل».

[۱۶۹] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۱، ص ۴۱.

[۱۷۰] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۵، ص ۱۷۶.

[۱۷۱] (۲). شرح نهج البلاغة للمرحوم التسترى، ج ۷، ص ۲۱۲؛ تاريخ بغداد، ج ۱، ص ۲۷۵. وأضاف الخطيب البغدادى بعد نقله لهذا الحديث: لم أجده إلّابسند واحد وأغلب رجال هذا السند مجهولون.

[۱۷۲] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۱، ص ۴۴- ۴۶.

[۱۷۳] (۲). المصدر السابق، ص ۴۲.

[۱۷۴] (۱). كان ممن انتقد هذه النظرية من علماء العامّة« أحمد حسين يعقوب» فى كتاب نظرية عدالة الصحابة و« الشيخ محمود أبوريّة» فى كتاب شيخ المضيرة، وأبوهريرة.

[۱۷۵] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۱، ص ۴۷.

[۱۷۶] (۲). عيون أخبارالرضا، ج ۲، ص ۱۱۰؛ بحار الأنوار، ج ۴، ص ۱۱.

[۱۷۷] (۱). المراد من النبيذ الحلال أنّ المسلمين لما دخلوا المدينة أصيب البعض لبرودة الماء فأمر النّبى أن يلقى فى الظرف تمر لتزول برودة الماء ولم يكن بالمقدار الذى يحيله خمراً ومن هنا قال فى ذيل الرواية:« وكل مسكر حرام».

[۱۷۸] (۲). وسائل الشيعة، ج ۱۰، باب ۴۱ من أبواب الذبح، ح ۷.

[۱۷۹] (۳). بحار الأنوار، ج ۲، ص ۲۷۲، ح ۷.

[۱۸۰] (۱). انظر المزيد فى النسخ، نفحات الولاية، ج ۱، ص ۲۳۹ و ۲۵۰ ذيل الخطبة الاولى وتفسيرالأمثل، ج ۱، ذيل الآية ۱۰۶ من سورة البقرة، وأسهب من ذلك فى كتاب أنوار الأصول، ج ۱، ص ۱۷۷.

[۱۸۱] (۱).« لم يهم» من مادة« وهم» مطلق الخيال والظن وتعنى أحياناً الظن الباطل والخطأ وهذا هو المعنى المراد.

[۱۸۲] (۲).« جنّب» من باب تفعيل ومادة« جنب تعنى حسب بعض مصادر اللغة، الحفظ والإبعاد بالمعنى اللازموالمتعدى والمعنى الثانى هو المراد.

[۱۸۳] (۱). شرح نهج البلاغة للتسترى، ج ۷، ص ۲۸۰.

[۱۸۴] (۲). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۱۷.

[۱۸۵] (۳).« طارئ» من« طروء» على وزن« غروب» حادث والخروج المفاجئ ومن هنا يقال للشخص الذى يرد حديثاً والزائر بغتة.

[۱۸۶] (۴). كانت هنالك عوامل أخرى تحول دون السؤال كالاشتغال بالعبادات ظنّاً منهم أنّهم مأمورون بها فقط أوالانهماك فى الدنيا التى تغفل الإنسان عن كلّ شىء.

[۱۸۷] (۱). الكافى، ج ۱، ص ۶۴، ح ۱.

[۱۸۸] (۱). سند الخطبة:

رواها الزمخشرى فى« ربيع الأبرار» ورغم اختلافها مع ما ورد فى« نهج البلاغة» فيتضح أنّه استقاها من مصدر آخر. كما ذكرها ابن الأثير فى كتابه اللغوى« النهاية» فى مادتى(يعجز) و(ازر) ويفيد اختلافها مع« نهج البلاغة» أنّه رواها من مصدر آخر(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۱۷) لابدّ من الالتفات إلى أنّ ابن الأثير أشار لهذه الخطبة فى مادة(ازر) و(يعجز) لكنه لم يُشر إليها- حسب المصادر- فى مادة(ازر).

[۱۸۹] (۱).« زاخر» من« زخور» المملوء و« بحر زاخر» البحر الممتلىء.

[۱۹۰] (۲).« متقاصف» الجماعة التى يدفع بعضها الآخر من مادة« قصف» على وزن« عصف» بالكسر وفى العبارة إشارة إلى الأمواج المتلاطمة التى يضرب بعضها البعض.

[۱۹۱] (۱).« اطباق» جمع« طَبَق» الطبقات على بعضها.

[۱۹۲] (۲).« ارتقاق» الاتصال من مادة« رتق» وضد ها« فتق».

[۱۹۳] (۳).« أرسى» من مادة« رسو» على وزن« مسح» الثابت والراسخ.

[۱۹۴] (۴).« اخضر» إشارة إلى عمق البحار التى تبدو لكثرة العمق بهذا اللون.

[۱۹۵] (۱).« مثعنجر» الملىء بالماء من مادة« ثعجرة» على وزن« حنجرة» جريان الماء وما شابه.

[۱۹۶] (۲).« قمقام» البحر العظيم فى الأصل من مادة« قمقمة» على وزن« همهمة» بمعنى الجمع ومن هنا يقال قمقام للبحر العظيم والأحداث المهمّة التى تجمع فيها المشاكل الكثيرة.

[۱۹۷] (۱).« جبل» من مادة« جبل» على وزن« جبر» الخلق ومنه الجبل المعروف.

[۱۹۸] (۲).« جلاميد» جمع« جلمود» على وزن« خرطوم» الصخرة والجبل.

[۱۹۹] (۳).« نشوز» جمع« نشز» على وزن« نشر» التل وما ارتفع من الأرض. ولهذه المفردة معنى مصدرى: الامتناع عن الإتيان بالوظيفة كنشوز الزوجة عن الزوج.

[۲۰۰] (۴).« متون» جمع« متن» المحكم وتأتى بمعنى المستوى والمراد هنا المعنى الأوّل.

[۲۰۱] (۱).« أطواد» جمع« طود» الجبل الشامخ.

[۲۰۲] (۲).« أنهد» من« النهود» بمعنى الظهور والانفصال.

[۲۰۳] (۳).« أساخ» من« السوخ» على وزن« قول» الغوص فى الماء.

[۲۰۴] (۴).« انصاب» جمع« نصب» على وزن« كتب» الأجسام الأعلام وللنصب معنى المفرد أحياناً والجمع أخرى حسب ما ذكر المرحوم الطبرسى فى« مجمع البيان»، ج ۱۰، ص ۱۲۶.

[۲۰۵] (۵).« أشهق» من« الشهوق» الارتفاع و« اشهق» يعنى رفع.

[۲۰۶] (۶).« أنشاز» جمع« نشز» على وزن« مرض» من« النشوز» ذكرت سابقاً فى هذه الخطبة.

[۲۰۷] (۷).« ارّز» من مادة« رزّ» على وزن« حظّ» بمعنى ثبت.

[۲۰۸] (۸).« تميد» من« الميد» على وزن« صيد» الحركة والاضطراب.

[۲۰۹] (۹).« تسيخ» من« سوخ» فسّرت فى الخطبة.

[۲۱۰] (۱). مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۱۷.

[۲۱۱] (۲).« تكركر» من مادة« كركرة» على وزن« حنجرة» يرى البعض أنّها من مادة والبعض الآخر أنّها مادة مستقلة من الرباعى المجرّد وتعنى التكرار.

[۲۱۲] (۳).« تمخض» من مادة« مخض» على وزن« قرض» تعنى فى الأصل حركة اللبن لاستخراج الزبدة ثم اطلقت على كلّ حركة شديدة.

[۲۱۳] (۴).« ذوارف» من مادة« ذرف» على وزن« حرف» سيلان الدمع من العين أو مطلق السيل و« ذوارف» جمع« ذارفة» بمعنى الجارى والصافى.

[۲۱۴] (۱). سورة النازعات، الآية ۲۶. جدير ذكره أنّ هذه الآية القرآنية وردت فى سياق الخلقة وخلق السماء والأرض.

[۲۱۵] (۲). سورة فاطر، الآية ۲۸.

[۲۱۶] (۱). سند الخطبة:

لم يذكر صاحب« مصادر نهج البلاغة» سنداً لهذه الخطبة؛ لكن يستفاد من كتاب« تمام نهج البلاغة»(وأشرنا لذلك فى المتن) أنّ هذا الكلام كان ذيل الخطبة ۱۹۸ ولم يذكر هذا الكتاب سنداً آخر غير« نهج البلاغة».

[۲۱۷] (۱). تمام نهج البلاغة، ص ۴۹۱.

[۲۱۸] (۲).« نكوص» مصدر يعنى الانسحاب والتراجع.

[۲۱۹] (۳).« إبطاء» التأخير من مادة« بطؤ» على وزن« قفل».

[۲۲۰] (۱). صفين لنصر بن مزاحم، ص ۹۴ و ۹۵.

[۲۲۱] (۱). سند الخطبة:

لم يذكر سند هذه الخطبة فى المصادر المعروفة سوى« نهج البلاغة» وقد روى العلّامة المجلسى قسمها الأوّل عن« نهج البلاغة» فى الجزء الرابع من بحارالأنوار.

[۲۲۲] (۱).« متوهمين» من مادة« وهم» الظن والخيال كما تعنى التفكير وهذا هو المعنى المراد والشاهد على ذلك كلمة الفكر قبل ذلك.

[۲۲۳] (۱).« يرهقه» من مادة« رهق» على وزن« شفق» غشى الشيء أو القهر والغلبة كما وردت بمعنى تسلط الشيء.

[۲۲۴] (۱). بحار الأنوار، ج ۶۶، ص ۲۹۳.

[۲۲۵] (۱).« رتق» من« رتْق» على وزن« حتم» الاتصال.

[۲۲۶] (۲).« مفاتق» المواضع المنشقة جمع« مفتق» على وزن« مكتب» من مادة« فتق»(ضد رتق).

[۲۲۷] (۳).« ساور» من« المساورة» الغلبة والسيطرة من مادة« سور» على وزن« غور».

[۲۲۸] (۴).« حزونة» ضدّ سهولة، الخشن والغلظ فى الأرض.

[۲۲۹] (۵).« سرّح» من« التسريح» الترك والطرد ومن هنا يقال للطلاق تسريح ومادته الأصلية« سرح» و« سروح» الاطلاق والتحرير.

[۲۳۰] (۱). سند الخطبة:

روى الآمدى فى« غررالحكم» جانباً من هذه الخطبة مع اختلاف يدل على أنّه اقتبسها من مصدر آخر غير« نهج البلاغة».

[۲۳۱] (۱). هنالك عبارات فى كتاب« تمام نهج البلاغة» الذى أورد عبارات مكمّلة لهذه الخطبة تشير بوضوح إلى أنّ الضمير فى« إنّه» يرجع إلى اللّه تعالى لا إلى القضاء والقدر(تمام نهج البلاغة، الخطبة ۲۲، ص ۲۹۹).

[۲۳۲] (۲).« نسخ» من« النسخ» على وزن« مسخ» تعنى فى الأصل انتقال الشيء ومن هنا يقال حين ينتقل الظل إثرحركة الشمس:« نسخت الشمس الظلّ» كما يقال لكتابة شيء على كتابة أخرى استنساخ، لأنّها تنقل المطلب. ومنه النسخ فى الأحكام لأنّ حكماً يحل محل آخر والنسخ فى العبارة إشارة إلى انتقال النطفة من الأب إلى الأب الآخر والذى تنتقل عن طريقه الصفات من الآباء إلى الأبناء.

[۲۳۳] (۳).« عاهر» الشخص الفاسق والفاجر.

[۲۳۴] (۴). مصباح المتهجّد، ص ۷۱۷.

[۲۳۵] (۵). بحار الأنوار، ج ۱۵، ص ۱۱۷؛ مجمع البيان، ج ۳- ۴، ص ۴۹۷.

[۲۳۶] (۱). بحار الأنوار، ج ۳۳، ص ۳۷۶؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۲، ص ۲۹۷.

[۲۳۷] (۲). الضمير« يقول» يعود إلى« اللّه» الذى ذكر سابقاً والمعنى أنّ اللّه يجعل لسانهم ناطقاً ويجرى عليه الخير.

[۲۳۸] (۱). سورة طه، الآية ۴۶.

[۲۳۹] (۲). سورة إبراهيم، الآية ۲۷.

[۲۴۰] (۳). سورة الفاتحة، الآية ۵.

[۲۴۱] (۱).« مستحفظين» من مادة« حفظ» من يحفظ مايودع إليه.

[۲۴۲] (۱).« رويّة» صفة مشبّهة من« ريّ» على وزن« حيّ» زوال العطش.

[۲۴۳] (۲).« بريّة» تركيب من الباء الجارّة و« ريّة» اسم المصدر من« ريّ» على وزن« حيّ» الرى من العطش.

[۲۴۴] (۱).« ينتقى» من« النقاوة» بمعنى الطاهر والخالص، وتعنى الاصطفاء والاختيار حين تأتى فى باب افتعال.

[۲۴۵] (۲).« التمحيص» التطهير والإخلاص وورد بهذا المعنى أيضاً من مادة« محص» على وزن« فحص»، وإن تضمن التمحيص تأكيداً أكثر ولما كان الامتحان سبب التنقية والتطهير فقد وردت هذه المفردة بمعنى الامتحان.

[۲۴۶] (۱).« الكرامة» تعنى فى الأصل الشرف، الشخصية، المثل، الاحترام والنعمة وما معناها فى العبارة فيرى البعض أنّها مفعول به فقال: مفهوم الجملة أنّه ينبغى على كلّ إنسان أن يقبل الكرامة الإلهيّة والنعمة بقبول هذه الصفات البارزة، وعليه فالكرامة بمعنى كرامة اللّه وإشارة إلى نعمه، الاحتمال الآخر« كرامة» من قبيل المفعول له ومفهوم الجملة كلّ إنسان يقبل هذا الكلام للكرامة والمحبّة.

[۲۴۷] (۲).« قارعة» من مادة« قرع» بمعنى الضرب وقارعة تطلق على الحوادث المهمّة والصعبة؛ كالموت والزلزال. فأحد أسماء القيامة« القارعه» لأنّها تقترن بحوادث صعبة.

[۲۴۸] (۱).« يردى» من مادة« رَدْى» على وزن« رعد» بمعنى الهلكة، أو السقوط المقرون بالهلكة و« يردى»(من باب أفعال) يعنى يهلك.

[۲۴۹] (۲).« حوبه» تعنى فى الأصل الحاجة التى تسوق الإنسان إلى المعصية، ثم اطلقت على مطلق المعاصى أو الكبائر.

[۲۵۰] (۱). سورة الأنبياء، الآية ۷.

[۲۵۱] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۵، ص ۱۵۹.

[۲۵۲] (۱). سند الخطبة:

ورد فى« مصادر نهج البلاغة» أنّ« السيّد ابن باقى» معاصر« المحقق الحلّى» ذكرها فى كتاب« الاختيار» كما فى« نهج البلاغة» سوى العبارة الأخيرة التى رواها بصيغة أخرى وأضاف لها سائر العبارات التى تشير إلى أنّه استقاها من مصدر آخر غير« نهج البلاغة». وسترد إشارات أخرى بمصادر هذا الدعاء فى ذيل الخطبة ۲۲۵.

[۲۵۳] (۱).« عروق» جمع« عرق» على وزن« حرص» مجارى الدم فى البدن واطلقت على أصل كلّ شىء وجذره.

[۲۵۴] (۲).« دابر» تعنى فى الأصل الظهر أو الشخص التابع ومن هنا يطلق على الأولاد والأجيال التى تعقب الإنسان« دابر».

[۲۵۵] (۱).« ملتبس» من مادة« لبس» على وزن« حبس» بمعنى الخطأ و« ملتبساً عقلى» بمعنى إرتباك الفكر والعقل.

[۲۵۶] (۱). خصال الصدوق، ج ۲، ص ۴۲۰، ح ۱۴.

[۲۵۷] (۲). بحار الأنوار، ج ۶۸، ص ۲۳.

[۲۵۸] (۱).« أضام» من« الضيم» على وزن« غيم» بمعنى الظلم والإذلال.

[۲۵۹] (۲).« أضطهد» من مادة« ضهد» على وزن« مهد» بمعنى قهر و« الاضطهاد» بمعنى التأكيد قى القهر.

[۲۶۰] (۳). سورة فاطر، الآية ۱۵.

[۲۶۱] (۱). سورة الأعراف، الآية ۱۷۸.

[۲۶۲] (۲). سورة آل عمران، الآية ۱۶۰.

[۲۶۳] (۳). بحار الأنوار، ج ۹۵، ص ۴۱۳، دعاء ليلة النصف من شعبان.

[٢٦٤] (۴).« تتابع» من مادة« تتابع»(مصدر باب تفاعل) بمعنى الحمل بسرعة نحو الشيء.

[٢٦٥] (١). سند الخطبة:

ورد فى« مصادر نهج البلاغة» ذيل هذه الخطبة رواها قبل السيد الرضى المرحوم الكلينى فى« روضة الكافى»: ج ٨، ص ٣٥٢ عن الإمام الباقر عليه السلام. وما ورد فى« الكافى» أكثر ممّا ورد فى« نهج البلاغة» وتختلف بعض عباراته عمّا فى« نهج البلاغة» دون تغيير فى المعنى(مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٢٩).

[٢٦۶] (١).« تواصف» من مادة« وصف» بمعنى أنّ بعض الإشياء وصف لبعضها الآخر. وتعنى فى الخطبة أنّ الناس فىالكلام كلّ يؤدى بشأن الحق.

[٢٦٧] (٢).« تناصف» من مادة« نَصَفَ» على وزن« هدف» وعلى وزن« حرص» الانصاف ومعنى« تناصف» أنّ كلّ شخص يراعى الانصاف بحق الآخر.

[٢٦٨] (٣). سورة البقرة، الآية ٢٨٠.

[٢٦٩] (۴). سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

[٢٧٠] (١). أورد المرحوم العلّامة المجلسى رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام فى بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٠.

[٢٧١] (٢). ورد فى كتاب الحج من« وسائل‌الشيعة»، باب تحت عنوان« حقوق الدابّة الواجبة والمندوبة» وهو مهم للغاية واشير لهذا المعنى فى الخطبة ١۶٧.

[٢٧٢] (١). سورة الأنعام، الآية ١٢، وورد هذا التعبير فى الآية ۵۴ مع اضافة كلمة« ربّكم».

[٢٧٣] (٢). سورة آل عمران، الآية ٩.

[٢٧۴] (١).« تتكافأ» يعنى تتساوى من مادة« كفؤ» على وزن« كفر» التساوى فى المقام والمنزلة والقدر، ثم اطلقت على كلّ شبيه ومثيل.

[٢٧۵] (٢).« رعيّة» من مادة« رعى» على وزن« سعى» بمعنى الحفظ والمراقبة والمراعاة. ومنه« الراعى» لأنّه يحفظالماشية ويقال للحاكم« راعى» لأنّه يرعى الناس ويطلق على الناس« رعية» لأنّهم تحت رعاية وحفظ الحكومة.

[٢٧۶] (١).« اذلال» جمع« ذلّ» على وزن« ظلّ» بمعنى جادة محكمة ومستقيمة وبسبب كثرة المرور عليه أصبحتقوية، وأصل هذه الكلمة مأخوذة من« ذلّت».

[٢٧٧] (١).« اجحف» من« الإجحاف» هضم حقوق الآخرين ومادته الأصلية« جحف» على وزن« محو» بمعنى إزالة الشيء.

[٢٧٨] (٢).« ادغال» إدخال ما يفسد الشيء. من مادة« دغل» على وزن« دخل» الدخول فى مكان خفية لاغفال الصيد.

[٢٧٩] (٣).« محاج» جمع« محجة» الجادة الواضحة والسوية من« الحج» بمعنى القصد فالإنسان يقصد دائماً الطريق الواضح.

[٢٨٠] (١). بحار الأنوار، ج ۴۶، ص ۵۶، ح ١٠.

[٢٨١] (٢).« اقتحمت» من« الإقتحام» الإخفاء أو الدخول فى عمل دون تروٍّ وتعنى الاحتقار والازدراء ومادته« قحم» على وزن« فهم».

[٢٨٢] (١). بحار الأنوار، ج ٢، ص ۴۴.

[٢٨٣] (١). الفتوحات الإسلاميّة، احمد بن زينى دحلان(٢ مجلّد)، الطبع مؤسسة الحلبى القاهرة(١٣٨٧ ق- ١٩۶٨ م).

[٢٨۴] (١). تمرّ علينا حين كتابة هذه السطور حادثتان مهمتان هزتا العالم الإسلامى: الاولى حادثة الإهانة الأليمة للنبى صلى الله عليه و آله بتلك الصور المستهجنة التى عكستها أجهزة الإعلام الغربية والتى انطلقت من الدانمارك لتعم أكثر البلدان الأوربية وموجة استنكار المسلمين التى عمّت العالم وقاطعوا بضائع تلك الدول حتى اضطروا للتراجع ودخلوا مرحلة الاعتذار.

أمّا الحادثة الثانية فكانت الجريمة التى انتهكت حرمة ضريح العسكريين عليهما السلام حيث استيقظ المسلمون يوم الأربعاء عام ٢٠٠۶ ليروا أيادى الاستعمار والاستكبار والعملاء الرعاع قد أحالوا الضريح إلى ركام من التراب من خلال خطة مدبرة مسبقاً، فأجج مشاعر

العالم الإسلامى برمته دون الاقتصار على الشيعة، مستنكرة تلك الجريمة التى سعت لبث الفرقة بين المسلمين وإثارة الحرب الأهلية، جدير ذكره أنّ كلّ هذه الأمور كانت تهدف إلى مواجهة الحكومات الشعبية التى تسلمت الأمور فى العراق وفلسطين.« اللّهمَّ فَرِّقْ جَمْعَهُمْ وَشَتِّتْ شَمْلَهُمْ وَخُذْهُمْ أخْذَ عَزيز مُقْتَدِر».

[۲۸۵] (۱). الكافى، ج ۸، ص ۳۵۵.

[۲۸۶] (۲). المصدر السابق.

[۲۸۷] (۱).« اسخف» من« السخف» على وزن« قفل» و« سخافة» ضعف العقل والجهل.

[۲۸۸] (۲).« إطراء» من« الطراوة» الجديد، وتعنى المدح والثناء من باب الإفعال.

[۲۸۹] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۵۲.

[۲۹۰] (۲). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۳۴۷.

[۲۹۱] (۳). المصدر السابق، الكلمة ۴۶۲.

[۲۹۲] (۱). غرر الحكم، الحكمة ۲۶۹۶.

[۲۹۳] (۲). من لايحضره الفقيه، ج ۴، ص ۱۱.

[۲۹۴] (۱). عيون الحكم والمواعظ، ص ۱۱۷.

[۲۹۵] (۲). المصدر السابق، ص ۱۷۷.

[۲۹۶] (۳). المصدر السابق، ص ۴۰۹.

[۲۹۷] (۱).« بادرة» من« البدور» على وزن« غروب» تعنى فى الأصل المسارعة إلى القيام بعمل و« بادرة» الحركات السريعة والخاطئة التى تصدر من الغاضب.

[۲۹۸] (۱). سورة يوسف، الآية ۳.

[۲۹۹] (۲). العقدالفريد، ج ۱، ص ۵۳،(طبق نقل شرح نهج البلاغة للمرحوم التسترى، ج ۶، ص ۴۴۷ و ۴۴۸).

[۳۰۰] (۳). المصدر السابق.

[۳۰۱] (۱). سورة يوسف، الآية ۲۴.

[۳۰۲] (۲). بحار الأنوار، ج ۶۰، ص ۳۲۹.

[۳۰۳] (۱). الكافى، ج ۸، ص ۳۵۸، ح ۵۴۵. تتمة هذا البحث فى« الكافى» لطيفة للغاية فيمكن الرجوع إلى ماذكر. فقد اغضضنا المواصلة حتى لانخرج عن اسلوبنا فى الشرح.

[۳۰۴] (۱). سند الخطبة:

ورد جانب من هذه الخطبة فى الخطبة ۱۷۲ وجانب آخر فى الخطبة ۲۶ وكما مضى فى سند الخطبة ۱۷۲ يبدو أنّ هذه الخطبة جانب من رسالة كتبها الإمام أواخر خلافته وبين فيها باختصار الحوادث التى وقعت عقب وفاة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حتى ذلك الزمان وأمر أن تقرأ على الناس.

وأضاف صاحب كتاب« مصادر نهج البلاغة» أنّ المرحوم الكلينى فى كتاب« كشف المحجّة»(ص ۱۸۰) طبق نقل السيّد ابن طاووس فى كتاب الرسائل. ويحتمل أيضاً أنّ الإمام بين بعض هذه الخطبة فى مختلف المناسبات لأكثر من مرة.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۳۲).

[۳۰۵] (۱).« اكفؤوا» من« الإكفاء» بمعنى قلب الإناء بحيث يسكب كلّ ما فيه، ومادته الأصلية« كفء» على وزن« دفع» بمعنى التولى.

[۳۰۶] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۹، ص ۳۰۷.

[۳۰۷] (۱).« رافد» من مادة« رفد» على وزن« ربط» بمعنى المعونة والعطاء والمساعدة.

[۳۰۸] (۲).« ضننت» من مادة« ضنّ» على وزن« فنّ» تعنى فى الأصل البخل الشديد؛ لكنها هنا التحفظ الشديد عن الشيء المطلوب.

[۳۰۹] (۳).« قذى» هذه المفردة تقابل تماماً الصفاء والإخلاص ويطلق القذى على الأشياء الملوثة التى تقع فى الماءوالشوك الذى يدخل فى العين ويؤذيها.

[۳۱۰] (۴).« شجى» من مادة« شجو» على وزن« هجو» بمعنى الحزن والشدة كما يطلق على ما يعترض حنجرة الإنسان.

[۳۱۱] (۵).« علقم» نبتة مرّة للغاية ويطلق عليها أيضاً« حنظل» وتطلق هذ المفردة على كلّ شيء مر.

[۳۱۲] (۶).« وخز» بمعنى اللسع والثقب والأذى.

[۳۱۳] (۷).« شفار» جمع« شفرة» على وزن« دفعة» السكين.

[۳۱۴] (۱). سند الخطبة:

قال صاحب« مصادر نهج البلاغة»، مصادر هذا الكلام هى مصادر الكلام السابق، لأنّ كلًا منه فصل من رسالة كتبها الإمام عليه السلام وأمر بأن تقرأ على الناس(ليقفوا على ماحدث منذ وفاة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حتى عصر خلافته). ثم قال:« لذلك ذكر هذا الكلام متصلًا بالكلام السابق فى بعض نسخ نهج البلاغة».(مصادر نهجالبلاغة، ج ۳، ص ۱۳۳).

[۳۱۵] (۱).« عَضّوا» من مادة« عضّ» على وزن« سدّ» تعنى فى الأصل العض بالأسنان ثم استعملت لمن يتابع عمله بجد والعبارتان« عُضّوا على أسيافهم» من هذا القبيل.

[۳۱۶] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۹، ص ۳۱۵.

[۳۱۷] (۲). المصدر السابق.

[۳۱۸] (۱). سند الخطبة:

رواها أبوالفرج الاصفهانى فى« الأغانى» والمبرّد فى« الكامل» وابن عبد ربّه فى« العقد الفريد» وابن الأثير فى« النهاية».(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۳۵).

[۳۱۹] (۱).« وَتْر» على وزن« سطر» و« وِتْر» على وزن« فطر» بمعنى الجناية أو الأذى ويطلق على القصاص ووردت بهذا المعنى فى العبارة المذكورة.

[۳۲۰] (۲).« أفلتتنى» من« الإفلات» وردت بمعنى الخلاص والهروب وهى هنا الهروب.

[۳۲۱] (۱).« أتلعوا» من« الإتلاع» بمعنى مد العنق من مادة« تلع» على وزن« طرب» بمعنى رفع العنق.

[۳۲۲] (۲).« وقصوا» من« الوقص» على وزن« نقص» بمعنى الكسر.

[۳۲۳] (۱). روى المرحوم الكلينى فى كتاب« الكافى» حديثاً مشهوراً قى شعب الذنوب ودوافعها عن الإمام زين العابدين عليه السلام جاء فى آخره:« فَقالَ الأَنْبِياءُ وَالْعُلَماءُ بَعْدَ مَعْرِفَةِ ذلِك: حُبُّ الدُّنْيا رَأسُ كُلِّ خَطيئَةٍ».(الكافى، ج ۲، ص ۱۳۱، ح ۱۱، باب ذنب حبّ الدنيا).

[۳۲۴] (۲). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱، ص ۲۴۷.

[۳۲۵] (۱). سند الخطبة:

نقل صاحب« مصادر نهج البلاغة» هذا الكلام عن« غرر الحكم» للآمدى باختلاف كبير يدل على أنّه رآها فى مصدر آخر غير« نهج البلاغة».(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۳۶).

[۳۲۶] (۱).« الجليل» بمعنى الكبير أو القيم من« الجلال» بمعنى العظمة وهوهنا إشارة إلى الجسم الإنسانى القيم.

[۳۲۷] (۲).« غليظ» تعنى فى الأصل الخشن وتعنى هنا الغلظة الأخلاقيّة التى تزول فى ظل الرياضة النفسيّة وتتحول إلى لطافة خلقية.

[۳۲۸] (۱). سورة الحديد، الآية ۲۸.

[۳۲۹] (۲).« تـدافعت» من« التـدافع» بمعنى الـدفع والطرد وتعنى أحياناً التماس البدنى والمعنى الأوّل هو المراد هنا من‌مادة« دفع» على وزن« فخر» بمعنى الدفع.

[۳۳۰] (۳). سورة الأنعام، الآية ۱۲۷.

[۳۳۱] (۱). سورة فاطر، الآيتان ۳۴ و ۳۵.

[۳۳۲] (۲). سورة الفجر، الآيات ۲۷- ۳۰.

[۳۳۳] (۳). سورة الانشقاق، الآية ۶.

[۳۳۴] (۴). سورة التحريم، الآية ۸.

[۳۳۵] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۵۶.

[۳۳۶] (۲). الكافى، ج ۲، ص ۵۳، ح ۲.

[۳۳۷] (۱). سورة آل عمران، الآية ۱۶۹.

[۳۳۸] (۲). راجع خلاصة هذه الرسالة وسائر المناهج التى اعتمدها بعض كبار عارفى عصرنا فى كتاب الأخلاق فى القرآن، ج ۱، ص ۱۳۳.

[۳۳۹] (۳). سورة الكهف، الآيتان ۱۰۳ و ۱۰۴.

[۳۴۰] (۱). سند الخطبة:

أورد هـذا الكلام على بن محمـد شاكر الليثى فى كتاب« عيون الحكم والمواعظ» الذى ألفه سـنة ۴۵۳ للهجرة وكان متأخراً عن السـيّد الرضـى؛ ولكن الاختلافات والتعبيرات فى عدّة عبارات من الخطبة تشـير إلى أنّها اقتبست من مصدر آخر غير« نهج البلاغة». كما فسّـر ابن الأثير مفرداتها الصـعبة فى كتابه« النهاية»(واحتمالًا كان لديه مصدر آخر غير« نهج البلاغة»).(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۴۵ بتلخيص طفيف).

[۳۴۱] (۲). سورة التكاثر، الآيتان ۱ و ۲.

[۳۴۲] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۱، ص ۱۵۲ فصاعداً(بتلخيص).

[۳۴۳] (۱).« المرام» بمعنى الهدف والمطلوب ومن مادة« روم» على وزن« قوم» بمعنى الطلب والقصد.

[۳۴۴] (۲).« الزور» بمعنى الزائر ويطلق على المفرد والجمع.

[۳۴۵] (۳).« الخطر» تعنى أحياناً الأمر الخطير وأخرى الأمر المهم والمعنى الثانى هو المراد؛ أى‌أنّ هؤلاء كانوا يرون كثرة قبور موتاهم مهمة والحال هذا فخر بغيض وموهوم.

[۳۴۶] (۴).« أفظع» من مادة« فضاعة» بمعنى القبيح والبغيض.

[۳۴۷] (۵).« استخلوا» من مادة« خلوّ» على وزن« غلوّ» بمعنى الخلو والمضى.

[۳۴۸] (۶).« تنـاوشوا» من مادة« تناوش» ومن« نوش» على وزن« خوف» بمعنى تناول الشـىء بسـهولة أو بقوة والتناوش من مكان بعيد الأخذ عن بعد.

[۳۴۹] (۷).« خـوت» من مـادة« خـوى» على وزن« هوا» تعنى فى الاصـل خلت وتعنى أحيانـاً تهـدمت وهـذا هو المراد بهـا فى العبـارة المذكورة.

[۳۵۰] (۱).« جناب» من مادة« جَنْب» الضلع واستعملت بمعنى الجانب والناحية والطرف وجناب ذلّة فى العبارة بهذا المعنى.

[۳۵۱] (۲).« أحجى» من« حِجا» على وزن« رضا» العقل، وأحجى أعقل.

[۳۵۲] (۳). سورة الدخان، الآيات ۲۵- ۲۸.

[۳۵۳] (۴). بحار الأنوار، ج ۶۸، ص ۳۲۷.

[۳۵۴] (۵).« ربوع» جمع« ربع» على وزن« رفع» البيت والمسكن.

[۳۵۵] (۶).« ضلال» جمع« ضال».

[۳۵۶] (۱).« هام» جمع« هامة» أعلى الرأس.

[۳۵۷] (۲).« تستنبتون» من مادة« نبت» على وزن« ضبط» الإنبات وتعنى الزراعة.

[۳۵۸] (۳).« ترتعون» من مادة« رتع»، على وزن« قطع» تعنى فى الاصل الرعى وكثرة اكل الحيوانات؛ ولكن تستعمل أحياناً بشأن الإنسان بمعنى اللعب والمرح وكثرة الاكل والمعنى الثانى هو المراد فى العبارة.

[۳۵۹] (۴).« لَفَظُوا» من مادة« لفظ» لفظوا وطرحوا وغالباً ما تعنى الطرح من الفم وبما أنّ الكلام يطرح من الفم فلذلك يطلق عليه اللفظ والمعنى الأوّل هو المراد فى العبارة.

[۳۶۰] (۵).« بواك» جمع« باكية» تعنى فى الأصل بكاء النساء والعزاء.

[۳۶۱] (۶).« نوائح» جمع« نائحة» المرأة التى تنوح والاختلاف بينهما أنّ النواح بكاء وصوت وألفاظ وذكر مطالب بينما البكاء مفهوم عام.

[۳۶۲] (۱). سورة التوبة، الآية ۱۸.

[۳۶۳] (۱).« الغاية» النهاية وتعنى هنا الموت.

[۳۶۴] (۲).« فرّاط» من مادة« فرط» على وزن« شرط» السرعة والعجلة و« فراط» جمع« فارط» تطلق غالباً على متقدم القوم إلى الماء ثم اطلق على كلّ من يتقدم فى أمر.

[۳۶۵] (۳).« مناهل» جمع« منهل» من مادة« نهل» على وزن« أهل» موضع الشربة الأولى و« منهل» يقال لموضع ما لشرب الشاربة من النهر.

[۳۶۶] (۴).« مقاوم» جمع« مَقام» وقيل جمع« مَقامة» وكلاهما بمعنى مجلس.

[۳۶۷] (۵).« حلبات» جمع« حلبة» على وزن« دفعة» الدفعة من الخيل فى الرهان.

[۳۶۸] (۶).« سوق» جمع« سوقة» على وزن« كوفة» الرعية والناس من« سوق» على وزن« فوق»؛ لأنّ الرعاة يسوقونهم إلى الأهداف المطلوبة.

[۳۶۹] (۱). سورة المؤمنون، الآية ۱۰۰.

[۳۷۰] (۲). بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۱۷.

[۳۷۱] (۳). المصدر السابق، ص ۲۱۴؛ صحيح الترمذى، ج ۴، كتاب صفة القيامة، باب ۲۶، ح ۲۴۶۰.

[۳۷۲] (۴).« فجوات» جمع« فجوة» الموضع الواسع ويعنى الفرجة وورد هنا بمعنى شق القبر.

[۳۷۳] (۵).« ضمار» الغائب أو المال الذى لا يؤمل رجوعه ومن مادة« ضمر» على وزن« أمر» بمعنى الإخفاء.

[۳۷۴] (۶).« يحفلون» من مادة« حفول» تجمع الأفراد وورد بمعنى اللامبالاة بالشىء و« لا يحفلون» هنا تعنى لا يبالون.

[۳۷۵] (۷).« رواجف» جمع« راجفة» الزلازل ومن مادة« رجف» على وزن« ربط» بمعنى الاضطراب والزلزال الشديد.

[۳۷۶] (۸).« قواصف» جمع« قاصف» بمعنى الرياح والعاصفة العاتية ومن مادة« قصف» على وزن« وصف» الكسر.

[۳۷۷] (۹).« آلاف» جمع« أليف» بمعنى من يتعلق بالشىء ومن مادة« إلفة».

[۳۷۸] (۱).« ارتجال» بيان مطلب بدون مطالعة مسبقة ومن مادة« رجل» على وزن« أجر» المشى على القدمين واطلقتبهذا المعنى على

المبدع الذى يرتجل الكلام وكأنّه يمشى على رجليه.

[۳۷۹] (۲).« صرعى» جمع« صريع» الشخص أو الجنازة الملقاة على الأرض ومن جمع« صرع» على وزن« فرع» الالقاء على الأرض.

[۳۸۰] (۳).« سبات» من مادة« سبت» القطع والقص ثم وردت بمعنى الاستراحة بعد العمل ومن هنا يقال للنوم سبات.

[۳۸۱] (۴).« عرى» جمع« عروة» القبضة.

[۳۸۲] (۵).« أفظع» من مادة« فظع» على وزن« جزع» بمعنى أخوف وأرهب.

[۳۸۳] (۶).« مباءة» بمعنى المنزل تعنى فى الأصل الموضع الذى تعود إليه الجمال ومن مادة« بواء» على وزن« دواء» الرجوع والاطراق.

[۳۸۴] (۱).« عيّوا» من مادة« عىّ» على وزن« حىّ» العجز.

[۳۸۵] (۱).« كلحت» من« الكلوح» على وزن« طلوع» الوجه العابس والمقطب.

[۳۸۶] (۲).« نواضر» من« نضرة» على وزن« دفعة» الحسنة الباسمة المتفتحة.

[۳۸۷] (۳).« خوت» من« خواء» بمعنى تهدمت وتلاشت.

[۳۸۸] (۴).« اهدام» جمع« هدم» على وزن« حرص» الثوب البالى والمرقع.

[۳۸۹] (۵).« تكاؤدنا» من« التكاؤد» المشقة ومادته« كأد» على وزن« رعد».

[۳۹۰] (۶).« تهكمت» من« التهكّم» السقوط فى بئر وما شابه ذلك أو التهدم.

[۳۹۱] (۷).« الصموت» السكوت وفى العبارة مصدر له معنى وصفى.

[۳۹۲] (۱). سنن الترمذى، ج ۳، ص ۳۷۹؛ ميزان الحكمة، مادة« قبر»، ح ۱۶۲۵۱.

[۳۹۳] (۲).« ارتسخت» من« الارتساخ» المبالغة فى الرسخ ومن« الرسوخ» النفوذ.

[۳۹۴] (۳).« هوام» جمع« هامة» الحشرات السامّة؛ كالحية وتطلق على كلّ نوع حشرة.

[۳۹۵] (۴).« استكت» من مادة« سكك» على وزن« حكك» بمعنى صمت.

[۳۹۶] (۵).« الذلاقة» الحدة؛ ثم استعملت بمعنى اللسان وسرعة النطق ويقال: خطيب ذلق للمتكلم الفصيح والبليغ.

[۳۹۷] (۶).« همدت» من« الهمود» على وزن« سجود» تعنى فى الأصل انطفاء النار. ثم استعملت بمعنى السكوت والسكون والتوقف عن العمل.

[۳۹۸] (۷).« عاث» من مادة« عيث» على وزن« حيف» أفسد كما ورد بمعنى التبذير والمعنى الأوّل هو المراد فى العبارة.

[۳۹۹] (۸).« جديد بلى» هنالك نوع من صناعة البديع فى العبارة من خلال كلمة جديد والتى تقابل البالى بصيغة مضاف‌ومضاف إليه ومعناه الفساد الجديد.

[۴۰۰] (۹).« سمّج» من« السماجة» القبيح والمنفر و« سمج» على وزن« خشن» تطلق على من ينشد شيئاً بطريقة قبيحة.

[۴۰۱] (۱۰).« أشجان» جمع« شجن» على وزن« كفن» الهموم.

[۴۰۲] (۱۱).« اقذاء» جمع« قذى» على وزن« سجى ما يسقط قى العيون ويؤذيها من أجسام صغيرة والتى تظهر كلّ ساعة على جسد الميت.

[۴۰۳] (۱۲).« غمرة» تعنى فى الأصل الماء الجارف الذى يغطى الأشياء ثم اطلق على كلّ أمر شديد.

[۴۰۴] (۱).« العزيز» تعنى فى الأصل القوى والقادر ويلزمه نفى الذل عن الإنسان؛ ولكن لم يتضح لم فسّرها بعض‌الشراح بالجمال.

[۴۰۵] (۲).« أنيق» جميل والماء الحسن والطيب الطعم.

[۴۰۶] (۳).« غذىّ» من« الغذاء» بمعنى الطعام و« غذىّ ترف» والمراد أنّه تغذى بالنعمة على أساس« ترف» التى تعنى‌النعمة.

[۴۰۷] (۴).« ربيب» من مادة« رَبّ» التربية والتدبير، وعليه« ربيب شرف» من تربى فى أحضان العزة والاحترام.

[۴۰۸] (۵).« يتعلّل» من« تعلّل» يتناسى ويتشاغل.

[۴۰۹] (۶).« سلوة» المعيشة الطيبة.

[۴۱۰] (۷).« ضنّ» البخل الشديد.

[۴۱۱] (۸).« غضارة عيش» الحياة المفعمة بالنعمة.

[۴۱۲] (۹).« الشحاحة» البخل وقيل: أعلى درجة البخل. فالبخيل من يبخل عما فى يده، أمّا الشحيح فيبخل بمافى يده وما فى أيدى الناس.

[۴۱۳] (۱۰).« غفول» من مادة« غفلت» الذى يغفل أو يوجب الغفلة.

[۴۱۴] (۱).« حسكة» من مادة« حسك» على وزن« فدك» نبات ذو أشواك يؤذى الإنسان بشدّة وورد بمعنى البغض والكرهوالمعنى الأوّل هو المراد هنا.

[۴۱۵] (۲).« حتوف» جمع« حتف» الموت.

[۴۱۶] (۳).« كثب» من مادة« كثب» على وزن« كسب» بمعنى الاقتراب.

[۴۱۷] (۴).« بثّ» الحزن الشديد. ووردت بمعنى السعة والتناثر والانتشار والمراد هنا المعنى الأوّل.

[۴۱۸] (۵).« النجىّ» الخفى والمستور ومن« نجوى الهمس فى الاذن.

[۴۱۹] (۶).« قارّ» بارد من مادة« قرّ» على وزن« حرّ» البرودة.

[۴۲۰] (۷).« ثوّر» من مادة« ثوران» الهيجان.

[۴۲۱] (۸).« ممازج» الأشياء التى تمزج مع بعضها.

[۴۲۲] (۱).« معلّل» المعالج واخذت فى الأصل من« علة» بمعنى المرض.

[۴۲۳] (۲).« ممرّض» من مادة« مرض» المعالج.

[۴۲۴] (۳).« تعايا» من مادة« عىّ» العجز.

[۴۲۵] (۴).« شجىّ» الغم من مادة« شجو» على وزن« هجو» الهم والغم.

[۴۲۶] (۱).« اسَى» الغم والحزن ووردت فى بعض النسخ« اسى»(بضم الهمزة) جمع« أسو» بمعنى الأسوة والمعنيان مناسبان فى الخطبة.

[۴۲۷] (۲).« فتصام» من مادة« صمّ» طرش الاذن و« تصام» تظاهر بالصمم.

[۴۲۸] (۳). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۱، ص ۱۶۷.

[۴۲۹] (۴).« غمرات» جمع« غمرة» مضى معناها فى الفقرة السابقة.

[۴۳۰] (۱). الكافى، ج ۳، ص ۲۶۰، ح ۳۸(بتلخيص).

[۴۳۱] (۱). بحار الأنوار، ج ۶، ص ۱۳۷، ح ۴۰.

[۴۳۲] (۲). نهج البلاغة، الخطبة ۵.

[۴۳۳] (۳). بحار الأنوار، ج ۶، ص ۱۷۲، ح ۵۰.

[۴۳۴] (۱).« آصال» جمع« اصُل» على وزن« رسل» وجمع أصيل من مادة أصل بمعنى العصر أو آخر النهار لأنّه يعتبر أصل الليل.

[۴۳۵] (۲). سورة النور، الآيتان ۳۶ و ۳۷.

[۴۳۶] (۳). سند الخطبة:

ذكر الآمدى فى حرف الألف من« غررالحكم» المقطع الأوّل من هذه الخطبة باختلاف مع ما ورد فى« نهج البلاغة»، ولم يرد مصدر آخر لهذا الجانب من الخطبة، ويدل الاختلاف على أنّه أخذها من مصدر آخر غير« نهج البلاغة».(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص

.(۱۵۱

[۴۳۷] (۱). سورة النور، الآيتان ۳۶ و ۳۷.

[۴۳۸] (۱).« ذكر» المراد به هنا ذكر اللَّه وهو على ثلاثة أنواع: القلبى، اللسانى والعملى فيتذكر اللَّه حين تتوفر مقدماتالمعصية فيتركها. وقيل: الذكر يشمل ذكر اللَّه وكذلك القيامة والنبوّة والولاية.

[۴۳۹] (۲).« جلاء» إزالة الصدأ والايضاح والإنارة. ويقال للكحل جلاء كونه ينوّر العين.

[۴۴۰] (۳).« وقرة» من مادة« وقر» تعنى فى الأصل الثقل، ومن هنا يقال لتعظيم الأفراد توقير، وقد استعمل الوقر فى القرآن الكريم بمعنى ثقل السمع وهذا هو المعنى المراد هنا.

[۴۴۱] (۴).« عشوة» ضعف العين.

[۴۴۲] (۵). سورة الأنبياء، الآية ۵۰.

[۴۴۳] (۶).« ما برح» دائماً وأبداً.

[۴۴۴] (۷).« برهة» الزمان الطويل أو مدّة من الزمان.

[۴۴۵] (۱).« فلوات» جمع« فلاة» الصحراء القاحلة أو الواسعة.

[۴۴۶] (۱). بحار الأنوار، ج ۶۶، ص ۳۲۷.

[۴۴۷] (۲). المصدر السابق، ج ۶۷، ص ۲۰.

[۴۴۸] (۱). سورة الأنفال، الآية ۲۹.

[۴۴۹] (۲). سورة العنكبوت، الآية ۶۹.

[۴۵۰] (۳). سورة القصص، الآية ۷.

[۴۵۱] (۴). ورد فى الحديث: لما دخل الكميت شاعر أهل البيت المعروف على الإمام الباقر عليه السلام وأنشد شعره المعروف:« مَنْ لِقَلْب مُتَيَّم مُسْتَهام» فلما فرغ قال له الإمام:« لاتَزالُ مُؤَيَّداً بِرُوحِ الْقُدُسِ ما دُمْتَ تَقول فينا»(وسائل الشيعة، ج ۱۰، باب ۱۰۵، أبواب المزار، ح ۴). اقتبس الإمام هذا الكلام عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الذى قاله لحسان بن ثابت لما أنشده« يُناديهِمْ يَوْمَ الْغَديرِ نَبيُّهُمْ».(بحار الأنوار، ج ۳۷، ص ۱۵۰).

[۴۵۲] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۱۳۱، ح ۱۱؛ الخصال، ص ۲۵، ح ۸۷.

[۴۵۳] (۱).« يهتفون» من مادة« هتف» على وزن« هتك» الصراخ بشخص.

[۴۵۴] (۱).« عدات» جمع« عدة» بمعنى الوعود وقوله عليه السلام:(وحققت القيامة عليهم عداتها) فى الواقع نوع من المجاز، لأنّ الوعود الإلهيّة وعود الثواب والعقاب عالم تحققه هو عالم القيامة، وعليه فلا ينبغى تصور الحاجة إلى الحذف والتقدير.

[۴۵۵] (۱).« مثلتهم» من« التمثيل» على وزن« خليل» بمعنى التجسيد.

[۴۵۶] (۱).« مقاوم» جمع« مقام» المكانة المعنوية أو البدنية.

[۴۵۷] (۲).« دواوين» جمع« ديوان» الدفتر وتعنى هنا صحيفة العمل.

[۴۵۸] (۳).« أوزار» جمع« وزر» على وزن« حرز» الحمل الثقيل وتعنى هنا حمل المسؤوليات الثقال.

[۴۵۹] (۴).« النشيج» الاختناق بالبكاء وترجيع الصوت فى الحنجرة إثر البكاء.

[۴۶۰] (۵).« تجاوبوا» من« التجاوب» أجاب بعضهم بعضاً وتشير هنا إلى جماعة يجلسون فى مكان ويبكون معاً.

[۴۶۱] (۶).« النحيب» شدّة البكاء.

[۴۶۲] (۷).« يعجّون» من مادة« عج» على وزن« حج» الصياح.

[۴۶۳] (۸).« دُجى» جمع« دُجْية» على وزن« لقمة» الظلمة وتستعمل هذه المفردة أحياناً بمعنى المفرد.

[۴۶۴] (۱). سورة فصلت، الآية ۳۰.

[۴۶۵] (۲). سورة الفتح، الآية ۴.

[۴۶۶] (۳). سورة القمر، الآيتان ۵۴ و ۵۵.

[۴۶۷] (۴).« يتنسمون» من« النسيم» فالعبارة« يتنسمون» تعنى أنّهم ينتظرون النسيم و« التنسُم» بمعنى التنفس.

[۴۶۸] (۵).« الأسى» الحزن.

[۴۶۹] (۶).« المنادح» جمع« مندوحة» الأرض الواسعة ثم اطلقت على كلّ نظام واسع فيه حرية.

[۴۷۰] (۱). وسائل‌الشيعة، ج ۱۶، ص ۹۹، ح ۲۱۰۸۲.

[۴۷۱] (۲). سورة المائدة، الآية ۱۰۵.

[۴۷۲] (۱). سورة طه، الآية ۱۴.

[۴۷۳] (۲). سورة العنكبوت، الآية ۴۵.

[۴۷۴] (۳). سورة المائدة، الآية ۹۱.

[۴۷۵] (۴). سورة يوسف، الآية ۱۰۴.

[۴۷۶] (۵). سورة الزخرف، الآية ۳۶.

[۴۷۷] (۶). سورة الأنبياء، الآية ۷.

[۴۷۸] (۷). سورة الرعد، الآية ۲۸.

[۴۷۹] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۴۹۸، ح ۱.

[۴۸۰] (۲). المصدر السابق، ص ۵۰۰، ح ۵.

[۴۸۱] (۳). المصدر السابق، ح ۲.

[۴۸۲] (۴). وسائل الشيعة، ج ۶، ص ۱۵، كتاب الزكاة، باب تحريم منع الزكاة، ح ۲۰.

[۴۸۳] (۵). الكافى، ج ۲، ص ۴۹۹، ح ۵.

[۴۸۴] (۱). سورة الانفطار، الآية ۶.

[۴۸۵] (۲). سند الخطبة:

ذكر فى« مصادر نهج البلاغة» مصدرين يستفاد من القرائن أنّهم استقوا هذه الخطبة من مصدر غير« نهج البلاغة»: الأوّل« شرح نهج البلاغة» لابن أبى الحديد الذى ذكر بعضها باختلاف مع ما ورد فى« نهج‌البلاغة»، والآخر« غررالحكم» الذى أورد جانباً منها باختلاف مع ما ورد فى« نهج‌البلاغة».(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۵۵).

[۴۸۶] (۱).« أدحض» من« الإدحاض» ابطل وغلب ومن مادة« دحض» الغلبة.

[۴۸۷] (۲).« أبرح» من مادة« برح» على وزن« حرف» الشدّة كما وردت بمعنى الزوال والمعنى الأوّل هو المراد فى العبارة.

[۴۸۸] (۱). تفسير مجمع البيان، ذيل الآية ۶ من سورة الانفطار.

[۴۸۹] (۲).« البلول» التحسن من المرض كما وردت بمعنى الغنى والنشاط.

[۴۹۰] (۳).« الضاحى» الشخص المعرض لضوء الشمس، من مادة« ضحو» على وزن« محو» التعرض لأشعة الشمس‌ويقال« ضحى» حين تتسع أشعة الشمس على الأرض.

[۴۹۱] (۴).« يمضّ» من مادة« مضّ» على وزن« حضّ» يؤلم.

[۴۹۲] (۵).« الجلد» من مادة« جلد» على وزن« بلد» القوّة أو التحمل.

[۴۹۳] (۱).« بيات» إن وردت هذه المفردة مصدراً عنت البقاء والمبيت ليلًا فى مكان وإن كان لها معنى الاسم عنت الليلوهذا هو المعنى المراد فى العبارة.

[۴۹۴] (۲).« التورّط» من مادة« ورط» على وزن« شرط» الإلقاء فى المستنقع و« قد تورّطت بمعاصيه» يعنى القيت بنفسى فى غضب اللَّه بسبب المعاصى.

[۴۹۵] (۳).« سطوات» جمع« سطوه» القهر والغلبة والسلطة على الشىء.

[۴۹۶] (۴).« الكرى» النوم والنعاس.

[۴۹۷] (۵). سورة الأعراف، الآيتان ۹۷ و ۹۸.

[۴۹۸] (۱).« تمثّل» كما اشير إليه فى الخطبة السابقة من« المثول» على وزن« حلول» بمعنى التجسيد.

[۴۹۹] (۲).« يتغمّد» فى الأصل من« الغمد» على وزن« هند» بمعنى غطاء السيف و« تغمّد» الوضع فى الغطاء. ثم استعملت بمعنى الشمول واريد بها فى العبارة أن فضل اللَّه عمّكم.

[۵۰۰] (۱).« كنف» من مادة« كنف» على وزن« حرف» بمعنى محفوظ.

[۵۰۱] (۲).« مطرف عين» من مادة« طرف» على وزن« حرف» إغماض العين وفتحها و« مطرف» مصدر ميمى بالمعنىالمذكور.

[۵۰۲] (۱).« أيم» فى الأصل« أيمن» حسب بعض أرباب اللغة جمع« يمين» بمعنى القسم سقطت نونه ومعنى العبارةأقسم باللَّه.

[۵۰۳] (۱).« عظات» جمع« عظة» بمعنى الموعظة والنصيحة وهى هنا كناية عن حوادث الدنيا المريرة التى تؤدى إلىاليقظة.

[۵۰۴] (۲).« آذنت» من« الإيذان» بمعنى الإعلان المقرون بالتهديد وأحياناً تعنى إعلان الحرب ثم وردت بمعنى الإعلان المطلق واطلاق الأذان كونه يعلن الدخول فى الصلاة.

[۵۰۵] (۱).« خاوية» اسم فاعل من مادة« خَوى» بمعنى خالى ويعنى أحياناً المتهدم.

[۵۰۶] (۲).« ربوع» جمع« ربع» على وزن« رفع» البيت والسكن كما وردت بمعنى المنطقة أو الجماعة من الناس والمعنى الأوّل هو المراد هنا.

[۵۰۷] (۳).« شحيح» من مادة« شحّ» على وزن« مخ» البخل مع الحرص الذى يصبح عادة لذلك يطلق« شحيح» أحياناً على الفرد الحريص على صديقه وهذا هو المعنى المراد فى العبارة.

[۵۰۸] (۱). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۱۳۱.

[۵۰۹] (۲). المصدر السابق، الخطبة ۲۲۶.

[۵۱۰] (۳). المصدر السابق، الكلمات القصار، الكلمة ۱۱۹.

[۵۱۱] (۴). المصدر السابق، الكلمة ۴۱۵.

[۵۱۲] (۵). المصدر السابق، الكلمة ۷۷.

[۵۱۳] (۱). سورة الزخرف، الآيات ۳۳- ۳۵.

[۵۱۴] (۲). سورة فاطر، الآية ۵.

[۵۱۵] (۳). نهج البلاغة، الخطبة ۸۲.

[۵۱۶] (۱).« راجفة» من مادة« رجف» على وزن« وقف» بمعنى الاضطراب والهزة الشديدة ولما كانت الأخبار التى تثيرالفتنة مدعاة لاضطراب المجتمع لذلك يقال لها أراجيف. وتشير هذه المفردة فى القرآن وهذه الخطبة إلى زلزلة الساعة.

[۵۱۷] (۲).« جلائل» جمع« جليلة» كلّ صفة عظيمة وشديدة.

[۵۱۸] (۳).« منسک» بمعنی العبادة وتعنی الدین والمعبد وهذا هو المراد بها فی العبارة.

[۵۱۹] (۴).« لم یُجْزَ» طبق ماورد فی المتن من مادة« جزاء» بمعنی الثواب؛ ولکن وردت فی بعض النسخ« لم یَجْرِ» من مادة« جریان»؛ یعنی لا یجری أدنی خلاف فی عدالته وفی بعض النسخ الأخری« لم یَجُرْ» من مادة« جور» إشارة إلی عدم جور اللَّه فی جزاء الأعمال وفی نسخ« لَمْ یَجُزْ» من مادة« جواز»؛ یعنی لا یجوز أدنی خلاف فی مقام عدالة اللَّه.

[۵۲۰] (۱).« هَمْس» بمعنی الصوت الخفی.

[۵۲۱] (۲). وسائل الشیعة، ج ۱۰، ص ۳۹۳، ح ۵ من باب ۶۶ من أبواب المزار وورد هذا المضمون باختلاف طفیف عن‌النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله فی کتاب« روضة الواعظین».

[۵۲۲] (۳). سورة الصافات، الآیتان ۲۲ و ۲۳.

[۵۲۳] (۴). سورة الفرقان، الآیات ۱۷- ۱۹.

[۵۲۴] (۱).« داحضة» من« الدَحْض» علی وزن« محض» بمعنی خاطئة ویقال« حجة داحضة» للدلیل الضعیف الذی لاأساس له.

[۵۲۵] (۲).« علائق» جمع« علاقة»(بفتح العین) الروابط والتعلق ومعنی العبارة المذکورة أنّ الروابط مقطوعة یوم القیامة، وکذلک جمع« علاقة»(بکسر العین) الحبل والشماعة وأمثال ذلک فیکون معنی العبارة أنّ حبال الأعذار مقطعة یوم القیامة.

[۵۲۶] (۳). سورة المرسلات، الآیة ۳۶.

[۵۲۷] (۴).« تحرّ» من« التحری» البحث عن الأمر الأفضل.

[۵۲۸] (۵). سورة البقرة، الآیة ۱۹۷.

[۵۲۹] (۶).« شم» من مادة« شَیْم» علی وزن« دَیْم» التطلع إلی الشیء.

[۵۳۰] (۱).« مطایا» جمع« مطیة» الدابّة.

[۵۳۱] (۲).« تشمیر» من مادة« شمر» علی وزن« تمر» تعنی فی الأصل رفع الکم والاستعداد لعمل ثم اطلق علی مطلق الاستعداد والسعی.

[۵۳۲] (۳). وسائل الشیعة، ج ۶، ص ۲۷۹، ح ۵ من الباب ۱۴، أبواب الصدقات.

[۵۳۳] (۱). سند الخطبة:

رواها المرحوم الشیخ الصدوق فی کتاب« الأمالی»، کما رواها بعد السید الرضی، سبط ابن الجوزی فی کتاب« التذکرة» عن ابن عباس عن أمیرالمؤمنین علی علیه السلام، والزمخشری فی« ربیع‌الأبرار»، وابن شهر آشوب فی« المناقب»، ویستفاد من کلام الصدوق فی« الأمالی» أنّ ما أورده المرحوم السیّد الرضی فی هذه الخطبة بعض ما ورد فی خطبة طویلة.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۵۹).

[۵۳۴] (۱). تمام نهج البلاغة، ص ۶۷۹، الطبعة الثانیة.

[۵۳۵] (۲).« حسک»؛ یعنی الشوک. کما یطلق علی شوک الصحراء أو داخل بدن السمکة.

[۵۳۶] (۳).« سعدان» نبات رعاة الإبل له شوک تشبه به حلمة الثدی.

[۵۳۷] (۴).« مسهّد» من« السهاد» علی وزن« رقاد» بمعنی السهر و« مسهّد» من لا ینام اللیل.

[۵۳۸] (۱).« مصفّد» من مادة« صفد» علی وزن« صید» المقید و« صفاد» علی وزن« عناد» تقال للحبل والقید.

[۵۳۹] (۲).« حطام» من مادة« حطم» علی وزن« حتم» بمعنی الکسر ویقال لمتاع الدنیا« حطام».

[۵۴۰] (۳).« قفول» مصدر بمعنی الرجوع والعودة ومفهوم العبارة کما ورد سابقاً طبق هذا المعنی، ولکن احتمل البعض‌أنّ« قفول» جمع« قفل» ومعنی العبارة کیف أظلم شخصاً تتآکل بسرعة أقفال ووشائج بدنه.

[۵۴۱] (۴).« الثری» التراب.

[۵۴۲] (۱).« املَق» من« الإملاق» بمعنى الفقر ومادته الأصلية« مَلَق» على وزن« شفق» النعومة ويقال الفرد المتملق كونه يتخذ حالة الذلة والنعومة واستعملت بحق الفقير لهذه الحالة.

[۵۴۳] (۲).« استماحنى» من« الاستماحة» الاستعطاء.

[۵۴۴] (۳).« البُرّ» القمح.

[۵۴۵] (۴).« صاع» أحد الأوزان وهو أربعة امداد وكل مد أقل من نصف كيلو، سبعمائة وخمسون غراماً تقريباً.

[۵۴۶] (۱).« شُعث» جمع« أشعث» المجعد الشعر.

[۵۴۷] (۲).« غُبْر» جمع« أغبر» من عَلاه الغبار.

[۵۴۸] (۳).« عظلم» نبت يصبغ به ما يراد إسوداده.

[۵۴۹] (۴).« أصغيت» من« الإصغاء» السمع.

[۵۵۰] (۱).« دنف» السقم الشديد.

[۵۵۱] (۲).« ميسم» اسم آلة من مادة« وسم» الحرارة الشديدة؛ ولكن يبدو أنّها وردت هنا بصيغة المصدر بمعنى الحرارة.

[۵۵۲] (۳).« ثواكل» جمع« ثاكلة» الام فى عزاء ابنها وتستعمل أحياناً المرأة المعزاة.

[۵۵۳] (۴).« إنسانها» هنا بمعنى: صاحبها.

[۵۵۴] (۵).« سجرها» من« السجور» تعنى فى الاصل اشعال نار التنور ثم اطلقت على كلّ اشعال.

[۵۵۵] (۶).« تئن» من مادة« انن» الأنين والتألم.

[۵۵۶] (۷).« لظى» شعلة النار الخالصة والتى تكون شديدة الحرارة.

[۵۵۷] (۱). شرح نهج البلاغة للمرحوم مغنية، ج ۳، ص ۳۱۶.

[۵۵۸] (۲). سورة غافر، الآية ۷۱.

[۵۵۹] (۳). شرح نهج البلاغة ابن ابى‌الحديد، ج ۱۱، ص ۲۵۳.

[۵۶۰] (۴). بحار الأنوار، ج ۴۱، ص ۱۱۳ و ۱۱۴(روى المرحوم العلّامة المجلسى هذا الحديث عن ابن شهر آشوب).

[۵۶۱] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۱، ص ۲۵۰؛ شرح نهج البلاغة للمرحوم التسترى، ج ۶، ص ۵۲۳.

[۵۶۲] (۱).« طارق» من« الطروق» و« طرق» بمعنى الدق ويقال الطارق لمن يذهب ليلًا إلى آخر حيث الباب مغلق عادةولابدّ أن يدقّه ليدخل.

[۵۶۳] (۲).« شنئت» من« الشنئان» على وزن« غثيان» البغض والكراهية و« شنئت» كرهت.

[۵۶۴] (۱). أشار الشيخ محمد عبدة إلى هذا المعنى فى شرحه لنهج‌البلاغة(ج ۲، ص ۲۱۸) وقال: كانت الملفوفة نوعاً من الحلواء أهداها إليه الأشعث بن قيس.

[۵۶۵] (۱).« هبول» صفة مشبهة، المرأة لا يبقى لها ولد فهى كثيرة البكاء.

[۵۶۶] (۱). الأقاليم السبعة،« أقاليم» جمع« إقليم» جزء من العالم أو البلد وقد قسم قدماء الجغرافيين العالم إلى سبعةأقاليم ولم تكن حدود تلك الأقاليم محددة لعدم وجود الخرائط الجغرافية الدقيقة عن العالم. على كلّ حال الأقاليم هى: الإقليم الأوّل، الهند. الثانى، بعض البلدان العربية والحبشة، الثالث، مصر والشام، الرابع، ايران. الخامس، الروم. السادس، الترك، السابع، الصين.(قاموس دهخدا، مادة أقليم). لعل هنالك تقسيماً آخر للجغرافيين وعلى كلّ حال مراد الإمام عليه السلام لو أعطيت كلّ مناطق الكرة الأرضيّة.

[۵۶۷] (۲).« جلب» الغطاء الذى يحيط بحبة القمح أو الشعير كما يطلق« جلب» على ما يغطى به الجرح بعد أن يبرأ.

[۵۶۸] (۳).« تقضمها» من مادة« قضم» على وزن« هضم» بمعنى العض والمضغ.

[۵۶۹] (۱).« سبات» من مادة« سبت» على وزن« وقت» التعطيل لأجل الاستراحة؛ ويطلق« سبات» على التوقف عن العمل وهذا هو المراد بها فى العبارة وتسمية السبت لدى العرب كون هذه التسمية فى الأصل جاءت من اليهود لأنّهم يعطلون أعمالهم فى يوم السبت.

[۵۷۰] (۱). شرح نهج البلاغة للمرحوم الخوئى، ج ۱۴، ص ۲۹۷، الطبعة القديمة.

[۵۷۱] (۲). كتاب بلاغات النساء، ص ۱۰۶ طبق نقل شرح نهج البلاغة للمرحوم التسترى، ج ۶، ص ۵۴۱.

[۵۷۲] (۱). سند الخطبة(الدعاء):

روى هذا الدعاء باضافات الراوندى فى كتاب« الدعوات» وجاء بعد قوله:« إنَّك عَلى كُلِّ شَىء قَدير»،« اللهمَّ اجْعَلْ أوّلَ كَريمَةٍ تَنْتَزِعُها مِنْ كَرائِمى وَأوّلَ وَديعَةٍ تَرْتَجِعُها مِنْ وَدائِعِ نِعَمِك» وتشير هذه الإضافة إلى أنّ الراوندى اقتبس الدعاء من مصدر آخر غير« نهج البلاغة». كما ذكره باختلاف صاحب كتاب« الطراز»(السيّد اليمانى) وهذا يدل على أنّه أخذه من مصدر آخر. وضمّنه الإمام السجاد عليه السلام فى دعاء مكارم الأخلاق باختلاف طفيف يدلّ على أنّه كان معروفاً عند أهل‌البيت(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۶۰).

[۵۷۳] (۱).« صن» من« الصيانة».

[۵۷۴] (۲).« وجه» تعنى هنا الكرامة وإن كان معناها الأصلى هو الوجه.

[۵۷۵] (۳).« اليسار» من« اليسر» السهولة والغنى وهو المعنى المراد فى العبارة.

[۵۷۶] (۴).« جاه» القدر والمقام والشرف.

[۵۷۷] (۵).« اقتار» من« القتور» على وزن« فتور» المشقّة فى الإنفاق.

[۵۷۸] (۱). وردت هذه العبارة فى الروايات وتطلق بصيغة مثل معروف بتعبيرات مختلفة، مثل« صاحِبُ الْحاجَةِ لا يَرُومُ‌إلّا قَضاءها» أو« صاحِبُ الحاجَةِ أرعن لا يُريدُ إلّا قَضاءَها» أو« صاحِبُ الْحاجَةِ أعْمى وَلَو كانَ بَصيراً».(كشف‌الخفاء، العجلونى، ج ۲، ص ۱۸).

[۵۷۹] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۲۶۳، ح ۱۲ من باب فضل فقراء المسلمين.

[۵۸۰] (۲). سورة فاطر، الآية ۱۵.

[۵۸۱] (۳). الخصال، ج ۲، ص ۴۲۰، ح ۱۴.

[۵۸۲] (۱). بحار الأنوار، ج ۴۶، ص ۳۶.

[۵۸۳] (۲). سورة المنافقون، الآية ۸.

[۵۸۴] (۳). بحار الأنوار، ج ۶۹، ص ۴۷، ح ۵۸، من باب فضل الفقر والفقراء.

[۵۸۵] (۱). وسائل الشيعة، ج ۱۲، ص ۱۷، ح ۷.

[۵۸۶] (۲). بحار الأنوار، ج ۶۹، ص ۳۰.

[۵۸۷] (۳). المصدر السابق.

[۵۸۸] (۴). المصدر السابق، ج ۸۷، ص ۱۲.

[۵۸۹] (۱). سند الخطبة:

روى هذه الخطبة المتّقى الهندى من فقهاء العامّة فى كتاب« كنزالعمّال»(ج ۱۶، ص ۲۰۰، ح ۴۴۲۲۴) وقال: روى الدينورى وابن عساكر عن عبداللَّه بن صالح العجلى عن أبيه أنّ على بن أبى‌طالب عليه السلام خطبنا يوماً فحمد اللَّه وأثنى عليه وصلّى على النبىّ ثم قال:« عِبادَ اللَّه لا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَإِنَّها دارٌ بِالْبَلاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ ...» ورواها بإضافات سبط ابن الجوزى فى« تذكرة الخواصّ» وقال: تعرف هذه الخطبة(لفصاحتها وبلاغتها) ب« الخطبة البالغة». ثم قال: إنّ أبانعيم نقل بعضها فى كتاب الحلية. وأضاف عليها الخطيب الخوارزمى فى كتاب« المناقب». قال صاحب« مصادر نهج البلاغة» بعد الإشارة إلى هذه المطالب: ولا نرى حاجة لذكر رواة الخطبة من علماء الإماميّة بعد هذه الرواية الواسعة من كتب العامّة.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۶۷).

[۵۹۰] (۱).« غدر» له عدّة معانٍ متقاربة المكر والخداع وعدم الوفاء.

[۵۹۱] (۲).« نزّال» جمع« نازل» الضيف أو من يدخل مكاناً.

[۵۹۲] (۱).« تارات» جمع« تارة» على وزن« غارة» بمعنى الزمان وتأتى عادة بمعنى مرّة.

[۵۹۳] (۲).« متصرّفة» من« التصرف» التغير.

[۵۹۴] (۳).« مستهدفة» من مادة« هدف» التى يصوب نحوها السهم.

[۵۹۵] (۴).« حمام» من مادة« حم» على وزن« غم» التقدير ومن هنا يراد به الموت الذى قدره اللّه ويعنى الطير بالكسر.

[۵۹۶] (۱).« هامدة» من« الهمود» تعنى فى الأصل انطفاء النار وانخفاض الحرارة ثم اطلقت على انطفاء الصوت وهذا هوالمعنى المراد فى العبارة.

[۵۹۷] (۲).« عافية» من مادة« عفو» زوال آثار الشىء كأن تهب الريح وتزيل ذرات الرمل وتمحوها عن النظر ومنه العفو الذى يعنى إزالة آثار الذنب.

[۵۹۸] (۳). سورة الفجر، الآيات ۶- ۱۳.

[۵۹۹] (۴). شرح نهج البلاغة للعلّامة الخوئى، ج ۱۴، ص ۲۳۰.

[۶۰۰] (۵). سورة الحجر، الآية ۸۲.

[۶۰۱] (۱).« مشيّدة» من مادة« شيد» على وزن« صيد» جعل الشىء مرتفعاً و« شيد» على وزن« بيد» الجص وماشابه ذلكالذى يطلى به البناء للزينة وعليه« اصول مشيدة»(بتشديد الياء) البناء المرتفع والمحكم و« مشيد»(على وزن شديد) أيضاً البناء المحكم وورد فى القرآن المجيد، فى سورة الحج، الآية ۴۵:« وَبِئْر مُّعَطَّلَة وَقَصْر مَّشِيد».

[۶۰۲] (۲).« نمارق» جمع« نمرقة» على وزن« سنبلة» الوسادة الصغيرة التى يستند عليها.

[۶۰۳] (۳).« مسنّدة» من« السنود» على وزن« قعود» الاستناد و« مسنّدة» فى العبارة الشىء الذى يتكئ عليه.

[۶۰۴] (۴).« لاطئة» ملتصقة بالأرض من« اللطوء» على وزن« فروع» لصيقة بالأرض.

[۶۰۵] (۵).« ملحدة» من مادة« لحد» على وزن« مهد» دفن الميّت وهو جعل الشق وسط القبر أو جانبه.

[۶۰۶] (۶).« فِناء» الفضاء المفتوح امام البيت وهكذا كانت بيوت الكبار.

[۶۰۷] (۱).« كلكل» بمعنى الصدر.

[۶۰۸] (۲).« جنادل» جمع« جندلة» على وزن« مزرعة» الصخور.

[۶۰۹] (۳).« ثرى» التراب.

[۶۱۰] (۴). البيت للإمام الحسين عليه السلام، لما وضع أخاه الحسن عليه السلام فى لحده، انظر: مناقب آل أبىطالب عليه السلام، ج ۳، ص ۲۰۵؛ بحارالأنوار، ج ۴۴، ص ۱۶۰، ح ۲۹.

[۶۱۱] (۱). سورة غافر، الآية ۴۶.

[۶۱۲] (۲). سورة آل عمران، الآية ۱۷۰.

[۶۱۳] (۳). الكافى، ج ۳، ص ۲۴۳، باب فى أرواح المؤمنين، ح ۱.

[۶۱۴] (۱).« مضجع» الفراش والمنام وتعنى هنا القبر ومن مادة« ضجع» على وزن« ضرب» النوم على الجانب.

[۶۱۵] (۲).« تناهت» من« التناهى» الوصول إلى الغاية.

[۶۱۶] (۳).« بعثرت» من« البعثرة» على وزن« مرتبة» تعنى فى الأصل القلب رأساً على عقب والاستخراج ولما كانت القبور تقلب يوم القيامة عند إحياء الأموات ويظهر ما بداخلها فقد استعمل فى القيامة.

[۶۱۷] (۴).« تبلو» من مادة« بلاء» الامتحان وكون الامتحان سبب العلم فاستعملت بهذا المعنى.

[۶۱۸] (۱). سند الخطبة(الدعاء):

الكتاب الوحيد الذى ورد فيه هذا الدعاء ويشير إلى اقتباسها من مصدر آخر غير« نهج البلاغة» باضافات يتضح منها أنّه استقاها من مصدر آخر جمعها فى(الصحيفة العلوية الاولى) للعالم الفاضل السماهجى، كما وردت فى مصباح الشيخ الطوسى أنّ الإمام السجاد عليه السلام كان يدعو به بعد الركعة الثالثة عشرة والرابعة عشرة يوم الجمعة(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۷۰) السماهجى هو الشيخ عبداللَّه بن صالح بن على أحمد البحرانى من سماهج قرية فى إحدى جزائر نواحى البحرين من علماء القرن الثانى‌عشر الهجرى، كان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وله مؤلفات منها الصحيفة العلوية الاولى، توفى سنة ۱۱۳۵(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۱، ص ۸۱).

[۶۱۹] (۱).« آنس» صيغة افعل التفضيل من مادة« انس» تعنى هنا أشد الانس وحقيقة الانس، الهدوء عند الشىء وقال البعض يقال الإنسان: لأنسه بالروح الاجتماعية.

[۶۲۰] (۲).« ملهوفة» المشتاق أو المضطر ومن مادة« لهف» على وزن« كهف» والمعنى الأوّل أنسب.

[۶۲۱] (۱). سورة ق، الآية ۱۶.

[۶۲۲] (۱).« فَهِهتُ» من« الفهاهة» على وزن« كرامة» العجز والنسيان.

[۶۲۳] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۵، ص ۱۵۳، ح ۱۷.

[۶۲۴] (۲). المصدر السابق، ج ۷، ص ۱۱.

[۶۲۵] (۱). جمعت وطبعت هذه المجموعة من قبل بعض المحققين فى مؤسسة أبحاث الروضة الرضوية فى‌خمسة أجزاء.

[۶۲۶] (۱). سند الخطبة:

لم ينقل جانب من هذه الخطبة قبل السيّد الرضى عن على عليه السلام سوى الطبرى ضمن قصة عن المغيرة بن شعبة.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۷۱).

[۶۲۷] (۲). تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۲۸۵، حوادث السنّة ۳۳ من الهجرة.

[۶۲۸] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۲، ص ۳.

[۶۲۹] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۵، ص ۹۸.

[۶۳۰] (۱).« قوّم» من« القيام» الصواب.

[۶۳۱] (۲).« أود» العوج من« الأود» على وزن« قول» الإنحناء والإعوجاج.

[۶۳۲] (۳).« عمد» المرض وفى الأصل من مادة الجرح الذى يحصل فى ظهر الدابة من الركوب.

[۶۳۳] (۴).« خلف» تقال هذه العبارة حين يموت الإنسان قبل الحادثة من مادة« خَلْف».

[۶۳۴] (۱).« متشعبة» مختلفة ولها شعب.

[۶۳۵] (۱). سند الخطبة:

قال المرحوم العلّامة التسترى فى شرحه لنهج‌البلاغة إنّ الأصل فى هذه الخطبة ما ذكره المرحوم الكلينى فى رسائله ثم نقل هذه الخطبة مع إضافات وقال: ذكرها باختلاف طفيف ابن قتيبة فى« الإمامة والسياسة» وابراهيم الثقفى فى« الغارات» وابن رستم الطبرى فى كتابه« المسترشد»(شرح نهج البلاغة للتسترى، ج ۹، ص ۵۱۷).

[۶۳۶] (۱).« تداككتم» من مادة« دك» تعنى فى الأصل الأرض المنبسطة وحيث لابدّ أن تدق بإحكام فهى تعنى الدق‌وإذا وردت فى باب الأفعال عنت الإزدحام الشديد الذى يسبب التدافع.

[۶۳۷] (۲).« هيم» جمع« هائم» الشخص أو الحيوان الشديد العطش وتطلق على العاشق الذى لا سبيل له للهروب.

[۶۳۸] (۱). سورة الفجر، الآيتان ۱۱ و ۱۲.

[۶۳۹] (۲). شرح نهج البلاغة للمرحوم مغنية، ج ۳، ص ۳۳۲.

[۶۴۰] (۳).« هدج» من مادة« هدج» على وزن« نهج» مشى الضعيف والمضطرب وتستعمل عادة فى الكهول العجزة.

[۶۴۱] (۴).« تحامل» من مادة« تحامل»(مصدر باب تفاعل) القيام بعمل بالمشقّة والتكلّف.

[۶۴۲] (۵).« حسرت» من مادة« حسر» على وزن« حصر» تعنى هنا كشف النقاب عن الوجه؛ إلّاأنّ المعنى الأصلى التحفّى وأحياناً التعب.

[۶۴۳] (۶).« كعاب» و« كاعب» الناهدة وتشير إلى الفتيات.

[۶۴۴] (۱). سند الخطبة:

ذكر بعضها مع بعض التغييرات عدد من العلماء بعد السيّد الرضىّ بما يفيد أنّها أخذت من مصدر آخر غير« نهج‌البلاغة»:

۱. ابن الأثير فى عدّة موارد من كتاب« النهاية» ومنها فى مادة« خلس» و« عبل» و« حدم» و« دجى».

۲. أورد الآمدى جوانب كثيرة من هذه الخطبة فى كتاب« غررالحكم» مع اختلافات.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۷۵- ۱۷۶).

[۶۴۵] (۱).« سداد» من مادة« سد» على وزن« حد» العمل الصحيح والكلام الصائب.

[۶۴۶] (۲). سورة البقرة، الآية ۱۹۷.

[۶۴۷] (۳).« ملكة» تعنى هنا المعاصى التى تؤثر على الإنسان.

[۶۴۸] (۱).« رغائب» جمع« رغيبة» الطلب المهم من مادة رغبة.

[۶۴۹] (۲). سورة الحجرات، الآية ۱۳.

[۶۵۰] (۳). سورة مريم، الآية ۶۳.

[۶۵۱] (۱).« هادئة» من مادة« هدوء» السكوت.

[۶۵۲] (۲). من عجائب الدهر أنّ المحقق الفاضل صاحب« منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة» المعروف بشرح الخوئى، المرحوم الحاج الميرزا حبيب اللَّه هاشمى الخوئى، مرض وتوفى لما بلغ هذه الخطبة، والعبارة« والعمل يرفع» ويدل هذا التزامن على قبول عمله عنداللَّه ورفعه إليه فواصل المحقق الجليل الشعرانى الشرح من الجزء الرابع إلى الرابع عشر ثم واصل تلميذه حسن زادة الأملى شرح الجزء الخامس عشر حتى التاسع عشر وشرح الجزءين الأخرين العشرين والحادى والعشرين بقلم المرحوم الحاج محمد باقر الكمرئى حتى انتهى الشرح.

[۶۵۳] (۱).« ناكس» من مادة« نكس» على وزن« حدس» قلب الشىء.

[۶۵۴] (۲).« خالس» الخاطف من مادة« خلس» على وزن« فلس» خطف الشىء بالحيلة والاختلاس بهذا المعنى.

[۶۵۵] (۳).« طيّات» جمع« طيّة» الجانب والجهة والهدف. من مادة« طىّ» على وزن« حىّ» الجمع والترتيب وتستعمل أحياناً بمعنى العبور وطى الطريق.

[۶۵۶] (۴).« قرن» الكفؤ فى الشجاعة.

[۶۵۷] (۵).« واتر» الجانى من مادة« وتر» على وزن« سفر» رامى السهم.

[۶۵۸] (۱).« تكنّف» من مادة« تكنّف» الإحاطة بالشىء.

[۶۵۹] (۲).« غوائل» جمع« غائلة» الشرّ والداهية.

[۶۶۰] (۳).« معابل» جمع« معبل» على وزن« مدخل» النصل الحاد.

[۶۶۱] (۴).« عدوة» العدوان.

[۶۶۲] (۵).« نبوة» الخطأ فى الضربة بالسيف والسهم ونحوه.

[۶۶۳] (۶). سورة آل عمران، الآية ۱۸۵.

[۶۶۴] (۷).« دواجى» جمع« داجية» الظلمة من مادة« دجوّ» على وزن« غلوّ».

[۶۶۵] (۸).« ظلل» جمع« ظلّة» على وزن« قلّة» السحابة.

[۶۶۶] (۹).« الإحتدام» الاشتداد من مادة« حدم» على وزن« حتم».

[۶۶۷] (۱۰).« حنادس» جمع« حندس» على وزن« قبرص» الظلمة الشديدة.

[۶۶۸] (۱).« غمرات» جمع« غمرة» على وزن« ضربة» الشدائد و« غمرات الموت» شدائد وصعاب الموت والاحتضار التى تصيب الإنسان فالغمرة تقال للماء الكثير الذى يأخذ الشيء.

[۶۶۹] (۲).« ارهاق» من مادة« رهق» على وزن« شفق» تغطية الشيء بالقهر والغلبة ويطلق على الأعمال الشاقة، جدير ذكره وردت فى بعض النسخ بدل« ارهاق»،« ازهاق» من مادة« زهوق» الاضمحلال والهلكة و« ازهاق الروح» فصل الروح عن البدن.

[۶۷۰] (۳).« الدجوّ» الظلمة كما ورد أعلاه.

[۶۷۱] (۴).« اطباق» جمع« طبق» وضع شيء على آخر كأنّ للظلمة طبقات تتراكم على بعضها.

[۶۷۲] (۵).« الجشوبة» الخشونة؛ سواء فى الطعام أو الكلام وما شابه ذلك.

[۶۷۳] (۶).« النجيّ» المناجى والذى يهمس فى الاذن من مادة« نجوى».

[۶۷۴] (۷).« الندىّ» الجماعة الذين يجتمعون للمشورة أو الأحاديث المتعارفة.

[۶۷۵] (۸).« عفّى» أزال الأثر من مادة« عفىّ» له عدّة معانٍ بحكم باب التفعيل منها المحو.

[۶۷۶] (۹). شرح نهج البلاغة للمرحوم التسترى، ج ۱۱، ص ۲۷۵.

[۶۷۷] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۵۶.

[۶۷۸] (۲). الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ص ۱۷۵.

[۶۷۹] (۳). تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۱۱۵.

[۶۸۰] (۱).« التأهّب» الاستعداد للشيء من« الاهبة» وله أحياناً معنى المصدر والاسم الجامد.

[۶۸۱] (۲). شرح نهج البلاغة للعلّامة الخوئى، ج ۱۴، ص ۴۱۹.

[۶۸۲] (۱). البيان والتبيين، ج ۳، ص ۱۴۸.

[۶۸۳] (۱).« احتلبوا» من« حلب» على وزن« طرب» و« حلب» على وزن« حرب» بمعنى استخراج الحليب.

[۶۸۴] (۲).« درّة» اللبن أو الحليب الكثير.

[۶۸۵] (۳).« غرّة» الغفلة والسهولة.

[۶۸۶] (۴).« أخلقوا» من مادة« اخلاق» القدم من مادة« خلق» على وزن« ورق» التآكل.

[۶۸۷] (۵).« جدّة» جديد ولهذه المفردة معنى الاسم.

[۶۸۸] (۶).« أجداث» جمع« جدث» على وزن« هوس» القبر.

[۶۸۹] (۷).« لا يحفلون» لا يبالون من مادة« حفل» على وزن« حرب» الاهتمام.

[۶۹۰] (۱). الكافى، ج ۳، ص ۲۲۸ باب زيارة القبور، ح ۴.

[۶۹۱] (۲).« نزوع» من مادة« نزع» على وزن« نذر» الفصل.

[۶۹۲] (۳).« لايركد» من مادة« ركود» السكون وانعدام الحركة.

[۶۹۳] (۱). سورة العنكبوت، الآية ۶۴.

[۶۹۴] (۱).« بادروا» من« المبادرة» الاسراع فى العمل أحياناً وأخرى السبق(تتعدى الاوّلى بدون« الى» وتتعدى الثانيةب« إلى»).

[۶۹۵] (۲).« ظهرانى» يعنى وسط شخصين أو أشخاص والأصل« ظَهْرين» تثنية« ظَهر» وكان للإنسان داعم من أمامهوخلفه إن كان وسط جماعة ثم أضيف له الألف والنون للتأكيد ونون التثنية حذفت عند الاضافة لتصبح« بين ظهرانى» وعليه« بين ظهرانى» أن يكون الإنسان بين أفراد يحمونه.(راجع مادة ظهر فى لسان العرب).

[۶۹۶] (۳). نهج البلاغة، الخطبة ۸۱.

[۶۹۷] (۱).« ذى قار» منطقة قرب البصرة وقعت فيها الحرب بين العرب والفرس قبل الإسلام.

[۶۹۸] (۲). محمّد بن عمر الواقدى من مفسّرى ومؤرّخى القرن الهجرى الثانى والمتوفى سنة ۲۰۷ هجرية.

[۶۹۹] (۳). سند الخطبة:

رغم أنّ المرحوم السيد الرضى نقل هذه الخطبة من كتاب« الجمل» للواقدى إلّاأنّ صاحب« مصادر نهجالبلاغة» ذكر أنّه رواها ابن عبد ربه المالكى فى« العقد الفريد» والمرحوم المفيد فى« الإرشاد». ورواها ابن أبى الحديد بصورة مفصلة فى شرحه لنهجالبلاغة(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۷۶).

[۷۰۰] (۱).« الشمل» الجمع وله أحياناً معنى اسم المصدر ويعنى الاجتماع.

[۷۰۱] (۲).« الواغرة» الحارة والساخنة من مادة« وغر» على وزن« فقر» شدّة الحرارة وهى تستعمل بمعنى البغض والعداء الشديد.

[۷۰۲] (۱).« الضغائن» جمع« ضغينة» العداوة الشديدة وتعنى فى الأصل التغطية المقرونة بالانحراف.

[۷۰۳] (۲).« القادحة» المشتعلة من مادة« قدح» على وزن« مدح» إشعال النار.

[۷۰۴] (۳). سورة الأنفال، الآيتان ۶۲ و ۶۳.

[۷۰۵] (۱). عبداللّه بن زمعة بن الأسود من أعدى أعداء النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله. عبداللّه ابن اخت ام سلمة وصهرها وقد قتلالإمام عليه السلام أباه وعمه وأخاه فى بدر(راجع دائرةالمعارف الشيعية للمرحوم الأعلمى: ج ۱۲ ص ۳۰۵ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۳ ص ۱۰؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى، ج ۵، ص ۱۹۲).

[۷۰۶] (۲). سند الخطبة:

المصدر الوحيد الذى عثر عليه صاحب كتاب المصادر فى هذه الخطبة غير نهج البلاغة، غررالحكم للآمدى فى حرف الألف باختلاف يفيد أنّه أخذها من مصدر آخر.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۷۸).

[۷۰۷] (۱).« جناة» الثمار التى تقطف من الشجرة وهى مفرد من مادة« جنا» على وزن« جفا».

[۷۰۸] (۲). انظر: جواهرالكلام، ج ۱۶، ص ۱۰۶؛ المعتبر المحقق الحلّى، ج ۲، ص ۶۳۱، كتاب الخمس.

[۷۰۹] (۱). سند الخطبة:

لما بلغ ابن أبى الحديد هذه الخطبة فى شرحه لنهج البلاغة قال: اعلم أنّ هذا الكلام بيّنه أميرالمؤمنين عليه السلام فى حادثة اقتضت ذلك حيث أمر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومى أن يخطب بالناس، فصعد المنبر لكن(لجلالة الإمام وعظم الجماعة) لم يستطع الكلام ونزل. فصعد أميرالمؤمنين عليه السلام المنبر وأورد هذه الخطبة الطويلة التى ذكر السيد الرضى هنا بعضها(ويتضح من هذا الكلام أنّه أخذها من مصدر آخر). ورواها باختلاف المرحوم الكلينى فى« روضة الكافى» والآمدى فى« غررالحكم» كما رواها الزمخشرى فى الجزء الأوّل من كتابه« ربيعالابرار»(مصادر نهج البلاغة: ج ۳، ص ۱۷۹).

[۷۱۰] (۱).« بضعة»(بفتح الباء) و« بضعة»(بكسر الباء) القطعة من كلّ شىء ويقال أحياناً حين يكون الشخص شديد القرب من آخر:« هو بضعة منى».

[۷۱۱] (۲). سورة الرحمن، الآيات ۱- ۴.

[۷۱۲] (۱).« تنشّبت» من« النشوب» التثبت فى الشيء.

[۷۱۳] (۲).« عروق» جمع« عرق» على وزن« صدق» أصل الشيء وأساسه.

[۷۱۴] (۳).« تهدّلت» من مادة« هدل» على وزن« جدل» المعلقة بضعف وتطلق على الغصون النازلة والمعلقة.

[۷۱۵] (۱). انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۳، ص ۱۳ و ۱۴.

[۷۱۶] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱، ص ۲۴.

[۷۱۷] (۲). السابق طبق نقل المرحوم العلّامة المطهرى فى رحاب نهج البلاغة، ص ۲۸.

[۷۱۸] (۳). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۱، ص ۱۵۳.

[۷۱۹] (۱).« كليل» من مادة« كلّ» على وزن« حلّ» التعب والعجز والضعف والكليل التعبان والعاجز والضعيف.

[۷۲۰] (۱).« مصطلحون» اتفاق الأفراد على شيء، من مادة« صلح».

[۷۲۱] (۲).« إدهان» تعنى فى الأصل التدهين. ثم استعملت فى الخداع والمساومة على أمر مرفوض.

[۷۲۲] (۳).« عارم» سيىء الخلق من« العرامة» الخشونة وسوء الخلق والسيول الجارفة والموانع التى تقام لصدها فى الوديان.

[۷۲۳] (۴).« شائب» الكهل والعجوز من مادة« شيب» على وزن« غيب» الكهولة.

[۷۲۴] (۵).« مماذق» المرائى من مادة« مذق» على وزن« حذف» مزج اللبن بالماء.

[۷۲۵] (۱).« لا يعول» من مادة« عول» على وزن« قول» كفالة الشخص، ومنه العيال.

[۷۲۶] (۱). سند الخطبة:

رواه الزمخشرى فى الجزء الأوّل من كتاب« ربيع‌الأبرار».(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۸۱).

[۷۲۷] (۱).« مبادىء» جمع مبدأ بداية كلّ شيء والمراد هنا العناصر التى تكون طينتهم.

[۷۲۸] (۲).« فلقة» القطعة من الشيء من مادة« فلق» على وزن« حلق» الشق وبما أنّ الشق يقسم القطع وردت فلقة بمعنى القطعة.

[۷۲۹] (۳).« سبخ» الأرض المالحة.

[۷۳۰] (۱).« عذب» الحلو.

[۷۳۱] (۲).« حزن» إن استعملت فى الأرض عنت المتموجة و« حزن» تعنى الغم من هذه المادة.

[۷۳۲] (۳).« سهل» إن استعملت عنت المستوية المنبسطة ومنه أيضاً السهل أى البسيط.

[۷۳۳] (۱).« رواء» من مادة« ريّ» على وزن« حى» تعنى فى الأصل الإرتواء ومن هنا يطلق رواء على الفرد الحسن المنظركأنّه كالنبات الذى ارتوى من الماء وحسن منظره.

[۷۳۴] (۱).« قعر» تعنى هنا الباطن ويطلق القعر على آخر نقطة فى الشيء.

[۷۳۵] (۲).« السبر» الاختبار والامتحان ويقال لمن يصعب الوقوف على أسراره بسهولة« بعيد السبر».

[۷۳۶] (۳).« التائه» الحيران من مادة« تيه» على وزن« سعى» و« تيه» على وزن« جيم» الحيرة والضلال.

[۷۳۷] (۱). وسائل الشيعة، ج ۱۴، ص ۳۷، ح ۴.

[۷۳۸] (۱). بحار الأنوار، ج ۱۰۰، ص ۲۳۶، ح ۲۲.

[۷۳۹] (۱). سند الخطبة:

رواه عدد ممن عاش قبل السيد الرضى ومنهم: أ) محمد بن حبيب(المتوفى سنة ۲۴۵) أى‌قبل ولادة السيد الرضى ب. ۱۱۴ سنة فى« الأمالى».

ب) أبو اسحاق إبراهيم الزجاج(المتوفى سنة ۳۱۱ أى ۴۸ سنة قبل الرضى فى كتابه« الأمالى» عن بريد المبرد.

ج) رواها الشيخ المفيد فى كتابه« الأمالى» بسنده عن ابن عباس. قال صاحب« مصادر نهج البلاغة»: لا شك أنّ هذا كلام على عليه السلام وإن نسبت لغيره فى زهر الأداب فذلك من الوهم(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۸۲- ۱۸۳).

[۷۴۰] (۱). وسائل الشيعة، ج ۲، ص ۶۵۳، ح ۱.

[۷۴۱] (۱).« مسلّياً» من مادة« سلو» على وزن« غلو» الهدوء بعد الشدة.

[۷۴۲] (۲). نهج البلاغة، الخطبة ۲۰۲.

[۷۴۳] (۱). الكافى، ج ۳، ص ۲۲۰، ح ۲.

[۷۴۴] (۲).« انفدنا» من« النفاد» انتهاء الشىء و« انفاد» مصدر باب افعال الانتهاء.

[۷۴۵] (۳).« البال» الخاطر والقلب والحال.

[۷۴۶] (۱). من لا يحضره الفقيه، ج ۱، ص ۱۷۷، ح ۵۲۷.

[۷۴۷] (۲). المصدر السابق، ص ۱۸۳، ح ۵۵۳.

[۷۴۸] (۳). مستدرك وسائل الشيعة، ج ۲، ص ۴۳۱، ح ۴۰.

[۷۴۹] (۱). تهذيب الأحكام، ج ۶، ص ۲- ۳.

[۷۵۰] (۲). بحار الأنوار، ج ۲۲، ص ۵۲۵.

[۷۵۱] (۱). سند الخطبة:

رواه ابن الأثير فى« النهاية» فى مادة« وطأ»« مصادر نهج البلاغة» ج ۳، ص ۲۳۴.

[۷۵۲] (۱). كتاب تمام نهج البلاغة، ص ۲۴۶، خطبه ۱۹(وردت هذه العبارة فى تتمة الخطبة، ص ۲۴۹).

[۷۵۳] (۱). انظر للمزيد من الاطلاع: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد فى شرح ذيل الخطبة، وتفسير الإمام الحسن العسكرى عليه السلام وكتاب« فروغ أبدية» لآية اللّه جعفر السبحانى.

[۷۵۴] (۱). سند الخطبة:

كل ما ورد فى كتاب« مصادر نهج البلاغة» بالإضافة إلى« نهج البلاغة» فى سند الخطبة أنّ الآمدى روى العبارة الاولى من الخطبة فى« غررالحكم» باختلاف ويفيد أنّه كان لديه مصدر آخر ولو كان مصدره الوحيد« نهج‌البلاغة» لما كان ذلك الاختلاف(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۸۵).

[۷۵۵] (۲). شرح الخطبة الغرّاء طبق نقل السيّد الرضى ذيل الخطبة ۸۳.

[۷۵۶] (۱).« المنشورة» الواسعة والمفتوحة من مادة« نشر» البسط.

[۷۵۷] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۴۴۰، ح ۱.

[۷۵۸] (۲). سورة الزمر، الآية ۵۳.

[۷۵۹] (۳). سورة الزمر، الآية ۵۴.

[۷۶۰] (۴).« يخمد» من« الخمود» على وزن« جحود» تعنى فى الأصل إنطفاء النار. ثم اطلقت على انتهاء كلّ شىء ومنهانهاية الحياة.

[۷۶۱] (۵).« مهل» جمع« مهلة» وتستعمل هذه الكلمة عادة فى أمور الخير.

[۷۶۲] (۱). غررالحكم، الرقم ۲۴۶۲.

[۷۶۳] (۱).« منظور» الممهل من مادة« نظر» التى لها معنيان: الأوّل الالتفات إلى الشىء والثانى الامهال.

[۷۶۴] (۱). غرر الحكم، ح ۸۹۸۴.

[۷۶۵] (۲). المصدر السابق، ح ۴۸۲۰.

[۷۶۶] (۱). سند الخطبة:

قال صاحب كتاب« مصادر نهج البلاغة»:« ذكرنا مصادر هذه الخطبة فى ذيل الخطبة ۲۶ والخطبة فصل من كتاب كتبه الإمام وأمر بقراءته فى مختلف المناطق» وإذا عدنا إلى مصادر الخطبة(الخطبة ۲۶) نجده قال هناك: هذه الخطبة جزء من خطب طويلة اقتطف السيد الرضى بعضها وذكرها جماعة من قبل السيد بما يختلف مع ما ذكره ومنهم« إبراهيم بن هلال الثقفى» فى كتاب« الغارات»،« ابن قتيبة» فى كتاب« الإمامة والسياسة»،« الطبرى» فى كتاب« المسترشد» و« الكلينى» فى كتاب الرسائل وقال هناك:« الخطبة ۲۳۶ هى عندنا جزء من الخطبة ۲۳۸ والدافع من الرسالة أنّه سئل عمن سبقه من الخلفاء. فكتب لهم هذه الرسالة وأوصاهم برص صفوفهم»(الغارات، ج ۱، ص ۳۱۲؛ الإمامة والسياسة، ص ۱۳۵ و ۱۷۶؛ المسترشد، ص ۴۲۶)(مصادر نهج البلاغة، ج ۱، ص ۳۹۰).

[۷۶۷] (۱).« جفاة» جمع« جافٍ» غليظ وفظّ جاهل.

[۷۶۸] (۲).« طغام» جمع« طغامة» الأوغاد والأوباش والأشرار وترد أحياناً بمعنى المفرد.

[۷۶۹] (۳).« أقزام» جمع« قزم» على وزن« خشن» الأفراد الأراذل.

[۷۷۰] (۴).« أوب» الناحية.

[۷۷۱] (۵).« تلقّطوا» من مادة« تلقّط» جمع الشيء من هنا وهناك.

[۷۷۲] (۶).« شوب» خلط الشيء بآخر. ولها معنى اسمى؛ أى الأشياء المخلوطة والمراد فى العبارة معناها الاسمى.

[۷۷۳] (۷).« يدرّب» من« التدريب» التمرين والتعويد لتعلم الشيء.

[۷۷۴] (۸).« تبوّؤا» من« التبوّأ» السكن فى مكان بقصد البقاء والدوام من مادة« بَوأ» بمعنى تساوى أجزاء المكان.

[۷۷۵] (۱). مروج الذهب، ج ۲، ص ۷۲ مطابق لما نقله المرحوم العلّامة الأمينى فى الغدير، ج ۱۰، ص ۱۹۵.

[۷۷۶] (۱). الغدير، ج ۱۰، ص ۱۹۶.

[۷۷۷] (۱).« أوتار» جمع« وتر» على وزن« سفر» السهم الذى يجمع طرفاه كالقوس فإذا سحب تقوس أكثر فإن اطلق قذف إلى الأمام وقطع الأوتار هنا كناية عن عدم الاطلاق.

[۷۷۸] (۲).« شيموا» من مادة« غيم» على وزن« عيب» سل السيف ووضعه فى الغمد.

[۷۷۹] (۳). ذكر هذه الرواية أوّلًا ابن أبى الحديد فى الجزء ۱۳، ص ۲۱۵ فى شرح الخطبة، ثم ذكرها المرحوم ابن ميثم والعلّامة التسترى فى شرحهما لهذه الخطبة.

[۷۸۰] (۴).« قواصى» جمع« قاصية» الطرف والناحية و« قواصى الإسلام» إشارة الى أطراف العراق والحجاز ومناطق أخرى تابعة لحكومة أميرالمؤمنين على عليه السلام.

[۷۸۱] (۵).« صفاة» مفرد وتعنى فى الأصل الحجر الصلد وتستعمل كناية عن القوّة وفسرت بأرض الحياة التى ينظمها الإنسان.

[۷۸۲] (۱). شرح نهج البلاغة للمرحوم مغنية، ج ۳، ص ۳۶۲.

[۷۸۳] (۲). المصدر السابق.

[۷۸۴] (۳). ورد المزيد بشأن الحكمين فى ذيل الخطب ۱۲۵، ۱۲۷، ۱۷۷.

[۷۸۵] (۱). سند الخطبة:

جاء فى مصادر نهج البلاغة أنّ هذا الكلام جزء من الخطبة ۱۴۵(حسب ترقيمنا ۱۴۷) التى تبدأ بالعبارة(فبعث اللَّه محمدا صلى الله عليه و آله) حتى يقول:(فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنّهم عيش العلم وموت الجهل) وأوردها السيد الرضى منفصلة. ورواها الكلينى فى« الكافى» باختلاف طفيف فى بعض الكلمات كما ذكرت فى آخرها بعض العبارات فى« محاضرات الادباء» للراغب الاصفهانى.(

مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۷۶ و ۱۷۷).

[۷۸۶] (۱). ورد هـذا الحديث فى مصادر الفريقين فقد رواه الذهبى فى ميزان الاعتدال، ج ۱، ص ۸۲؛ ابن حجر فى لسان الميزان، ج ۱، ص ۱۳۶.

[۷۸۷] (۱). مستدرک الحاکم، ج ۳، ص ۱۴۹.

[۷۸۸] (۲). بحار الأنوار، ج ۱، ص ۱۵۴.

[۷۸۹] (۳). روى المرحوم العلّامـة الأمينى هـذين الحـديثين بعبارات متفاوتة لكنها قريبة المعنى من مختلف مصادر العامّة مثل: مناقب الخوارزمى؛ فرائد السمطين للحموينى؛ وربيع الأبرار للزمخشرى؛ والإمامة والسياسة لابن قتيبة.(الغدير، ج ۳، ص ۱۷۸ وما بعدها).

[۷۹۰] (۱). الكافى، ج ۱، ص ۶۱، ح ۹.

[۷۹۱] (۲).« ولائـج» جمع« وليجـة» من« الولوج» الـدخول وتطلق على حامـل أسـرار الشـخص أو جامعهـا ولكن ليس من أهله. ويقال وليجة لكل من يرد قوماً من الخارج ويحمل أسراره وهى قريبة المعنى من مفردة البطانة.

[۷۹۲] (۳).« نصـاب» الأصـل وموضع الرجوع والمكـان المنـاسب لكل شـىء وأساسه وبـدايته. ثم اطلق على المقـدار فى باب الزكاة وأمثال ذلک.

[۷۹۳] (۴).« انزاح» من مادة« زوح» على وزن« زوج» تعنى فى الأصل الرحيل من المكان. ثم اطلق على كلّ شىء يزال عن مكانه.

[۷۹۴] (۵). انظر: تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۴۴۰ و ۴۴۱.

[۷۹۵] (۱). لم ترد هذه المفردة بهذه الصيغة فى المصادر اللغوية وصحيحها« وعاء» ظرف الشىء ويبدو أنّ النسخةالأصلية كانت وعاء التى تلائم السماع فى العبارة اللاحقة.

[۷۹۶] (۲).« رعاة» جمع« راعٍ» المراعى.

[۷۹۷] (۱).« هتف» المناداة والصراخ والمراد هنا أنّ الامّة كانت تنادى بخلافة على عليه السلام وقيل:« هتف» تعنى الصوتالذى يسمع ولا يعرف قائله.

[۷۹۸] (۲). سند الخطبة:

ذكر ابن عبـد ربه بعض هـذا الكلام فى« العقد الفريد» وكتب أنّ عليّاً عليه السـلام خرج من المدينة وذهب إلى ينبع(ينبع موضع قرب المدينـة قرب البحر الأحمر الذى كان آنذاک بعضه لعلى وأوقفه) لكن عثمان كتب كتاباً آخر بعد مدّة قصـيرة وطلب منه الرجوع إلى المدينـة(ويـدافع عنه) ثم قـال صـاحب كتـاب نهـج البلاغـة: ذكر ذلک أيضاً المبرد فى« الكامل» وابن قتيبـة فى« الإمامـة والسـياسة».(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۸۹).

[۷۹۹] (۱).« ناضح» الجمل الذى يحمل الماء من مادة« نضح» على وزن« نظم» رش الماء.

[۸۰۰] (۲).« غرب» بمعنى الدلو العظيمة.

[۸۰۱] (۱). شرح نهج البلاغة للمرحوم التسترى، ج ۹، ص ۲۵۴(بتلخيص طفيف).

[۸۰۲] (۱). سند الخطبة:

ذكر الآمدى فى« غررالحكم» بعض عبارات الخطبة بكلمات قصيرة(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۱۹۰).

[۸۰۳] (۱). تمام نهج البلاغة، ص ۴۶۵.

[۸۰۴] (۲).« مستأدى» الطالب من مادة أداء طلب أداء الشىء.

[۸۰۵] (۳).« ممهل» معطى المهلة.

[۸۰۶] (۴).« مضمار» الميدان الذى تضمر فيه الخيل للسباق كما وردت بمعنى اسم الزمان.

[۸۰۷] (۵).« سبق» المال الذى يقرر للفائزين بالسباق.

[۸۰۸] (۶). سورة البقرة، الآية ۱۵۲.

[۸۰۹] (۱). نهج البلاغة، الخطبة ۲۸.

[۸۱۰] (۲).« عقد» جمع« عقدة» ما تربط به الأشياء.

[۸۱۱] (۳).« مآزر» جمع« مئزر» على وزن منبر الثياب الداخلية.

[۸۱۲] (۴).« اطووا» من مادة« طى» معروف.

[۸۱۳] (۵).« خواصر» جمع« خاصرة» الضلع.

[۸۱۴] (۱).« وليمة» الطعام الذى يعدّ فى العرس. ثم اطلقت على كلّ طعام يعدّ فى الدعوة للضيافة وهى هنا كناية عن الترف.

[۸۱۵] (۲).« ظلم» جمع« ظلمة» العتمة.

[۸۱۶] (۳).« تذاكير» جمع« تذكار» على وزن« منقار» التذكير.

[۸۱۷] (۴). بحار الأنوار، ج ۶۳، ص ۳۳۱، ح ۷.

[۸۱۸] (۵). مجموعة ورام، ج ۲، ص ۱۱۹.

[۸۱۹] (۱). غرر الحكم، ح ۷۴۰۲.

[۸۲۰] (۲). بحار الأنوار، ج ۱۰۰، ص ۲۷، ح ۴۰.

[۸۲۱] (۳). نهج البلاغة، الرسالة ۴۵.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم

الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللّهُ ولیّ التوفیق.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹